تنبيه الغافلين

شرح كتاب

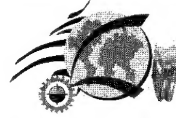
علامات يوم الدين

وهو كتاب مستخرج من "التذكرة" للإمام القرطبي
و"شرح السنة" للإمام البغوي

إعداد
الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3801-4



http://www.al-ilmiyah.com/

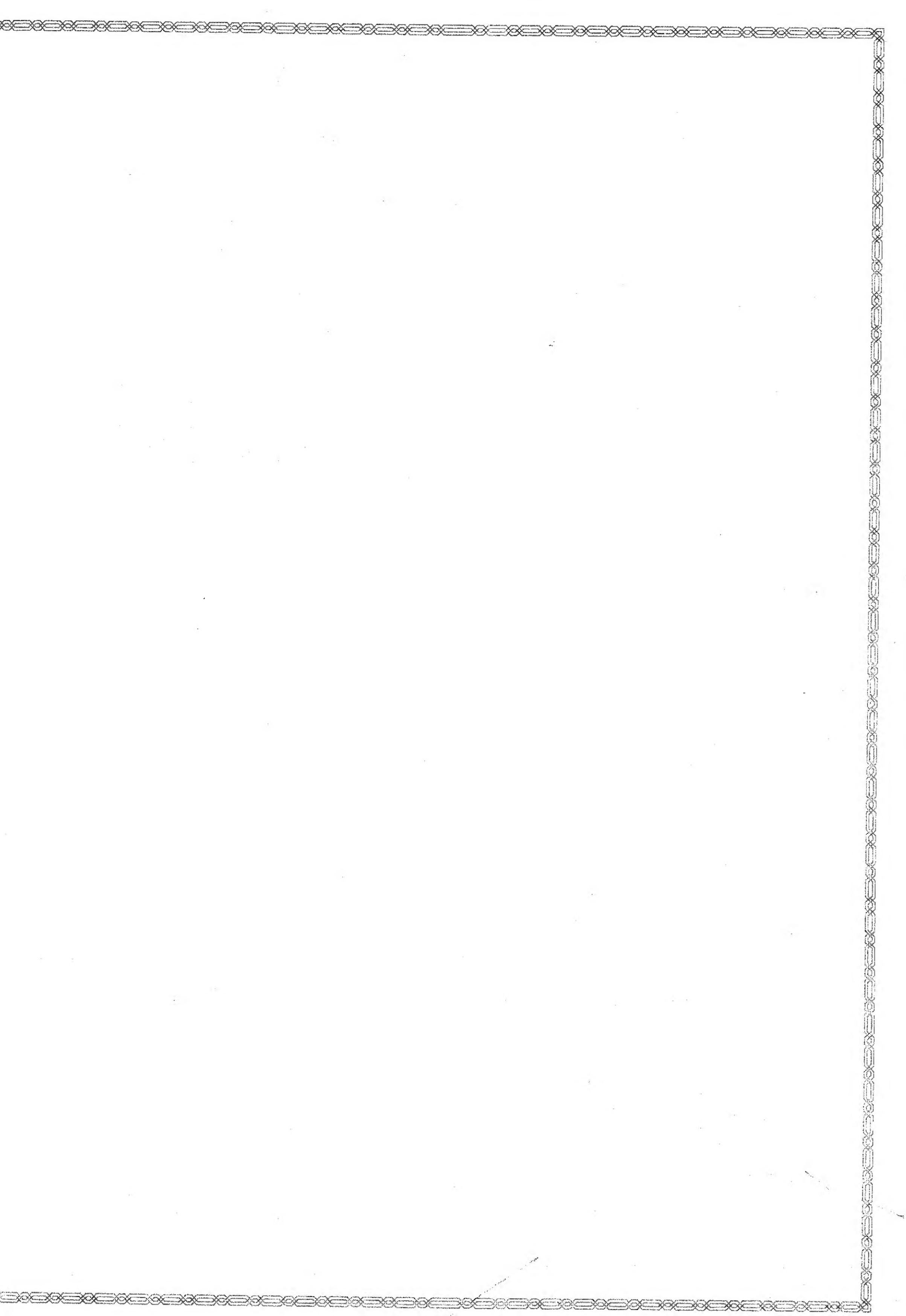
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

تنبيه الغافلين

شرح كتاب

علامات يوم الدين

وهو كتاب مستخرج من "التذكرة" للإمام القرطبي
و"شرح السنة" للإمام البغوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

يقول الله تبارك وتعالى لسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها* إلى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات: ٤٢-٤٦].

وهذا اليوم يوم القيامة له أسماءٍ كثيرة، وله علامات صغرى وكبرى من أجل ذلك أدليت بدلوي في كتابي: التذكرة للإمام القرطبي (رحمه الله

وشرح السنة للإمام البغوي (رحمه الله) وأخرجت منهما كتابنا (**تنبيه الغافلين شرح كتاب علامات يوم الدين**) لأن الدين هو القيامة ﴿**مالك يوم الدين**﴾.

عزيزي القارئ أسأل نفسي وحضراتكم ما الذي أعددناه ليوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا.

اقرأ وتدبر ولله الحمد والمنة

الشيخ

علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسُّنة

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الإمام القرطبي

(٠٠٠- ٦٧١هـ = ٠٠٠ - ١٢٧٣م)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام العالم الفقيه المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأندلسي القرطبي، من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة.

عاش القرطبي بين أسرة متأصلة مرتبطة بأرض الأندلس الحبيب وترابه، اعتنى به أبوه في نشأته وتعليمه ما كان مشهوراً في زمانه ومكانه من أنواع العلوم الإسلامية جميعها بلا تخصص. يدلنا على كثرة ما تعلم إمامنا القرطبي من أنواع العلوم تفسيره للقرآن الكريم الذي يحتاج إلى سعة الثقافة في أكثر من علم من علوم الإسلام والعربية.

مدينة قرطبة:

الإنسان وخاصة العالم هو ابن زمنه وأيضًا ابن بيئته، فلكي نعرف الكثير عن الإمام القرطبي لا بد أن نعرف البلد الذي تربى فيه والزمن الذي عاشه.

عاش القرطبي في قرطبة في أواخر عصر المسلمين بها وهي مدينة عظيمة حافلة بالمدنية المسلمة في عصر كانت أوربا فيه غارقة في بحار الظلمات.

أما إذا حاولنا أن نعرف ما هي قرطبة الآن فهي مدينة (كوردو)

الواقعة على نهر الوادي الكبير وقد نزلت الآن عن درجتها السابقة أيام عصر العرب المجيد فصارت من المدن الصغيرة.

يقول المؤرخ (سديو) الفرنسي في بحثه في كتاب خلاصة تاريخ العرب.

كان في الجزء الذي يملكه المسلمون من إسبانيا ستة تخوت وثمانون مدينة أقل مما قبلها وما لا يحصى من الضياع والقرى والكنوز.

وفي قرطبة وحدها مائتا ألف بيت، وستمائة مسجد، وخمسون مستشفى، وثمانون مدرسة كبرى عامة، وتسعمائة حمام سوقي، وعدد سكانها مليون نسمة.

وكان بها دار للكتب تحتوي على أكثر من ستمائة ألف كتاب، استولى عليها النصارى واستولى العرب على قرطبة، ووصلت إلى أوج رفعتها في عهد بني أمية، وكانت من أغنى وأرقى دول أوربا.

تدهورت قرطبة بعد سقوط الدولة الأموية وخضعت لأشبيلية، ثم استولى عليها ملك قشتالة فرديناند الثالث.

هذه لمحة سريعة للزمان والمكان الذي عاش فيه إمامنا القرطبي صاحب كتابنا هذا (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة).

ثقافة الإمام القرطبي:

إذا نظرنا إلى ثقافة القرطبي نجدها من النوع العالي الرفيع جدًّا، تلك الثقافة لم تتولد بين يوم وليلة ولكن لا بد أن يداخلها عامل الزمان والمكان كما ألمحنا.

فالحياة الثقافية للقرطبي تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الأول بقرطبة والثاني في مصر.

ففي الأندلس دأب القرطبي على المرور في حلقات العلم التي تقام في المساجد والمدارس الخاصة بذلك، فقد أنشأ أهل الأندلس المدارس وخزائن

الكتب وأقاموها في العواصم والجامعات التي كانت وحدها مواطن العلم في أوربا زمنًا طويلاً ونهل منها القرطبي ثقافته الأولى.

أما عن ثقافته التي حصل عليها في مصر: فقد رحل من الأندلس بصفة عامة بعد أن تنقل في بعض مدنها إلى مصر واستقر بمدينة الإسكندرية بصفتها المدخل الرئيسي على البحر الأبيض المتوسط ومدخل مصر للقادمين من جهة الشمال.

وما زال القرطبي يتنقل من مدن مصر ذاهبًا من الإسكندرية مقبلاً إلى جهات الصعيد مرورًا بالقاهرة يدرس على من يقابله من العلماء يستفيد منهم ويفيدهم إلى أن استقر في قوص إحدى مدن الصعيد من هنا التحم التعليمان تعليم قرطبة وتعليم مصر وأنتجا تلك الثقافة الرفيعة التي تحلى بها إمامنا القرطبي.

شيوخ القرطبي بالأندلس:

القاضي أبو عامر يحيى بن عامر بن أحمد بن منيع.

يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع.

أحمد بن محمد بن القيسي ويعرف بابن أبي حجة.

هؤلاء بعض من تتلمذ عليهم إمامنا القرطبي.

أما عن أساتذته بمصر:

ففي مدرسة الطرطوشي التقى بأبي بكر محمد بن الوليد وهو أيضًا من الأندلس.

أيضًا أخذ عن الحافظ السلفي وهو أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني.

- ابن الجميزي بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم بن أحمد بن علي اللخمي المصري الشافعي.

- ابن رواج رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن رواج.

- أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي وهو قرطبي في أصله وهو مؤلف (المفهم في شرح مسلم) ويخلط الكثيرون بينه وبين مؤلفنا الإمام القرطبي حتى إن بعضهم يذكر أن أبا العباس هو مؤلف كتابنا هذا: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

ومن شيوخ مؤلفنا: الحسن بن محمد بن محمد بن عمرو التيمي النيسابوري أبو علي صدر الدين الكري، وغيرهم كثير.

مؤلفات الإمام القرطبي:

كتب الإمام عدة كتب في التفسير والحديث والقراءات وما وراء الطبيعة (الغيبيات أو الميتافيزيقا) ومن أشهر كتبه:

كتاب: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان.

كتاب: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

كتاب: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

كتاب: شرح التقصي.

كتاب: الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام. وله: التذكار في فضل الأذكار.

كتاب: قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلك السؤال بالكتب والشفاعة.

كتاب: التقريب لكتاب التمهيد.

رسالة في ألقاب الحديث.

كتاب: الأقضية.

كتاب: المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح (في علم اللغة).

كتاب: المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس.

كتاب: منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد.

كتاب: اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية. وغيرها.

وفاته:

توفي رحمه الله ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١هـ ودفن بمدينة بني خصيب (المنيا) مينا الفولي في صعيد مصر.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل كتابه هذا وكتبه الأخرى ثقلاً في ميزان حسناته فإنه إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاثة: «**صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» .

ترجمة الإمام البغوي

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية بالعكوف على دراستهما، والتأليف فيهما، وإحياء ما درس من معالمهما، وكشف كنوزهما ودفائنهما.

ولد في بغشور، والنسبة إليها بغوي على غير قياس، وقيل: اسم المدينة (بغ)، وهي بُليدة بين هراة ومرو الروذ من بلاد خراسان، أنجبت كثيراً من المحدثين والفقهاء، وأهل العلم منهم: أبو الأحوص محمد بن حيان البغوي، وأبو جعفر أحمد بن منيع البغدادي، وأبو جعفر محمد بن حيوية بن سلمويه ابن النضر بن مرداس البغوي، والفقيه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إبراهيم البغوي، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، والقاضي أبو سعيد محمد بن علي بن أبي صالح البغوي، وإسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي، والحافظ أبو الحسن علي بن عبد العزيز البغوي، وراجع تراجمهم في (الأنساب) للسمعاني، و(تاريخ بغداد) للخطيب، و(تذكرة الحفاظ) للذهبي.

ولم تشر المصادر التي ترجمت له إلى السنة التي ولد فيها، ولا كم كان عمره عند موته، إلا أن جميع من ترجم له أرخوا وفاته سنة (٥١٦هـ)[١] وقالوا: إنه بلغ الثمانين أو تجاوزها، فيغلب على الظن أنه ولد في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري.

وقد نشأ شافعي المذهب بحكم البيئة التي عاش فيها، والعلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم، وكانت له يد مشكورة في المذهب الشافعي، فقد

---

(١) وقد انفرد ابن خلكان من بين من ترجم له، فأرخ وفاته سنة (٥١٠هـ).

ألف فيه كتابه (التهذيب) نحى فيه منحى أهل الترجيح والاختيار والتصحيح، إلا أنه رحمه الله لم يكن يتعصب لإمامه، ولا يندد بغيره، بل كان ينظر في جميع المذاهب وآراء الأئمة، ويطلع على حججهم ودلائلهم، ويأخذ غالبًا في كل باب ما يراه أبلغ في الحجة وأوفق للنص.

على أنه حين استوت له المعرفة، وبلغ مرحلة النضج كان يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة الذين هما أصل الدين وملاكه، وإليهما المرجع في المسائل الشرعية، ويؤلف في نشر علومهما، وبث معارفهما، وإحياء مآثرهما التآليف النافعة الماتعة حتى استحق بحق لقب (محيي السنة) من أهل عصره وممن جاء بعدهم.

وقد دفعه حبه للعلم، وحرصه على المعرفة، وشغفه بالسنة أنِ يرحل إلى مرو الروذ[1] ليلتقي بإمام عصره غير مدافع الحسن بن محمد المروزي القاضي، فتتلمذ له، وتفقه عليه وروى عنه، ونهل من علمه، فكان من أخص تلامذته، وأوعاهم، وأفضلهم، وأذكاهم، ولم تقف همته عند ذلك، بل طاف بلاد خراسان[2]، وسمع خلقًا كثيرًا من علمائها، وروى عنهم

---

(١) وتعرف بمرو تمييزًا لها عن مرو الشاهجان التي تقع على بعد (١٦٠) ميلاً عنها، وهي تقع على نهر مرغاب داخلة الآن في حدود تركستان شمال بلاد الأفغان، ويقع بقربها بلد يسمى: قصر الأحنف، نسبة إلى الأحنف ابن قيس القائد المظفر الذي افتتح تلك الناحية، وضمها إلى حظيرة الإسلام في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه سنة (٣٢هـ) ولمرو شهرة عظيمة في التاريخ الإسلامي بما أنجبت من علماء عظام من القرن الأول للهجرة، وحتى نهاية القرن السادس الهجري.

(٢) هي بلاد شاسعة الرقعة إلى الشرق من إيران تشمل الأراضي التي إلى الجنوب من نهر جيحون، وإلى الشمال من هندوكش، ويتبعها أيضًا من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر، وأهم مدنها: نيسابور، ومرو الشاهجان، وهراة، وبلخ، ومرو الروذ، وطوس، ونسا، وأبيورد =

الصحاح، والسنن، والمسانيد، والأجزاء من أجود الطرق وأوثقها، وأوفاها ودرس مذاهب الأئمة المشهورة، وأحاط بها، وخاصة مذهب الإمام الشافعي، وجالس علماء اللغة، وحمل عنهم الكتب التي ألفت في غريب الحديث وفسر معانيه.

ثم إنه ألقى عصا التسيار في مرو الروذ وطنه الثاني، يؤلف الكتب القيمة في التفسير والحديث والفقه، ويفيد الطلبة من علمه الجم، وأفكاره النيرة، وتعاليمه القيمة، إلى أن وافته المنية فيها في شوال عام (٥١٦هـ) ودفن بجانب شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقاني عن عمر يناهز الثمانين.

شيوخه:

وقد تتلمذ لطائفه من أعلام عصره، وروى عن جمع كثير من المحدثين، نذكر منهم:

١- الإمام الكبير أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي فقيه خراسان، وشيخ الشافعية في زمنه، وأحد أصحاب الوجوه المتوفى سنة (٤٦٢هـ)[1] .

=

وسرخس، وجوزجان، والإقليم الذي يعرف الآن باسم خراسان يضم أقل من نصف خراسان القديمة، أما بقيتها، فتابعة لأفغانستان، وهي البلاد التي إلى الشرق من الخط الذي يبدأ من سرخس في الشمال، ويمم صوب الجنوب مباشرة مارًا بمنتصف المسافة بين مشهد وهراة، أما المنطقة الممتدة من مرو حتى نهر جيحون فتدخل في أراضي الاتحاد السوفيتي. راجع دائرة المعارف و بلدان الخلافة.

(١) وما ذكره صاحب معجم المؤلفين في ترجمته من تصانيفه (تلخيص التهذيب) للبغوي في فروع الفقه الشافعي، وسماه (لباب التهذيب) فوهم لأن البغوي رحمه الله هو الذي لخص التعليقة لشيخه هذا في كتابه الذي سماه (التهذيب) أما لباب التهذيب الذي هو تلخيص التهذيب فهو من =

٢- مسند مرو أبو عمر عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي الهروي المتوفى سنة (٤٦٣هـ).

٣- الفقيه الفاضل أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، المعروف بشيخ الحجاز المتوفي سنة (٤٦٣هـ).

٤- المسند أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري، المتوفى سنة (٤٦٦هـ).

٥- الرئيس الكبير أبو علي حسان بن سعيد المنيعي المروزي المتوفى سنة (٤٦٣هـ).

٦- أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المروزي المتوفى سنة (٤٦٣هـ).

٧- شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً الإمام أبو القاسم عبدالكريم ابن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري المتوفى سنة (٤٦٥هـ).

٨- أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد النيسابوري الحافظ الثقة محدث وقته بخراسان المتوفى سنة (٤٧٠هـ).

٩- مفتي نيسابور أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح ابن عبد الملك المراغي الفقيه الشافعي المتوفى سنة (٤٩٢هـ).

١٠- الإمام الفاضل الفقيه عمر بن عبد العزيز الفاشاني، سمع سنن أبي داود من القاضي أبي عمرو القاسم بن جعفر الهاشمي، عن أبي علي اللؤلؤي عنه، وحدث بمرو هذا الكتاب وسمع منه.

١١- أبو الحسن محمد بن محمد الشيرزي، نسبة إلى شيرز قرية بسرخس.

١٢- أبو سعد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي.

=

تأليف الحسين بن محمد المروزي الهروي، وهذا متأخر عن الأول.

١٣- أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد بن أحمد بن موسى الجوزجاني نسبة إلى مدينة بخراسان مما يلي بلخ.

١٤- أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلِّم الطُّوسي.

١٥- أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن بوية الزرَّاد.

١٦- أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني شيخ الزهاد بهراة.

١٧- أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي.

١٨- أبو عبد الله محمد بن الفضل بن جعفر الخرقي -بفتح الخاء والراء- نسبة إلى خرق من قرى مرو.

١٩- أبو الحسين علي بن الحسن بن الحسن القرينيي نسبة إلى ناحية بين مرو الشاهجان ومرو الروذ.

٢٠- أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر الداودي البوشنجي، شيخ خراسان علمًا وفضلاً وجلالة وسندًا، وغير هؤلا كثير ممن روى عنهم في شرح السنة.

تلامذته:

وقد استضاءت بلاد خراسان بعلمه وفضله، وأقبل عليه طلاب العلم يفيدون منه، ويأخذون عنه، ومن هؤلاء:

١- الشيخ العلامة مجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد العطاري الشافعي الأصولي الواعظ المتوفى سنة (٥٧١هـ).

وهو الذي روى (شرح السنة) عن المؤلف، ثم أخذه عنه غير واحد من أهل العلم والفضل كما هو مبين في السماعات.

٢- أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني، المحدث الواعظ المتوفى سنة (٥٥٥ هـ) من تآليفه (الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين) جمعه من مسموعاته عن أربعين شيخًا، كل واحد عن واحد من الصحابة.

٣- أبو المكارم، فضل الله بن محمد النوقاني نسبة إلى نوقان قصبة طوس، وهو آخر من روى عنه بالإجازة، وبقي إلى سنة ستمائة، وأجاز للفخر علي بن البخاري شيخ الإمام الذهبي، وأخذ عنه الكثير من علماء أهل مرو، وغيرهم ممن لم نظفر لهم بتراجم في كتب الرجال.

صفاته:

كان للإمام البغوي رحمه الله من الصفات والمزايا ما كان له أثر كبير في ظفره بلقب (الإمام) و(محيي السنة) و(شيخ الإسلام)[1] ، وغير ذلك من النعوت التي أطلقها عليه بحق كل من ترجم له، فهو حافظ لكتاب الله، وملم بالقراءات، وعالم بما أثر عن الصحابة والتابعين في التفسير، وذو بصر تام بمذهب الإمام الشافعي، وعالم بالخلاف بين المذاهب، وهو من أئمة الحديث وحفاظه، واسع المعرفة بمتونه، وأسانيده، وأحوال رجاله، وهو صاحب عقل لماح، وحافظة واعية، وشغف بالبحث والاطلاع، يجمع إلى صحة النقل وصدق الرواية ، دقة التعبير، ونصاعة الرأي، وجزالة البيان، وهو ذو أفق واسع ، يعرض مذاهب الأئمة بأدلتها بأمانة ودقة، لا يتعصب لمذهب، ولا يندد بغيره ، حريص على نشر معارف الكتاب والسنة، وتعميم تعاليمهما القويمة الصحيحة، والرجوع إلى الطريقة التي جرى عليها الصحابة والتابعون، ومن جاءوا بعدهم من الأئمة الأربعة، والسلف الصالح، ويعتمد مذهب السلف في الصفات والمعتقد، وهو ذو ورع مشهور، واستهانة بمتع الدنيا وزخارفها، وترفع عن التماسها، لا يلقي الدرس إلا على طهارة، ويلبس ما تيسر له من الثياب ، ويرضى بالقليل من الزاد، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شئون الحياة، وهو رضي الخلق، سمح النفس،

---

(١) انظر في تعليل هذه الألقاب ما كتبه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه القيم (الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر) .

عذب الشمائل، حسن النية، صادق الطوية، وقد ظهر آثار ذلك كله فيما خلفه من تآليف متنوعة أثنى عليها العلماء، وتلقتها الأمة بالقبول.

أقوال العلماء فيه:

تجمع المصادر التي ترجمت له على جلالة قدره، ورسوخ قدمه في السنة وعلومها، وإمامته في التفسير، والحديث، والفقه.

قال الحافظ الذهبي: الإمام العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، صاحب التصانيف.

وقال السبكي: وكان البغوي يلقب بمحيي السنة، وبركن الدين، ولم يدخل بغداد، ولو دخلها لاتسعت ترجمته، وقدره عال في الدين، وفي التفسير، وفي الحديث، وفي الفقه، متسع الدائرة نقلاً وتحقيقًا، كان الشيخ الإمام (يريد والده تقي الدين) يجل مقداره جدًّا، ويصفه بالتحقيق مع كثرة النقل، وقال في باب الرهن من تكملة شرح (المهذب) اعلم أن صاحب التهذيب (يريد الإمام البغوي) قل أن رأيناه يختار شيئًا إلا وإذا بحث عنه وجد أقوى من غيره، هذا مع اختصار كلامه، وهو يدل على نبل كبير، وهو حري بذلك، فإنه جامع لعلوم القرآن، والسنة، والفقه.

وقال ابن العماد الحنبلي: المحدث، المفسر، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان.

وقال ابن خلكان: كان بحرًا في العلوم، وصنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وروى الحديث، ودرس، كان لا يُلقي الدرس إلا على طهارة، وماتت له زوجة، فلم يأخذ من ميراثها شيئًا، وكان يأكل الخبز البحت، فعذل في ذلك، فصار يأكل الخبز مع الزيت.

وقال الحافظ ابن كثير: برع في العلوم، وكان علامة زمانه فيها، وكان دينًا، ورعًا، زاهدًا، عابدًا، صالحًا.

قال الحافظ السيوطي: هو إمام في التفسير، إمام في الحديث، إمام في الفقه.

وقال ابن تغري بردي: الإمام، العلامة، الفقيه، المحدث، المفسر.

وقال اليافعي: المحدث، المقرئ، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان، كان سيدًا زاهدًا، قانعًا.

وقال أبو بكر بن هداية: الإمام في التفسير، والحديث، والفقه كان دينًا، ورعًا، قانعًا باليسير.

وقال الطيبي: كان إمامًا في الفقه، والحديث متورعًا، ثبتًا، حجة، صحيح العقيدة.

وقال ابن نقطة: إمام، حافظ، ثقة، صالح.

وقال ابن قاضي شهبة : كان إمامًا في التفسير، إمامًا في الحديث، إمامًا في الفقه.

مؤلفاته:

لقد ترك البغوي -رحمه الله- عدة مؤلفات في التفسير، والفقه، والحديث، وإليك وصف ما وقفنا عليه منها:

١- مجموعة من الفتاوى ضمنها فتاوى شيخه، وهي مسائل فقهية سئل عنها شيخه الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي، فأجاب عنها، فتتبعها المؤلف رحمه الله ، وجمعها على ترتيب مختصر المزني، وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة منه تحت رقم (٣٧٥) فقه شافعي، نسخت سنة (٩١٣هـ).

٢- التهذيب في فقه الإمام الشافعي، وهو تأليف محرر، مهذب مجرد عن الأدلة غالبًا ، لخصه من تعليقة شيخه القاضي حسين، وزاد فيه، ونقص، وهو مشهور عند الشافعية، يفيدون منه، وينقلون عنه، ويعتمدونه في كثير

من المسائل، والإمام النووي - رحمه الله - يكثر النقل عنه في (الروضة)[1] يقع في أربع مجلدات ضخام، يوجد منه المجلد الرابع في الظاهرية تحت رقم (٢٩٢) فقه شافعي، يرجع تاريخ نسخه إلى سنة (٥٩٩هـ).

٣- (معالم التنزيل) وهو تفسير متوسط جامع لأقاويل السلف في تفسير الآي، محلى بالأحاديث النبوية التي جاءت على وفاق آية أو بيان حكم، وقد تجنب فيه إيراد كل ما ليس له صلة بالتفسير، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى) (١٩٣/٢) عن أي التفسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري، أو القرطبي؟ أم البغوي؟ أم غير هؤلاء؟ فقال: وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي.

وقد طبع أكثر من مرة، وجميع طبعاته لا تخلو من تحريف، وتصحيف، وهو جدير بأن يُعنى به، ويطبع طبعة علمية محررة.

٤- (مصابيح السنة) جمع فيه طائفة من الأحاديث مما أورده الأئمة في كتبهم محذوفة الأسانيد ، وقسمها إلى صحاح وحسان، وعنى بالصحاح، ما أخرجه الشيخان أو أحدهما، وبالحسان ما أخرجه أصحاب السنن، طبع عدة مرات، وهو كتاب مشهور متداول عُني به العلماء قراءة، وتعليقًا وشرحًا.

وقد اعتمده الخطيب التبريزي، وزاد عليه، وهذبه في كتابه: (مشكاة المصابيح) وقد طبع أكثر من مرة في بلاد تركستان والهند، وأجود طبعاته الطبعة الأخيرة التي نشرها المكتب الإسلامي بتحقيق الأستاذ ناصر الدين الألباني.

٥- (شرح السنة). وقد سبق وصفه.

---

(١) هو من أوعب الكتب في المذهب الشافعي، وقد يسر الله للمكتب الإسلامي طبعه، وقد صدر منه حتى الآن ثمانية أجزاء.

٦- (الأنوار في شمائل المختار) ذكره صاحب (كشف الظنون)، وغير واحد ممن ترجم له، وعرض له الكتاني في (الرسالة المستطرفة) ص ٨٨، وقال: رتبه على أحد ومائة باب على طريقة المحدثين.

٧- (الجامع بين الصحيحين) ذكره صاحب (كشف الظنون). وبعض من ترجم له، ولم نقف عليه.

٨- (الأربعين حديثًا) ذكره ابن قاضي شهبة عن الذهبي.

الفصل الأول

تمهيد

اعلم أخي المسلم أن لكل كائن حي، كالإنسان والحيوان، أو نام كالأشجار والنباتات، علامات تظهر له عند دنو أجله، وقرب ساعة هلاكه، والكون له - حتمًا - علامات تدل على قرب فنائه، ووقت دماره وخرابه، وقد جاء الوحي الإلهي بذكر تلك العلامات وبيانها، ونبهت الرسل إليها، ولفتت النظر إليها، تحذيرًا وتعليمًا في القرآن الكريم: ﴿**فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**﴾ [محمد: ١٨].

﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر**﴾ [القمر: ١-٣].

﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم**﴾ [الزخرف: ٥٧-٦١].

﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ [النمل: ٨٢] ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم**

من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [الأنبياء: ٩٦- ٩٧].

على من تقوم الساعة[1]

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس من لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا يتهارجون كما تتهارج الحمر**».

وخرج مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى**» فقلت: يا رسول الله إني كنت لا أظن حين أنزل الله تعالى: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك عام، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث ريحًا طيبة، فتتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، فيبقى من لا خير فيه؛ فيرجعون إلى دين آبائهم**».

تنبيه الغافلين

أيها الغافل قف وتدبر هذه الآيات: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾ [الحج: ١-٢].

﴿**القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾. [القاعة: ١-٥].

﴿**يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن * ولا يسأل حميم حميمًا * يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ***

(١) التذكرة ص ٩٩.

وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه * كلا إنها لظى﴾ [المعارج: ٨-١٥].

﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها﴾ [الزلزلة: ١-٣].

﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت﴾ [التكوير: ١-٦].

﴿إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجَّت الأرض رجًّا * وبست الجبال بسًّا * فكانت هباء منبثًا﴾ [الواقعة: ١-٦].

﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ [ق: ٤١-٤٢].

﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ [القمر: ٦-٨].

﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾[المعارج: ٤٣-٤٤].

﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبًا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٥١- ٥٢].

إلى كل مسلم ومسلمة انتبه قبل الندم، وراجع نفسك قبل فوات

الأوان؛ لأن القرآن واضح، ولكننا في مصر تركنا العمل به، وأصبحنا نقرؤه للأموات في المقابر وفي الصيوان المفخفخ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أشراط الساعة

عن حذيفة بن أسيد الغفاري -رضي الله عنه- قال: اطلع النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن نتذاكر، فقال «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[1] .

أشراط الساعة ليلاً أو نهاراً

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**خروج الآيات بعضها على أثر بعض يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام**»[2]، وفي جزء من حديث للنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**وقال عيسى -عليه السلام-: فيما عهد إلي ربي -عز وجل- أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً**))[3].

والمسيح الدجال هو أعظم فتنة أخبر عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال -صلى الله عليه وسلم- : «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر -وفي رواية فتنة أكبر- من الدجال**»[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/٢٧ - ٢٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة صحيح الجامع (٣٢٢٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/١٨٩- ١٩٠) وقال أحمد شاكر: سنده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم مع شرح النووي (٤/١٢٦- ١٢٧) الفتن.

النبي يحذر أمته من فتنة الدجال

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعـور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر**»[1].

وعن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «**إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعـور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**»[2].

وعن حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين، مـاء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج، فإذا أدركا أحد فليأت الـذي رآه نـارًا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب، فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسـوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[3].

أدوات عذاب الدجال

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليـه وسـلم-: «**ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه، إنه أعور وإنه يجيء معـه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كمـا أنذر به نوح قومه**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم مع شرح النـووي (١٠١/٤) الفـتن.

(٢) أخرجه مسلم مع شـرح النـووي (١٠٠/٤).

(٣) أخرجه مسلم مع شرح النـووي (١٠٥/٤) الفـتن.

(٤) أخرجه مسلم مع شرح النووي (١٠٩/٤) الفتن.

خروج الدجال

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة**»[(١)] .

أين يدخل الدجال

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة**»[(٢)] وذكر الحديث.

وفي حديث فاطمة بن قيس: «**فلا يدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليه كلتاهما**»[(٣)] .

وفي بعض الروايات: «**فلا يبقى له موضع لا يدخله إلا ويأخذه، غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع**»[(٤)].

فتنة المسيح الدجال

قال -صلى الله عليه وسلم- موضحًا فتنة الدجال.. وفي آخر الحديث قال -صلى الله عليه وسلم-: «**وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستعذ بالله. وليقرأ فواتح سورة الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا، كما كانت النار على إبراهيم وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن أبعث لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟**

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٧) وأحمد (٧٥٤/١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨/٣) ومسلم (٢٩٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) وأبو داود (٤٣٠٤).

(٤) أخرجه أحمد (٣٦٤/٥، ٤٣٤، ٤٣٥) بسند صحيح.

فيقول: نعم، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، فينشرها بالمنشار حتى يلقى شقين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربًا غيري، فيبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول ربي الله، وأنت عدو الله أنت الدجال ، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك من اليوم. وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقوه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم في يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعًا، وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيها من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف المصلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فيُنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص»[1].

نزول عيسى عليه السلام

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**».

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا**﴾[2] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٢) وابن ماجه (٤٠٧٧) بسند حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٦/٤٩٠- ٤٩١) ومسلم (٢/١٨٩-١٩١).

نهاية الدجال

يكون هلاك الدجال على يد المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وذلك أن الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة ويكثر أتباعه وتعم فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، وعند ذلك ينزل عيسى بن مريم -عليه السلام- على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عباد الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدا المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهاً نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُد)(١) ، فإذا رآه الدجال، ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى -عليه السلام-: إن لي فيك ضربة لن تفوتني. فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي. تعال فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود(٢).

وعند ذلك تنتهي أعظم فتنة وجدت على وجه الأرض منذ خلق آدم -عليه السلام- وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسائل النجاة

أما عن النجاة من فتنة الدجال فلن تكون إلا بتلك الأشياء:

١- أن نعتصم بالركن الشديد، وأن نلجأ إلى الله -جل وعلا- أن يحفظنا من تلك الفتنة.

٢- التعوذ من فتنته، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يدعو في الصلاة **((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال))**(٣).

---

(١) (لُد) بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٢٨- ١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح (٢/٣١٧) ومسلم (٥/٨٧).

٣- الفرار من الدجال والبعد عنه... لو استطعت أن تسكن مكة أو المدينة فهنيئًا لك؛ فإن الدجال لا يقدر على أن يدخل مكة ولا المدينة.. قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات**»[١] .

حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات (خواتيمها) وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»[٢] .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال**»[٣] أي من فتنته.

الحكم العادل

وتظهر البركات من الأرض والسماوات في عهد عيسى -عليه السلام- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا عادلاً.. وليضعن الجزية ولتتركن القلاص (الناقة الشابة) فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد**))[٤] .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن**

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن عمران بن حصين صحيح الجامع (٦٣٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٦٥/١٨) كتاب الفتن: باب ذكر الدجال.

(٣) أخرجه مسلم مع شرح النووي (٩٢/٦-٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٢/٢) باب نزول عيسى -عليه السلام-.

مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، **فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأُسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم**»[1] .

ولقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال، ونزول عيسى وخروج يأجوج في زمن عيسى -عليه السلام- ودعائه عليهم وهلاكهم وفيه قوله - صلى الله عليه وسلم - «**ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة - المرآة - ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركته ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في اللبن حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس**»[2].

يأجوج ومأجوج

وهذا أيضًا من علامات الساعة الكبرى، فعن زينب بنت جحش أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها يومًا فزعًا يقول : «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها**» قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[3] .

وقال تعالى: ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**﴾ [الأنبياء: ٩٦- ٩٧].

---

(١) رواه أحمد وقال ابن حجر: سنده صحيح ، فتح الباري (٦/٤٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨/٦٣) كتاب الفتن.

(٣) أخرجه البخاري (٦/٣٨١) ومسلم (١٨/٢ - ٤) كتاب الفتن.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم حتى إنهم ليمرون بالنهر، فيشربون حتى ما يذروا فيه شيئًا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء، ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لننازلن أهل السماء، حتى أن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم، فيقول لقد قتلنا أهل السماء ..**»[1].

كيفية هلاكهم

وعن كيفية هلاكهم يقول -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولئك على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف - دود يكون في أنوف الإبل والغنم- في رقابهم، فيصبحون فرسى -قتلى- كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأ زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت -الإبل- فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله**»[2] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٧٧٩) وابن ماجه (٤٠٧٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٨/٦٨- ٦٩) باب ذكر الدجال.

دخان من السماء

وقال تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم**﴾[الدخان: ١٠-١١]. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال والدخان**»[١] .

وقد نقل البخاري[٢] عن ابن مسعود أنه فسر ذلك بما كان لقريش من شدة الجوع بسبب القحط الذي دعا عليهم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان أحدهم يرى كأن فيما بينه وبين السماء دخانًا من شدة الجوع، وهذا التفسير غريب جدًا و لم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره.

وقد حاول بعض العلماء المتأخرين رد ذلك ومعارضته بما ثبت في حديث أبي شريحة حذيفة بن أسيد: «**لا تقوم الساعة حتى تروا آيات فذكر فيهن الدجال والدخان والدابة**» وكذلك في حديث أبي هريرة: «**بادروا بالأعمال ستًا...**» فذكر فيهن هذه الثلاث..

والحديثان في صحيح مسلم مرفوعان المرفوع مقدم على كل موقوف.

وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام وليس كما روي عن ابن مسعود أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع.

قال الله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ أي واضح جلي وليس خيالاً من شدة الجوع: ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾ أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا يسألون كشف هذه الشدة عنهم فإنهم قد آمنوا وارتقبوا ما وعدوا من الأمور الغيبية الكائنة بعد ذلك يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة والإنابة، والله أعلم[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم (٨٧/١٨) مع شرح النووي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢١/٨).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم للإمام ابن كثير (١٨٧/١- ١٨٨).

الخسوفات الثلاثة

وتلك الخسوفات الثلاثة من علامات الساعة الكبرى.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات..**» فذكر منها «**وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»[1] .

طلوع الشمس من مغربها

عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2] .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**»[3] .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض**»[4] .

خروج الدابة

قال تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ [النمل: ٨٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/٢٧-٢٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧/٧٦) كتاب التوبة.

(٣) أخرجه البخاري (ج٨/٤٦٣٥) ومسلم (ج١/٢٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (١/٢٤٩) والترمذي (ج٥/٣٠٧٢).

وعن ابن عمرو -رضي الله عنهما- قال: حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبًا**»(١) .

وهناك اختلاف بين العلماء في المكان الذي تخرج منه الدابة، فمنهم من قال: إن الدابة تخرج من مكة المكرمة، من أعظم المساجد، ومنهم من قال غير ذلك. فالله أعلم.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرن فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول من الرجل المخطم**»(٢) .

وأما عن المراد بتكليم الدابة، فمنهم من قال: تكلمهم كلامًا، ومنهم من قال تكلمهم أي تجرحهم.

وقال ابن عباس: كلاّ تفعل، أي: المخاطبة والوسم.

ظهور النار

وهذه آخر علامة من علامات الساعة الكبرى

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/٧٧- ٧٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) صحيح الجامع (٢٩٧٧).

معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا»[1] .

وعند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن، تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج.

الأول: فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون.

الثاني: فوج يمشون تارة، ويركبون أخرى، ويعتقبون على البعير الواحد.

والفوج الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار[2] .

قال الإمام ابن كثير:

فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد، كما تقدم في الصحيحين اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، يعني يعتقبونه من قلة الظهر، كما تقدم، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر وتحشر بقيتهم النار، وهي التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم تسوقهم من كل جانب، إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته النار، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا، حيث الأكل والشرب، والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت ولا ظهر يسري ، ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العرصات[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٧٧) ومسلم (١٧/١٩٤- ١٩٥).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٣٠- ٢٣١).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٣٠- ٢٣١) الجامع (٣٢٢٧).

الاستعداد ليوم الميعاد

اعلموا جميعًا:

١- أن الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب الذي لا يتم إيمان المسلم إلا بالإيمان به.

٢- أن الإيمان بأشراط الساعة داخل في الإيمان باليوم الآخر.

٣- أن ما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأخبار سواء كانت متواترة أو آحادًا يجب الإيمان بها وقبولها، ولا يجوز ردها، فالعقائد تثبت بالخبر الصحيح ولو كان آحادًا.

٤- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أخبر أمته بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، ولقد نالت أشراط الساعة من أخباره النصيب الأوفر.

٥- أن علم الساعة مما استأثر الله تعالى به، فلم يُطْلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً.

٦- لم يثبت حديث صحيح في تحديد عمر الدنيا.

٧- أن أشراط الساعة الصغرى ظهر كثير منها ولم يبق إلا القليل.

٨- أن المراد بظهور أشراط الساعة الصغرى ظهورًا كليًّا هو استحكام ظهور كل العلامات حتى لا يبقى ما يقابلها إلا في النادر.

٩- ليس معنى كون الشيء من أشراط الساعة أن يكون ممنوعًا، بل أشراط الساعة تشتمل على المحرم والواجب والمباح والخير والشر.

١٠- إذا ظهر أول أشراط الساعة الكبرى، تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضًا.

١١- أن ما ظهر من أشراط الساعة هي معجزات للنبي -صلى الله عليه وسلم- وعلم من أعلام نبوته، حيث أخبر عن أشياء بأنها ستقع، فوقعت كما أخبر.

١٢- أن ظهور كثير من أشراط الساعة دليل على خراب هذا العالم، وأنه قد قربت نهايته، فهي كعلامات الموت التي تظهر على المحتضر.

١٣- أن باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، قفل إلى يوم القيامة.

١٤- أن طلوع الشمس من مغربها ليس هو قيام الساعة، بل يكون بعدها شيء من أمور الدنيا كالبيع والشراء ونحوهما.

١٥- أن آخر أشراط الساعة الكبرى هو خروج النار التي تحشر الناس إلى الشام، وهذا الحشر يكون في الدنيا قبل يوم القيامة.

١٦- أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس.

بعض علامات القيامة المتوسطة

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أشراط الساعة سوء الجوار، وقطيعة الرحم، وأن يعطل السيف من الجهاد، وأن تختل الدنيا بالدين**» رواه ابن مردويه والديلمي.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: إنكم في زمان الصلاةُ فيه طويلة، والخطبة فيه قصيرة، وعلماؤه كثير، وخطباؤه قليل، وسيأتي على الناس زمان الصلاة فيه قصيرة ، والخطبة فيه طويلة، خطباؤه كثير، وعلماؤه قليل، يؤخرون الصلاة، صلاة العشي إلى شرق الموتى، فمن أدرك ذلك فليصل الصلاة لوقتها، وليجعلها معهم تطوعًا. رواه الطبراني.

قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، وروى الإمام مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد، أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لإنسان : إنك في زمان كثير فقهاؤه ، قليل قراؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، وتضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة يبدون أعمالهم قبل أهوائهم.

وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف

القرآن وتضيع حدوده، كثير من يسأل قليل من يعطي، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة، ويبدون فيه أهواءهم، قبل أعمالهم.

قلت: وفي هذا الخبر أمور وقعت في زمننا، منها قلة الفقهاء بمعنى الكلمة ، أما المتسمون فموجودون بدون معنى، ومنها ما وجد من كثير من المجيدين للقراءة، المضيعين للعمل، تسمعه منهم غضًا طريًا بتجويد وفصاحة، ومنها إطالة الخطبة عند كثير من أهل زمننا وتقصير الصلاة، وهذا خلاف السنة، ومنها كثرة سؤالهم، وقلة إعطائهم، فهؤلاء طريقتهم ضد طريقة السلف، نعوذ بالله من الانتكاس، وعن علي -رضي الله عنه- أنه قال: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقًا، فيباهي بعضهم بعضًا ، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله. رواه الدارمي.

قال العلماء: وهذا الأثر له حكم المرفوع، لأنه إخبار عن أمر غيبي، فلا يقال إلا عن توقيف.

وعن أبي الزاهرية، واسمه حدير بن كريب- يرفع الحديث: ((**إن الله تعالى قال: أبث العلم في آخر الزمان، حتى يعلمه الرجل والمرأة، والعبد والحر، والصغير ، والكبير ، فإذا فعلت ذلك بهم، أخذتهم بحقي عليهم**)). رواه الدارمي وأبو نعيم في الحلية.

قلت: وفي هذا الحديث معجزة وقعت طبق ما ذكر.

وعن عمرو بن تغلب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((**إن من أشراط الساعة أن يكثر التجار، ويظهر القلم**)). رواه أبو داود الطيالسي في مسنده.

ألم تر أن المرء يودي شبابه — وأن المنايا للرجال تشعب

فمن ذائق كأسًا من الموت مــرة | وآخر أخــرى مثلهـا يـترقب
لها منهــم زاد حثيـث وسـائق | وكل بكأس الموت يومًا سيشرب
وما وارث إلا ســيورث مالــه | ولا سالب إلا قريبًــا سيسـلب
ولا آلــف إلا ســيتبع إلفــه | ولا نعمــة إلا تبيــد وتذهــب
وما من معان في المصـائب جمـة | يعاورها العصران إلا ســيعطب
أرى الناس أصنافًا أقاموا بغربــة | تقلبهــم أيامهــا وتقلــب
بدار غــرور حلــوة يعمرونهــا | وقد عاينوا فيها زوالاً وجربــوا
يذمون دنيا لا يريحــون دارهــا | فلم أر كالدنيا تـــذم وتطلــب
تسرهم طورًا وطــورًا تذيقهم | مضيض مكاو حرهــا يتلهب

اللهم إنا نعوذ بك من شر أنفسنا والشيطان والدنيا والهوى، ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك، يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

متاع الدنيا قليل

قال الله تعالى: ﴿**قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمــن اتقــى ولا تظلمون فتيلاً**﴾ وقال ﴿**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ عباد الله، يعيش ابن آدم ما قدر الله له أن يعيش، ويمشي الإنسان في هذه الأرض ويتقلــب فيها، ويرى حلوها ومرها، وسرورها، وأحزانها، ويأخذ فيها حظــه مــن الشقاء وحظه من السعادة، بمقدار ما قدره الله له وما قدره عليه، ولكن لكل هذا نهاية، ولكل ذلك غاية ، قال الله جل وعلا: ﴿**كـــل نفــس ذائقــة الموت**﴾ وقال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلــك الخلد أفإن مت فهم الخالدون، كل نفس ذائقة الموت**﴾ وقــال: ﴿**إنــك ميت وإنهم ميتون**﴾ فسبيل الموت غاية كل حي والخلود في دار الفناء غــير معقول، أيها المسلم عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شــئت فــإنك مفارقه.

لعمرك ما الدنيـــا بـــدار إقامـــة إذا زال عن عين البصير غطاؤها
وكيف بقاء الناس فيهـــا وإنمـــا ينال بأسباب الفنـــاء بقاؤهـــا
سلام على دار الغـــرور فإنهـــا منغصـــة لذاتهـــا بالفجـــائع
فإن جمعت بين المحبين ساعـــــة فعما قليل أردفت بالـــــموانع

فالبقاء في الدنيا محال، هذه الدنيا جسر، هذه الدنيا ممر ومعبر وطريق إلى الآخرة، ومن الناس من يتخبط في هذه الطريق ويتعثر فيها ولا يهتـــدي، ومن الناس من يوفقه الله فيسلكها مستقيماً لا يلوي على شيء إلا على زاد الآخرة ، وأمل يهدف إليه، في تلك الدار الباقية ، ذلك الهدف هو رضا رب العزة والجلال، الذي فيه كل نعيم، الذي فيه الهدوء والاطمئنان، والذي فيه الفوز والنجاة من كل مكروه، تلك حال من اتعظ واعتبر فنفعتـــه العـــبرة، ولمس الموعظة من دروس الحياة وأحداثها فاهتدى، وزاده الله هدى، تلـــك حال من اعتبروا، فنفعتهم العبرة، وجعلوا التقوى إلى الله أمامهم لا يحيـــدون عنها، يخافون ربهم ويخشون سوء الحساب. ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾.

أيها المسلم! لقد خرجت من ظلمـــات، وســـتنتهي إلى ظلمـــات، خرجت من ظلمات الأرحام، وتنتظرك ظلمات القبور، خرجت من أحشاء أمك، واستقبلتك أحشاء أخرى، أقوى وأعظم، قال تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ دفعك جوف يحن عليك، إلى جوف الأرض، وبين الجوفين أمور وأمور، ففي الدنيـــا الســـراء والضـــراء والسعادة والشقاء إنك تخرج من شدة إلى رخاء، ومن رخـــاء إلى بـــلاء، وتصادفك عقبات في طريقك بعد عقبات، وتتغير أحوالك من حـــالات إلى حالات، فمن ذل إلى عز، ومن عز إلى ذل، ومن غنى إلى فقر، ومن فقر إلى يسر، ومن صحة إلى مرض، ومن مرض إلى عافية، ومن راحة إلى تعـــب، هذه هي الدنيا وهذه أحوالها: عزها لا يدوم، ورخاؤها لا يبقى، قـــال الله

تعالى: ﴿**قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾ فحاسب نفسك أيها المسلم قبل أن تحاسب، وزن أعمالك قبل أن توزن عليك، وراقب مولاك الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وتب إليه توبة نصوحًا، قال تعالى: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى**﴾.

يلذ بهذا العيش من ليس يعقل ... ويزهد فيه الألمعي المحصل
وما عجب نفس ترى الرأي إنما ... العجيبة نفس مقتضى الرأي تفعل
إلى الله أشكو همة دنيوية ... ترى النص إلا أنها تتأول
ينهنهها موت النبيه فترعوي ... ويخدعها روح الحياة فتغفل
وفي كل جزء ينقضي من زمانها ... من الجسم جزء مثله يتململ

اللهم يا من فتح بابه للطالبين، وأظهر غناه للراغبين نسألك أن تسلك بنا سبيل عبادك الصادقين وأن تلحقنا بعبادك الصحالين، اللهم أحي قلوبًا أماتها البعد عن بابك، ولا تعذبها بأليم عقابك يا كريم يا منان، يا من جاد على عباده بالإنعام والإفضال، اللهم أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، وارزقنا ما رزقت أولياءك، من نعيم قربك، ولذة مناجاتك، وصدق حبك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

قلوب الذئاب

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله : أبي تغترون أم عليّ تجترئون، فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران**» رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام**» رواه أحمد والبخاري والدارمي.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**والذي بعثني بالحق لتكونن بعدي فترة في أمتي، يبتغى فيها المال من غير حله، وتسفك فيها الدماء، ويستبدل فيها الشعر بالقرآن**» رواه الديلمي.

وعن الحسن عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

وعن معاذ -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تزال الأمة على الشريعة ما لم تظهر فيهم ثلاث؛ ما لم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم ولد الحنث، ويظهر فيهم الصقارون**» قالوا: وما الصقارون يا رسول الله؟ قال: «**نشء يكونون في آخر الزمان، تكون تحيتهم بينهم التلاعن**» رواه أحمد والطبراني.

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يكون في آخر الزمان أقوام إخوان العلانية، أعداء السريرة**» فقيل: يا رسول الله، وكيف يكون ذلك؟ قال: «**ذلك برغبة بعضهم إلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض**» رواه الإمام أحمد والبزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية.

وعن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق**» أخرجه أبو داود.

وعن طارق بن زياد قال: خرجنا مع عليّ -رضي الله عنه- إلى الخوارج، فقتلهم ثم قال: انظروا فإن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنه سيخرج قوم يتكلمون بالحق لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الحق كما يخرج السهم من الرمية، سيماهم أن منهم رجلاً أسود، مخدج اليد، في يده شعرات سود، إن كان هو فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن هو فقد قتلتم خير الناس**» فبكينا، ثم قال: اطلبوا، فطلبنا فوجدنا المخدج، فخررنا سجودًا، وخر علي -رضي الله عنه- معنا ساجدًا. رواه أحمد والنسائي.

وعن أبي جحيفة -رضي الله عنه- قال: قال علي -رضي الله عنه- حين فرغ من الحرورية: إن فيهم رجلاً مخدج اليد ليس على عضده عظم، في عضده حلمة كحلمة الثدي، عليها شعرات طوال عقف، فالتمس فلم يوجد، قال: وأنا فيمن يلتمسُ، فما رأيت عليًّا -رضي الله عنه- جزع قط أشد من جزعه يومئذ قالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين. قال: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: كذبتم إنه لفيهم، فالتمسوه، قالوا: فثورنا القتلى فلم نجده، فعدنا إليه، فقلنا: يا أمير المؤمنين، ما نجده، قال: ما اسم هذا المكان؟ قلنا: النهروان، قال: صدق الله ورسوله وكذبتم إنه لفيهم فالتمسوه، فالتمسناه فوجدناه في ساقية، فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدي المرأة، عليها شعرات طوال عقف. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار**» رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**سيأتي**

على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة» قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه، يتكلم في أمر العامة**» وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يزداد الأمر، إلا شدة ولا الدنيا إلى إدبارًا، ولا الناس إلا شحًا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم**» روى الحديثين ابن ماجه.

وعن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئًا فقال: «**ذاك عند أوان ذهاب العلم**» قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن ونقرؤه أبناءنا، ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إن كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء منها**». رواه ابن ماجه.

وعن سلامة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد، فلا يجدون إمامًا يصلي بهم**». أخرجه أبو داود.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر من أشراط الساعة أن يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة، يذوب قلبه في جوفه، كما يذوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره. رواه ابن مردويه.

وعن جابر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم، كما يستخفي المنافق فيكم**» رواه ابن السني، وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد فلا يركع ركعتين**» رواه أبو داود.

وعن حذيفة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: «**يأتي دعاة على أبواب جهنم**» ووصفهم رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- أنهم: «**من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قال: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك**». رواه البخاري ومسلم.

وعن الضحاك أنه قال: يأتي على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث، حتى يبقى المصحف عليه الغبار لا يُلتفت إليه.

وعن وابصة الأسدي عن أبيه أنه سأل عبد الله بن مسعود قال: متى تكون أيام الهرج؟ قال: حين لا يأمن الرجل جليسه قال: فما تأمرني؟ قال: اكفف نفسك ويدك، وادخل دارك. رواه أحمد.

وفي المسند عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**يخرج قوم في آخر الإسلام، سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان**» أو قال: «**أحداث، يقولون من خير قول الناس، يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن أدركهم فليقتلهم، فإن في قتلهم أجرًا عظيمًا عند الله**» .

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من اقتراب الساعة الحلف بغير الله والشهادة من غير أن يستشهد، وكثرة الطلاق، وموت الفجأة**» أخرجه أبو نعيم في الحلية. قلت: وهذا الحديث علم من أعلام النبوة، وصدق الرسالة، فإن كل فقرة من فقراته قد تحققت في العصر الحاضر، فتأمله بدقة.

فإن الحلف بغير الله قد كثر جدًّا، وكذلك الشهادة يبذلها كثير من الناس بدون طلب، وكذلك كثرة الطلاق، وهذه تدل على ضعف إيمان هؤلاء، وأما موت الفجأة فكثير ، فمنه السكتة القلبية، والجلطة الدموية، وما ينشأ عن انقلاب السيارات وتصادمها، وسقوط الطائرة، والانفجارات، فكلها يصدق عليها موت الفجأة ، اللهم صل وسلم على من لا ينطق عن

الهوى، وكل الأحاديث التي تقدمت ، والتي تأتي، تأملها وطبقها ولا حاجة إلى شرحها؛ لأنه شيء واضح واقع، ولكن الناس في غفلة عنها معرضون، ومنهمكون في طلب الدنيا وجمعها، والتكاثر فيها.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق، ومن جحر إلى جحر فإذا كان كذلك لم تنل المعيشة إلا بسخط الله، فإذا كان ذلك، كان هلاك الرجل على يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي قرابته أو الجيران**» قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يعيرونه بضيق المعيشة، فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها نفسه**» رواه البيهقي كما في كتاب الزهد (ج٣/ص٤٤٤) من كتاب الترغيب والترهيب.

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أشراط الساعة بيع الحكم، وكثرة الشرط**» أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن بين يدي الساعة ظهور شهادة الزور، وكتمان الحق**» رواه أحمد والبخاري.

تخير قرينًا من فعالك إنما … يزين الفتى في القبر ما كان يفعل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن … بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلابد بعد القبر من أن تعده … ليوم ينادى المرء فيه فيسأل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته … ولا قبله إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضعيف لأهله … يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

العلامة الثالثة

الأمارة الثالثة منها خروج الدجال، وقد أنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها، ونعتته بالنعوت الظاهرة، ووصفته بالأوصاف الباهرة، وحذر منه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وأنذر، ونعته لأمته نُعوتًا لا تخفى على ذي بصر، فعن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «**إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة**» رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:«**ما بعث نبي إلا قد أنذر أمته الدجال الأعور الكذاب، ألا وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**» وفي رواية: «**يقرؤه كل مسلم**» رواه أبو داود.

وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إنَّ المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد، أعور مطموس العين، ليست بناتئة ولا حجراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**» رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن مسيح الضلالة أعور العين أجلى الجبهة عريض النحر، فيه دفأ، كأنه قطن بن العزى**» فقال قطن، هل يضرني شبهه؟ قال: «**لا، أنت مسلم وهو امرؤ كافر**» رواه أحمد.

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لما أسري بي رأيت الدجال في صورته، رؤيا عين، ليس رؤيا منام**» فسئل عنه فقال: «**أقمر هجانًا فيلمانيًا، إحدى عينيه قائمة، كأنها كوكب**

دري، **كأن شعره أغصان شجرة**» رواه أحمد.

وعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الدجال خارج من خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وشمالاً، يا عباد الله فاثبتوا**» رواه مسلم، وابن ماجه.

وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«**أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة**» رواه ابن ماجه وأحمد والحاكم.

وعن جابر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الدجال يخرج في خفةٍ من الدين، وإدبار من العلم**» رواه أحمد وابن خزيمة.

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب**» رواه مسلم، وروواه ابن ماجه عن أبي أمامة بهذا اللفظ.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار**» رواه البخاري ومسلم.

وعن حذيفة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الدجال: «**إن معه ناراً وماءً، فناره ماءً بارداً، وماؤه ناراً، فلا تهلكوا**» قال ابن مسعود: وأنا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وعنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب طيب**» فقال عتبة: وأنا سمعته تصديقًا لقول حذيفة.

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فأما إن أدركن أحدًا، فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض ثم ليُطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة**» رواه مسلم.

وعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدجال فخفض فيه ورفع، حتى ظننا أنه في طائفة النخل، فلما رحنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عرف ذلك فينا. فقال: «**ما شأنكم؟**» فقلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال فخفضت فيه ثم رفعت، حتى ظننا أنه في طائفة النخل. قال: «**غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه قائمة**» الحديث وفيه قال: «**فيأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له، ويؤمنون به، فيأمر السماء أن تمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين، ما بأيدهم شيء، ثم يمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**» الحديث. رواه مسلم وابن ماجه.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**» رواه مسلم.

وعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف** » رواه مسلم.

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**» رواه أبو داود.

وعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات**» رواه أبو داود، وعن أم شريك -رضي الله عنهما- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ليفرن الناس من الدجال في الجبال**» قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: «**هم قليل**» رواه مسلم.

وأما قدر لبثه في الأرض فعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: قلنا: يا رسول الله وما لبثه -أي الدجال- في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له**» قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح**» رواه مسلم وابن ماجه.

وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار**» رواه البغوي في شرح السنة.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون:**

والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلوهم، فينهزم ثلث لا يتــــوب الله عليه أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله تعالى، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، وقــــد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذاك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينمــــا هــــم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريــــم فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانــــذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته» رواه مسلم.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلــــى الله عليــــه وسلم-: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقــــب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين، تحرسها، فينزل بالســــبخة، فــــترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه كل كافر ومنافق» رواه مسلم.

خطبة عظيمة كلها أمثال وحكم للنبي ﷺ

فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «أما بعد، فإن أصــــدق الحديــــث كتاب الله تعالى، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملــــة إبراهيــــم وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهيد، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب واليــــد العليا خير من اليد السفلى، وما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهــــى، وشــــر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن النــــاس مــــن لا يأتي الصلاة إلا دبرًا، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرًا، وأعظم الخطايــــا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقــــوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلب اليقين، والارتياب من الكفــــر

والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جثا جهنم، والكنز كي من النار، والشعر من مزامير إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقى في بطن أمه، وإنما يصيرُ أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر بآخره وملاكُ العمل خواتمه وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يتبع السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، استغفر الله لي ولكم» انتهى.

سبق القضاء بكل ما هو كائن ... والله يا هذا لرزقك ضامن
تعنى بما تكفي وتترك ما به ... تمنى كأنك للحوادث آمن
أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها ... فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بأنك لا أبا لك في الذي ... أصبحت تجمعه لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتعمر في الذي ... لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه ... حق وأنت بذكره متهاون
إن المنية لا تؤامر من أنت ... في نفسه يومًا ولا تستأذن

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة ووفقنا للتوبة النصوح والإنابة وثبت محبتك في قلوبنا تثبيت الجبال الراسيات وألهمنا ذكرك وشكرك آناء الليل والنهار، وثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نزول عيسى من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة العظمى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**﴾ أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان، حتى تكون الملة واحدة، ملة إبراهيم عليه السلام.

وأما السنة: ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**» .

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وقد انعقد الإجماع على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، إمامًا عادلاً وحكمًا مقسطًا**» رواه أحمد وابن عساكر وأبو يعلى.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «**يمكث عيسى أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، ويدفن عند نبينا -صلى الله عليه وسلم-**» رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وعن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليهلن عيسى ابن مريم بفج الروحاء بالحج والعمرة، أو ليثنينها جميعًا**» وعن أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل، فإذا رأيتموه**

فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم» الحديث.

يأجوج ومأجوج من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة العظمى خروج يأجوج ومأجوج، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق**﴾ وأما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بن مريم عليه السلام، بعد قتله للدجال، إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أولهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار**» .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، وثلاثة خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن**» الحديث. رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد، وهو في مسلم وذكر فيه ((**خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**)).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**» أخرجه البخاري.

هدم الكعبة من العلامات الكبرى

ومن العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة، أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**» وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- نحوه وزاد «**ويسلبها حليها، ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع، يضرب عليها بمسحاته أو معوله**» وعن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**كأني أنظر إليه**» يعني ذا السويقتين «**أسود أفحج ينقضها حجرًا حجرًا**» يعني الكعبة. رواه أحمد.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**في آخر الزمان يخرج ذو السويقتين على الكعبة**» قال: حسبت أنه قال: «**فيهدمها**» رواه أحمد.

وروى البزار عن أبي سعيد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**» .

الدخان من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة العظمة الدخان، قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعال: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ قال ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى: هو دخان قبل قيام الساعة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، وأما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة -رضي الله عنه- قال: طلع علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون**» قالوا: الساعة يا رسول الله. قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا فيها آيات**»

فذكر منها الدخان. ورواه الترمذي وابن ماجه، وأنه يمكث في الأرض أربعين يومًا. وفي حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: «**إن من أشراط الساعة دخانًا يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث في الأرض أربعين يومًا، فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من فيه ومنخريه، وعينيه وأذنيه ودبره**» رواه الطبراني.

رفع القرآن الكريم من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة العظمى رفع القرآن العظيم من الصدور والسطور، وهي من أشد معضلات الأمور، فأخرج الديلمي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**يسرى على كتاب الله ليلاً، فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت**». وعند الديلمي من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-: «**لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الله عز وجل: مالك؟ فيقول: منك خرجت وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي**» وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**يدرس الإسلام، حتى لا يدرون ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية**» .

اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معصيتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

طلوع الشمس من المغرب من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة وأشراطها طلوع الشمس من مغربها. قال العلماء رحمهم الله: طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**﴾.

إذا فهمت ذلك فاعلم أنه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة أحاديث، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: حفظت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها، قريبًا منها.

وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الغفاري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال يومًا: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش، فيقال لها أرجعي ارتفعي ، أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها**» فقال عليه السلام: ((**أتدرون متى ذلك؟ حين ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾**)) الآية.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا جميعًا، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها**» أخرجه البخاري.

وعن صفوان بن عسال -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن من قبل مغرب الشمس بابًا مفتوحًا عرضه سبعون سنة، فلا يزال ذلك مفتوحًا للتوبة، حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت من نحوه ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾**» أخرجه ابن ماجه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن**

آمنت من قبل﴾» فقرأ الآية. أخرجه أبو داود.

والمقصود أن من لم يؤمن قبل أن يأتي بعض الآيات، لا ينفعه إيمانه إن آمن بعد إتيانها، ولا يحصل للمؤمن المقصر أن يزاد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير الموجود قبل أن يأتي بعض الآيات، والحكمة ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان بالغيب وكان اختيارًا من العبد، فأما بعد وجود الأيات فيصير الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمان الضروري ولهذا لما أدرك فرعون الغرق، وجزم بالهلاك **﴿قال آمنت أنه لا إلهِ إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾** قال الله تعالى مبينًا أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع: **﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾** وقال تعالى مخبرًا عن أمثال فرعون ممن عاينوا بأس الله، وأدركوا الغرور، واعترفوا بما كانوا ينكرون، وأقروا بوحدانية الله، وكفروا بشركائهم من دونه، ولكن الأوان كان قد فات: **﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا، سنة الله التي قد خلت في عباده﴾** ذلك أن سنة الله قد جرت على أن لا تقبل التوبة بعد ظهور بأس الله فهي توبة فزع وخوف، لا توبة إيمان صحيح.

ولما دنى مني السياق تعطفت ... عليّ وعندي عن تعطفها شغل
أتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

وهذه سنة الله في جميع الكفار، إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية، أنه لا ينفعهم الإيمان؛ لأن إيمانهم صار مشاهدًا، كإيمان الواردين على القيامة، والذي ينفع الإيمان بالغيب كما قال تعالى: **﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾** فالشأن في الإيمان بالغيب الذي لم يُر ولم يُشاهد وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

فعن أبي العالية في قوله تعالى: **﴿يؤمنون بالغيب﴾** قال: يؤمنون بالله

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره، ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت، وبالبعث فهذا غيب كله. اهـ. قال في لوائح الأنوار: فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة، وما في معناها مما هو مسطر في الدر المنثور للسيوطي، أن الشمس إذا طلعت من مغربها لا ينفع الإيمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان كافرًا أو مشركًا ولا التوبة المحدثة فيه لمن كان مخلِّصًا، ولا أعمال البر المحدثة فيه إن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم، وأما من كان قبل ذلك مؤمنًا فإن الإيمان المجرد عن الأعمال السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه، ولأجل نجاته، وإيمانه المتجدد يومئذ ينفعه أيضًا لأنه نور على نور، وإن لم تقبل توبته عن سيئاته، وأن الإيمان السابق مع التخليط ينفعه، مع ما تقدم له من الأعمال الصالحة التي كان يعملها، وإنما الممنوع قبل توبته عن تخليطه، وقبول ما لم يكن متصفًا به من الإيمان وأعمال البر لمثل ذلك اليوم، والضابط أن كل بر محدث يكون السبب في إحداثه ورؤية الآية، و لم يسبق من صاحبه مثله، لا ينفع سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل بر ليس كذلك، لكون صاحبه كان عاملاً به قبل رؤية الآية ينفع، وهذا التحقيق نبه على مثله الإمام المحقق العلامة ابن مفلح في الآداب، قال في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا طلعت الشمس من مغربها طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه، وكفى الناس العمل**» ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعمله من الفرائض، وكذا من النوافل. قبل طلوع الشمس من المغرب. فيجب الإتيان بما كان يأتي به قبل ذلك، وينفعه ما يأتي به من الإيمان الذي كان يأتي به قبل ذلك، وكفى الناس العمل، أي عملاً لم يكونوا يعملونه. وحكى ابن الجوزي عن الضحاك أن من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية، قال ابن مفلح: فالعمل الصالح الذي سببه ظهور الآية اضطرته إليه، وأما ما كان يعمله فظهور الآية لا تأثير لها فيه، فبقى الحكم كما قبل الآية.

كل يـــزول وكـــل هـــالك فـــان | إلا الإله ومـــا لله مـــن ثـــان
قضـــى وقـــدر تقديـــراً فأتقنـــه | سبحانه هو ذو عـــز وســـلطان
فارضوا بما قدر الجبـــار واحتســـبوا | إن الرضا بالقضا حـــق لديـــان
وبـــادروا بثنـــاء الله وارتجعـــوا | عند المصائب في سر وإعـــلان
لا تأسفن على ما فات من عـــرض | فالرب يخلفه فضـــلاً بإحســـان
هذي الحياة وربي صفوهـــا كـــدر | لا بد زائلة عن كـــل إنســـان
يشقى اللبيب ويمسي فيها ذا عطب | تبًا لهـــا دار أكـــدار وأحـــزان
إن المصاب الذي يأتي بـــلا عمـــل | يوم المعاد ومن يجزي بحرمـــان
وما أصاب جميع الناس مـــن ضـــرر | إلا بظلمهمو شـــؤم وعصيـــان
نستغفر الله قـــد بـــانت جراءتنـــا | على الإله ولم نسخط لشـــيطان
نحن المسيئون نحن التـــابعون هـــوى | نحن الألى خلصوا ذنبًا بعصيـــان
ونحن في غفلـــة عمـــا أريـــد بنـــا | والكل في سكرة ويحًا لسكران
ولم نراقب إله العرش في عمـــل | وذا وربك منا ضعف إيمـــان

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

خروج الدابة من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة وأشراطها خروج الدابة من الأرض، وخروجها ثابت بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، وتكلمهم، والدليل من السنة ما ورد عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات**» فذكر منها الدابة. رواه أحمد ومسلم.

وعن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بادروا بالأعمال ستًا**» فذكر: «**ودابة الأرض**» رواه ابن ماجه. وعن طلحة بن عمر، في حديث طويل جاء فيه: قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدابة فقال: «**لها ثلاث خرجات في الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، أعنى مكة، ثم تكمن زمنًا طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية**» يعني مكة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثم بينما الناس في أعظم المساجد وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى وتثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فبدأت بهم فجعلت وجوههم حتى جعلتها كالكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها في الصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي، فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر، حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي، وحتى أن الكافر يقول يا مؤمن اقضني حقي**» رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى بن عمران عليهما السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر**» رواه ابن ماجه وأحمد.

خروج النار من العلامات الكبرى

ومن علامات الساعة خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم، تبيت حيث باتوا، وتقيل حيث قالوا، وقد ثبت ذلك بالسنة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- ، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**» متفق عليه.

وعن حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات**» ومنها: «**نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم**» رواه الستة إلاّ البخاري، وعن أنس -رضي الله عنه-، أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أول أشراط الساعة. فقال: «**نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**» رواه أحمد.

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ستخرج نار من -حضرموت أو من بحر حضرموت- قبل يوم القيامة، تحشر الناس**» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**» أخرجه أحمد والترمذي.

لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس

ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس**» فقد أخرج الإمام أحمد، ومسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تجيء بعد عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام، فلا تبقي على وجه الأرض أحدًا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان، فيقولون ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دار رزقهم، وحسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور**» وأخرج الإمام أحمد ومسلم أيضًا والترمذي من حديث النواس بن سمعان: «**فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذ تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر**» أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار: «**فعليهم تقوم الساعة**».

وفي حديث أبي هريرة عند الحاكم: «**إن الله يبعث ريحًا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان إلا قبضته**».

وقال السفاريني ناظمًا للعلامات العظام والأشراط الجسام، التي تعقبها الساعة:

وما أتى بالنص من أشراط ... فكله حق بلا شطاط
منها الإمام الخاتم الفصيح ... محمد المهدي والمسيح
وأنه يقتل للدجال ... بباب لد خل عن جدال
وأمر يأجوج ومأجوج أثبت ... فإنه حق كهدم الكعبة
وأن منها آية الدخان ... وأنه يذهب بالقرآن
طلوع شمس الأفق من دبور ... كذات أجياد على المشهور

وآخر الآيـــات حشـــر النـــار كما أتى في محكـــم الأخبـــار
فكلها صحـــت بهـــا الأخبـــار وسطرت آثارهـــا الأخيـــار
أيقن بأشـــراط القيامـــة كلهـــا واسمع هديت نصيحتي وبياني
كالشمس تطلع من مكان غروبها وخروج دجال وهول دخـــان
وخروج يأجوج ومأجوج مـــعًا من كل صقيع شاسع ومكان

اللهم يا مصلح الصالحين أصلح فساد قلوبنا، واستر في الدنيا والآخرة عيوبنا واغفر بعفوك ورحمتك ذنوبنا، وهب لنا موبقات الجرائر واستر علينا يا مولانا فاضحات السرائر، ولا تخلنا في موقف القيامة من برد عفوك وغفرانك ولا تتركنا من جميل صفحك وإحسانك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الله خلق الخلق ليعبدوه

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبدوه، ويعرفوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه، ويخافوه خوف إجلال، ووصف لهم شدة عذابه، ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه، ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال والأغلال، وما احتوت عليه من الضريع والزقوم والحميم والسلاسل والغساق والغسلين، وغير ذلك مما فيها من الأهوال والفظائع والعظائم، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه ، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، وأخبر جل وعلا بأن الخلق واردوها قال تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا**﴾ فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فيا أيها الغافل الساهي عن نفسه، المغرور بما هو فيه

من الاشتغال بعمائره وأراضيه وسياراته ، وشركاته ومقاولاتـــه وزوجاتـــه وأولاده، وكل ما يلهيه عن ذكر الله وطاعته، والالتفات إلى دار القرار، دع التفكر وقتل الوقت فيما أنت مرتحل عنه، وجد في السير عنـــه، واصــرف فكرك فيما أمامك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، لعلك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلق وقد خرجوا من قبورهم حفاة عراة غرلاً ﴿**مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر**﴾ تفكر في ازدحام الخلائق وقــد صهرتهم الشمس، إلا من أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلـــه، واشـــتد الكرب والغم من الوهج، وتدافعت الخلائق لشـــدة الزحـــام، واختـــلاف الأقدام، وانضاف إلى ذلك شدة الخجل والحياء ، والخوف مــــن الفضـــائح والاختزاء عند العرض على الجبار، وقرب الشمس من الخلق فيبلغ عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، كما في حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا**» .

وكيف يلذ العيش من هو موقن ... بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنا نرى أن لا نشـــور وأننـــا ... سدى ما لنا بعد الممات مصادر
ألا لا ولكنا نغر نـــفوســـنا ... وتشغلنا اللذات عما نحـــاذر

وتأمل صفة يوم القيامة ودواهيه، لعلك أن تسعد له قبل أن تفـــارق الروح البدن، ويحال بينك وبين الأعمال الصالحات ، وتندم حين لا ينفعك الندم، فإن في ذلك اليوم الرهيب تنفطر السماء والكواكب تنتثر، والبحـــار تفجر، والنجوم تنكدر، والشمس تكور، والجبال تسير، والعشـــار تعطـــل، والوحوش تحشر، والنفوس تزوج، والجحيم تسعر والجنة تقرب، والأرض تمد يوم ترى الأرض قد زلزلت، وأخرجت أثقالها: ﴿**يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم**﴾ يوم تحمل: ﴿**الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئـــذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائهـــا**

ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ ﴿يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ يوم ترج الأرض رجًا، وتبس الجبال بسًا، يوم ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ يوم ينسف الله الجبال ﴿نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا﴾ يوم ﴿ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾ يوم تنشق فيه السماء فتكون ﴿وردة كالدهان﴾ ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾.

وقال تعالى: ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل، ولا هم ينصرون﴾ وقال: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة﴾ وقال: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ ، ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا﴾ الآية ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا﴾ ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت، يوم تخرس فيه الألسن، وتنطق فيه الجوارح، يوم شيب ذكره سيد المرسلين، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت**» أخرجه الحاكم وصححه، وأخرجه الترمذي وحسنه.

وقال الله تعالى: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ وقال تعالى: ﴿**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**﴾ وقال: ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ قال المفسرون: إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل، فيختم الله على أفواههم ختمًا لا يقدرون معه على الكلام، وتتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه، وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارهم، بعد أقدرها الله تعالى لها على الكلام، ليكون أدل على صدور الذنب منهم، وأخرج مسلم وأحمد والنسائي والبزار وغيرهم عن أنس في قوله تعالى: ﴿**اليوم نختم على أفواههم**﴾ الآية قال: كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فضحك حتى بدت نواجذه قال: «**أتدرون مم أضحك؟**» قلنا: لا يا رسول الله. قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: إني لا أجيز عليَّ إلا شاهدًا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلي بينه وبين الكلام، فيقول: بعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أناضل**» وأخرج مسلم والترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يلقى العبد ربه، فيقول الله: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول : لا ، فيقال: إني أنساك، كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول آمنت بك وبكتابك ورسولك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول ألا نبعث شاهدًا عليك؟ فيفكر في نفسه: من الذي يشهد عليَّ فيختم على فيه، ويقال لفخذه انطقي، فتنطق فخذه وفمه وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه**» .

أهوال يوم القيامة

قال ابن القيم رحمه الله في ذكر بعض أهوال يوم القيامة:

وتحدث الأرض التي كنـــا بهـــا ... أخبارهـــا في الحشـــر للرحمـــان

وتظل تشهد وهي عدل بـــالذي ... من فوقها قد أحـــدث الثقـــلان

وتمـــد أيضًـــا مـــد أديمنـــا ... مـــن غـــير أوديـــة ولا كثبـــان

وتفيئ يوم العرض من أكبادهـــا ... كـــالأصطوان نفـــائس الأثمـــان

كـــل يـــراه بعينـــه وعيانـــه ... ما لامرئ بـــالأخذ منـــه يـــدان

وكذا الجبال تفت فتًـــا محكمًـــا ... فتعود مثل الرمل ذي الكثبـــان

وتكون كالعهن الـــذي ألوانـــه ... وصباغة مـــن ســـائر الألـــوان

وتبس بسًـــا مثـــل ذاك فتنثـــني ... مثل الهبـــاء لنـــاظر الإنســـان

وكذا البحار فإنهـــا مســـجورة ... قد فجرت تفجير ذي الســـلطان

وكذلك القمـــران يـــأذن ربنـــا ... لهمـــا فيجتمعـــان يلتقيـــان

هذي مكورة وهـــذا خاســـف ... وكلاهما في النـــار مطروحـــان

وكواكب الأفلاك تنـــثر كلهـــا ... كلآلئ نـــثرت علـــى ميـــدان

وكذا السماء تشق شقًا ظاهـــرًا ... وتمور أيـــضًا أيمـــا مـــوران

وتصير بعد الانشقاق كمثل هـــ ... ذا المهل أو تكُ وردة كدهـــان

وقال القحطاني رحمه الله:

يوم القيامة لو علمـــت بهولـــه ... لفررت من أهل ومن أوطـــان

يوم تشـــققت الســـماء لهولـــه ... وتشيب منه مفـــارق الولـــدان

يـــوم عبـــوس قمطريـــر شـــره ... في الخلق منتشر عظيم الشـــان

يـــوم يجـــيء المتقـــون لربهـــم ... وفدًا على نجب مـــن العقيـــان

ويجيء فيه المجرمون إلى لظـــى ... يتلمظون تلمظ العطـــشـــان

انتهى الفصل الأول على بركة الله تعالى، ويليه إن شـــاء الله تعـــالى الفصل الثاني، تم أخذه من كتاب (التذكرة للإمام القرطبي رحمه الله تعالى).

الفصل الثاني

الفتن وعلامات يوم الدين

من كلام الإمام القرطبي رحمه الله

ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفي تعظيم حرمته عند الله تعالى

روى ابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع: «**ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا، وإن أحرم الشهور شهركم هذا، وإن أحرم البلد بلدكم هذا، ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت ؟**» قالوا: نعم. قال: «**اللهم اشهد**»(١) .

خرجه مسلم من حديث أبي بكرة وجابر بمعناه.

وخرج ابن ماجه أيضًا عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب رائحتك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن لا يظن به إلا خيرًا**»(٢) .

مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»(٣) .

النسائي عن بريدة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**قتل المؤمن عند الله أعظم من زوال الدنيا**»(٤) .

الترمذي عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة**»(٥) قال: حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) صحيح: مسلم في القسامة (٢٩/١٦٧٩) وابن ماجه (٣٩٣١).

(٢) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٣٩٣٢) في إسناده مقال.

(٣) صحيح: مسلم في البر (٣٢/٢٥٦٤).

(٤) صحيح: النسائي في التحريم (٤٠٠١).

(٥) صحيح: الترمذي في الفتن (٢١٦٢).

ما جاء في قتل المؤمن والإعانة على ذلك

قال الله تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا**﴾ [النساء:٩٣] وقال تعالى: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا**﴾ [الفرقان: ٦٨].

وروى عبد العزيز بن يحيى المدني قال: حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد، عن ثابت قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعظنا ويحدثنا ويقول: «**والذي نفسي بيده ما عمل على وجه الأرض قط عمل أعظم عند الله بعد الشرك من سفك دم حرام، والذي نفسي بيده إن الأرض لتضج إلى الله -تعالى- من ذلك ضجيجًا تستأذنه فيمن عمل ذلك على ظهرها لتخسف به**»[1] .

وذكره أبو نعيم قال: حدثنا شافع بن محمد بن أبي عوانة الإسفراييني قال: حدثنا أحمد بن عبد الجوهري قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى قال: حدثنا مالك. فذكره.

وروى أبو داود عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا**»[2] .

وعنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يزال المؤمن معنقًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا فإذا أصاب دمًا حرامًا بلح**»[3] قال

---

(١) موضوع: أبو نعيم في الحلية (٢/١٩٠) فيه عبد العزيز بن يحيى متهم بالوضع.

(٢) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٧٠).

(٣) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٧٠).

الهروي: بلح، أي: أعيا وانقطع به، يقال: بلح الفرس إذا انقطع جريه، وبلحت الركية إذا انقطع ماؤها.

وذكر أبو بكر النيسابوري قال: حدثنا زكريا بن يحيى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا الفزاري، عن زياد بن أبي زيادة الشامي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أعان في قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته: آيس من رحمة الله**»[1] .

قال الهروي وفي الحديث: «**من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة**» قال شقيق: هو أن يقول فيه اقتل، أو كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كفى بالسيف شاهدًا**» معناه: شافيًا.

(١) ضعيف: ابن ماجه في الديات (٢٦٢٠).

إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل ومن أين تجيء والتحذير منها وفضل العبادة عندها

قال الله تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ [الأنفال: ٢٥] وقال تبارك وتعالى: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾ [الأنبياء: ٣٥] ففي هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[١].

وعن زينب بنت جحش زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا فزعًا محمرًا وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بإصبعين الإبهام والتي تليها قالت: فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[٢].

وعن أسامة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: «**هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[٣] أخرجهما البخاري.

روى البيهقي، عن كرز بن علقمة الخزاعي قال: سأل رجل النبي -صلى الله عليه وسلم-: هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام**» فقال: ثم ماذا؟ قال: «**ثم تقع الفتن كالظلل**» فقال الرجل:

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (١١٨/١٨٦).

(٢) صحيح: البخاري (٣٣٤٦).

(٣) صحيح: البخاري في فضائل المدينة (١٨٧٨).

كلا والله إن شاء الله. قال: «**بلى والذي نفسي بيده لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1] . قال الزهري: أساود صبا: الحية السوداء إذا أراد أن ينهش ارتفع هكذا ثم انصب. خرجه أبو داود الطيالسي أيضًا.

قال ابن دحية أبو الخطاب الحافظ: هذا الحديث لا مطعن في صحة إسناده. رواه سفيان بن عيينة، عن الزهري عن عروة بن الزبير عن كرز، قرأته بجامع قرطبة وبمسجد الغدير وبمسجد أبي علاقة على المحدث المؤرخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري قال: سمعت جميع هذا الكتاب وهو جامع الخير للإمام سفيان بن عيينة عن الشيخين الجليلين الثقة المفتي أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، والوزير الكاتب الثقة أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف قالا قرأناه على العدل أبي القاسم حاتم بن محمد التميمي بحق سماعه على الثقة الفاضل أبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس -رحمه الله- بمكة -حرسها الله تعالى- بالمسجد الحرام بحق سماعه على الثقة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الديلي، بحق سماعه على الثقة الصالح أبي عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، بحق سماعه من الإمام الفقيه أبي محمد سفيان بن عيينة.

قال المؤلف -رحمه الله-: وقد حدثني بهذا السند المذكور الفقيه القاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن إجازة عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، وكرز - هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعي أسلم يوم الفتح وعمر طويلاً، وهو الذي نصب أعلام الحرم في خلافة معاوية وإمارة مروان بن الحكم - وفيه: ثم مه، قال ثم تعود الفتن بدل قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تقع الفتن ولم يذكر قول الزهري إلى آخره.

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: قول الرجل: ثم مه هنا على

---

(١) صحيح: أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٩٠).

الاستفهام، أي: ثم ما يكون. ومـه: في غير هـذا الموضع زجر وإسكات، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**مه إنكن صواحب يوسف**» وقوله: «**كأنها الظلل**» الظلل: السحاب، والظلة، السحابة ومنه قوله تعالى: ﴿**فأخذهم عذاب يوم الظلة**﴾ [الشعراء: ١٨٩]. وقوله الرجل بجهله: كلا والله، معناها: الجحد بمعنى لا والله.

وقيل: هي بمعنى الزجر فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بلى والذي نفسي بيده**» وبلى للنفي استفهامًا كان أو خبرًا أو نهيًا، فالاستفهام ﴿**ألست بربكم**﴾[الأعراف: ١٧٢] ﴿**أليس ذلك بقادر**﴾[القيامة:٤٠] جوابه: بلى هو قادر ومثال الخبر ﴿**لن تمسنا النار**﴾[البقرة: ٨٠][آل عمران: ٢٤] جوابه قالوا: بلى تمسكم، ومثال النهي: لا تلق زيدًا، جوابه: بلى لألقينه.

قال أبو الخطاب بن دحية: وقوله (صبا) هكذا قيدناه بضم الصاد وتشديد الباء على مثال غر. والأساود: نوع من الحيات عظام فيها سوداء وهو أخبثها، والصب منها التي تنهش ثم ترتفع ثم تنصب. شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصب من الحيات.

قال المؤلف -رحمه الله-: الأساود جمع أسود وهو الحية وصبا جمع صاب كغاز وغز، وهو الذي يميل ويلتوي وقت النهش ليكون أنكى في اللدغ وأشد صبًا للسم، ويجوز أن يكون جمع أصب وهو الذي ينصب عند النهش انصبابًا، والأول من صبا إذا مال والثاني من صب إذا سكب.

مسلم عن أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: استيقظ النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة فزعًا مرعوبًا يقول: «**سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجر -يريد أزواجه- لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»[1].

وعن عبيد بن عمير قال: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) صحيح: البخاري في العلم (١١٥) ولم أجده في مسلم.

فقال: «**يا أصحاب الحجرات سعرت النار، وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**»(١) .

قال أبو الحسن القابسي: هذا وإن كان مرسلاً، فإنه من جيد المراسيل، وعبيد بن عمير من أئمة المسلمين.

روى مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة. سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول: «**إن الفتنة تجيء من هاهنا** وأومأ بيده نحو المشرق **من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله تعالى له: ﴿وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم وفتناك فتونًا﴾**» [طه: ٤٠](٢).

وعن معقل بن يسار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**»(٣) .

قوله: «**ويل للعرب من شر قد اقترب**» قد تقدم معنى الويل، والمراد به هنا الحزن ، قال ابن عرفة : فأخبر -عليه الصلاة والسلام- بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب ، وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة، فصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا في البراري بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام، وما جاءهم به من الدين والإسلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضًا ، وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم**﴾ [محمد: ٣٨] ولهذا لما قالت زينب في سياق الحديث : أنهلك وفينا

---

(١) ضعيف: حديث مرسل.

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠٥/٤٠).

(٣) صحيح : مسلم في الفتن (٢٩٤٨/١٣٠).

الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**» .

قال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: قولها أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**» . دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون.

فأما إذا كثر المفسدون وقل الصالحون هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا ما صنع المفسدون، وهو معنى قوله: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[الأنفال: ٢٥] بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره على ما نبينه.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ [الأنعام:١٦٤] ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ [المدثر:٣٨] ﴿**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾ [البقرة:٢٨٦] وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب.

وقرئ ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة وهي قراءة زيد بن ثابت وعلي وأبي، وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

والجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك.

روى الأئمة عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس عليه غيره، وذلك أضعف الإيمان**»[(1)] .

روي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكرًا لا يستطيع

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (٤٩/٧٨)، وأبو داود (٤٣٤٠) والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٢٤) وابن ماجه (١٢٧٥) وأحمد (٣/١٠).

النكير عليه فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر لا أرضاه، فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه، فأما إذا سكت عليه فكلهم عاصٍ، هذا بفعله وهذا برضاه كما ذكرنا. وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة الفاعل فانتظم في العقوبة. دليله قوله تعالى: ﴿**إنكم إذًا مثلهم**﴾ [النساء: ١٤٠] فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون وأخلصوا كراهيتهم لله -تعالى- وتبرءوا من ذلك حسبما يلزمهم ويجب لله عليهم غير معتدين سلموا. قال الله تعالى: ﴿**فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم**﴾ [هود: ١١٦].

وقال: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون**﴾[الأعراف: ١٦٥].

وقال ابن عباس: قد أخبرنا الله -عز وجل- عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا: ﴿**لم تعظون قومًا الله مهلكهم**﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وروى سفيان بن عيينة قال: حدثنا سفيان بن سعيد عن مسعر، قال: بلغني أن ملكًا أمر أن يخسف بقرية، فقال: يا رب إن فيها فلانًا العابد فأوحى الله -تعالى- إليه أن به فابدأ؛ فإنه لم يتغير وجهه في ساعة قط.

وقال وهب بن منبه : لما أصاب داود الخطيئة قال: يا رب، اغفر لي، قال: قد غفرتها لك وألزمت عارها بني إسرائيل قال: كيف يا رب وأنت الحكم العدل لا تظلم أحدًا؟ أعمل أنا الخطيئة ويلزم عارها غيري؟! فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنك لما اجترأت عليّ بتلك المعصية لم يعجلوا عليك بالنكرة.

وروى أبو داود عن العرس بن عميرة الكندي، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها**» وقال مرة: «**فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»(١). وهذا نص في الفرض.

---

(١) ضعيف: أبو داود في الملاحم (٤٣٤٥).

وحسن رجل عند الشعبي قتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فقال الشعبي: قد شركت في دمه.

وفي صحيح الترمذي: «**إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**»[1]، فالفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما في قصة السبت حين هجروا العاصين، وقالوا: لا نساكنكم، وبهذا قال السلف -رضي الله عنهم-.

روى ابن وهب، عن مالك قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها، واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها، خرجه أهل الصحيح.

وقال مالك في موضع آخر: إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في آخر الأرض. وقال: إن لزوم الجماعة نجاة وإن قليل الباطل وكثيره هلكة وقال: ينبغي للناس أن يغضبوا لأمر الله -تعالى- في أن تنتهك فرائضه وحرمه، والذي أتت به كتبه وأنبياؤه، أو قال: يخالف كتابه.

قال أبو الحسن القابسي: الذي يلزم الحق ويغضب لأمر الله -تعالى- على بينة من النجاة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله**»[2] .

قال أبو عمرو: وروى أشهب بن عبد العزيز، قال: قال مالك: لا ينبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير حق والسب للسلف. قال أبو

---

(١) صحيح: الترمذي في الفتن (٢١٦٨).

(٢) صحيح البخاري في المناقب (٣٦٤٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٢٠/١٨٠).

عمر: أما قول مالك هذا، فمعناه: إذا وجد بلداً يعمل فيه الحق في الأغلب. وقد قال عمر بن عبد العزيز: فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت الأرض والله جوراً وظلماً، قال أبو عمر: فأين الهرب إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضا بأقل قوت. وقال منصور بن الفقيه فأحسن:

الخير أجمع في السكوت — وفي ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا — فاقنع له بأقل قوت

وكان سفيان الثوري يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين، فكيف بالمشهورين، هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن.

ويُحكى عنه أنه قال: والله ما أدري أي البلاد أسكن، فقيل له: خراسان فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة، فقيل: الشام؟ فقال: يشار إليكم بالأصابع -أراد الشهرة-، فقيل له: العراق؟ قال: بلد الجبابرة، فقيل له: فمكة؟ قال: مكة تذيب الكيس والبدن.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي قال شيخي في العبادة: لا يذهب بك الزمان في مصافاة الأقران ومواصلة الأحزان، ولم أر للخلاص طريقًا أقرب من طريقين: إما أن يغلق المرء على نفسه بابه، وإما أن يخرج إلى موضع لا يعرف فيه، فإن اضطر إلى مخالطة فليكن معهم ببدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت. أنشدني محمد بن عبد الملك الصوفي قال: أنشدني أبو الفضل الجوهري: (الخير أجمع في السكوت) البيتان.

قال القاضي: ولي في هذا المعنى شعر:

حاز السلامة مسلم — يأوي إلى سكن وقوت
ماذا يؤمل بعد ما — يأوي إلى بيت وقيت

قال المؤلف رحمه الله: ولأبي سليمان الخطابي في هذا المعنى شعر:

أنست بوحدتي ولزمت بيتي ... فدام الأنس لي ونما السرور

وأدبني الزمان فلا أبالي ... هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بسائل ما دمت حيًّا ... أسار الخيل أم ركب الأمير

والشعر في هذا المعنى كثير، وسيأتي للعزلة له زيادات بيان من السنة إن شاء الله -تعالى-، وكثرة الخبث ظهور الزنا وأولاد الزنا.

وذكر ابن وهب عن يحيى مولى الزبير أنه ذكر أن في زمان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خسف قبل المشرق، فقال بعض الناس يا رسول الله: يخسف الأرض وفيها المسلمون؟ فقال: «**إذا كان أكثر أهلها الخبث**»[1].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي، فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاسقين لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ثم بعثوا على نياتهم**» وفي رواية: «**أعمالهم**» وقد تقدم هذا في المعنى، فمن كانت نيته صالحة أثيب عليها، ومن كانت نيته سيئة جوزي عليها، وفي التنزيل: ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾ [الطارق:٩] فاعلمه.

ما جاء في رحى الإسلام ومتى تدور

أبو داود عن البراء بن ناجية عن عبد الله بن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا**». قال: قلت: أمما بقي؟ قال: «**مما مضى**»[2].

---

(١) صحيح: ذكره الهيثمي في المجمع (٧/٢٦٩) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح: أبو داود في الفتن والملاحم (٣٢٥٤).

قال الهروي في تفسير هذا الحديث: قال الحربي: ويروى: تزول، وكأن تزول أقرب؛ لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها، وتدور يكون بما يحبون ويكرهون فإن كان الصحيح سنة خمس، فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان -رضي الله عنه- وإن كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجمل، وإن كانت سنة سبع ففيها كانت صفين غفر الله لهم أجمعين.

وقال الخطابي: يريد -عليه الصلاة والسلام- أن هذه المدة إذا انقضت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله لذلك الهلاك يقال: الأمر إذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة، وقوله: (ليقم لهم دينهم) أي ملكهم وسلطانهم، وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بني أمية من المشرق نحو من سبعين سنة وانتقاله إلى بني العباس، والدين: الملة والسلطان ومنه قوله تعالى: ﴿**ليأخذ أخاه في دين الملك**﴾ [يوسف:٧٦] أي في سلطانه، وقوله: «**تدور رحى الإسلام**» دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدائرة التي تطحن لما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس.

ما جاء أن عثمان رضي الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة

الترمذي عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال: لما أريد عثمان -رضي الله عنه- جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك. قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارجًا خير لي من داخل. قال: فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال: أيها الناس إنه كان في الجاهلية اسمي فلان بن فلان فسماني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله، ونزلت في آيات من كتاب الله تعالى نزلت: ﴿**وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ [الأحقاف: ١٠] ونزلت في ﴿**قل كفى بالله**

شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد:٤٣] إن لله سيفًا مغمودًا عنكم وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم، فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة ولتسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة، قال: فقالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان[1] . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

قلت: ومثل هذا من عبد الله لا يكون إلا عن علم من الكتاب، أعني التوراة على ما يأتي، أو سمعه من النبي -صلى الله عليه وسلم- وسيأتي قول حذيفة لعمر: إن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر.

مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه

قال العلماء بالسير والأخبار: إنه دخل على أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في الدار جماعة من الفجار منهم: كنانة بن بشر التجيبي فأشعره مشقصًا أي قتله به فانفضح الدم على المصحف ووقع على قوله تعالى: **﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾** وقيل: ذبحه رجل من أهل مصر يقال له عمار ، وقيل ذبحه ورومان، وقيل قتله الموت الأسود يقال له أيضًا الدم الأسود من طغاة مصر فقطع يده، فقال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت في المصحف، وهذه البلوى التي ثبتت في الصحيح عن أبي موسى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل حائطًا وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال : «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنية ثم قال: «**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**»،

---

(١) ضعيف: الترمذي في المناقب (٣٨٠٣).

فإذا عثمان بن عفان[1] لفظ البخاري ذكره في مناقب عثمان.

وقد قيل: إن الصحيح في مقتله -رضي الله عنه- أنه لم يتعين له قاتل معين بل أخلاط الناس وهم رعاع جاءوا من مصر ومن غير قطر، وجاء الناس إلى عثمان فيهم عبد الله بن عمر متقلداً سيفه وزيد بن ثابت ، فقال له زيد بن ثابت: إن الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: لا حاجة لي في ذلك كفوا، وكان معه في الدار الحسن والحسين وابن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، ومروان ابن الحكم ، كلهم يحملون السلاح ، فعزم عليهم في وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ، فقال له الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح، فضاق عثمان - رضي الله عنه - من الحصار ومنع من الماء حتى أفطر على ماء البحر الملح، قال الزبير بن بكار: حاصروه شهرين وعشرين يوماً، وقال الواقدي: حاصروه تسعة وأربعين يوماً ففتح الباب فخرج الناس وسلموا له راية في إسلام نفسه، قال سليط بن أبي سليط: فنهانا الإمام عثمان عن قتالهم ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها ودخلوا عليه في أصح الأقوال، وقتله من شاء الله من سفلة الرجال.

وروى أبو عمر بن عبد البر عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**ادعوا لي بعض أصحابي**» فقلت: أبو بكر؟ قال: «**لا**» فقلت: عمر؟ فقال: «**لا**» فقلت: ابن عمك؟ قال: «**لا**» فقلت له: عثمان؟ قال: «**نعم**» فلما جاءه قال لي بيده فتنحيت، فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يساره ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر عثمان قيل له: ألا نقاتل عنك قال: لا، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عهد إليّ عهداً وأنا صابر عليه[2] .

---

(١) صحيح: البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٩٥).

(٢) صحيح: ابن ماجه في المقدمة (١١٣) وفي الزوائد (إسناده صحيح، رجاله =

وفي الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**يا عثمان لعل الله يقمصك قميصًا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم**»(١) قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه عن ابن عمر قال: ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- فتنة فقال: «**يقتل فيها هذا مظلومًا**» لعثمان(٢) وقال: حديث حسن غريب.

ويروى أنه دخل عليه عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: انظر ما يقول هؤلاء يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك. قال له: أمخلد أنت في الدنيا؟ قال: لا، قال : فهل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا، قال : هل يملكون لك جنة أو نارًا، قال: لا، قال: فلا تخلع قميص الله عليك فيكون سنة، كلما كره قوم خليفة خلعوه وقتلوه.

واختلف في سنه -رضي الله عنه- حين قتله من قتله من الفجار -أدخلهم الله بحبوحة النار- فقيل: وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل: ابن تسعين سنة ، وقال قتادة: قتل عثمان وهو ابن ست وثمانين، وقيل غير هذا. وقتل مظلومًا كما شهد له بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجماعة أهل السنة وألقي على مزبلة، فأقام فيها ثلاثة أيام لم يقدر أحد على دفنه، حتى جاء جماعة بالليل خفية فحملوه على لوح وصلوا عليه ودفن في موضع من البقيع يسمى حش كوكب، وكان مما حبسه عثمان -رضي الله عنه- وزاده في البقيع، وكان إذا مر به يقول: يدفن فيك رجل صالح. وكان هو المدفون فيه، وعُمِّي قبره لئلا يُعرف، وقتل يوم الجمعة لثماني ليالٍ خلون من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين قاله الواقد. وقيل ليلتين بقيتا من ذي الحجة وكانت خلافته إحدى عشرة سنة إلا أيامًا اختلف فيها -رضي

=

ثقات) وأحمد (٦/٥٢).

(١) حسن: الترمذي في المناقب (٣٧٠٥).

(٢) حسن: الترمذي في المناقب (٣٧٠٨).

الله عنه-. وقيل: إن المتعصبين على عثمان -رضي الله عنه- من المصريين ومن تابعهم من البلدان كانوا أربعة آلاف، وبالمدينة يومئذٍ أربعون ألفًا.

وقد اختلف العلماء، فيمن نزل به مثل نازلة عثمانَ -ألحقه الله جناح المغفرة والرضوان- هل يلقى بيده أو يستنصر، فأجاز جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين أن يستسلم ، وهو أحد قولي الشافعي، وقال بعض العلماء: لا يسلم بيده بل يستنصر ويقاتل ولكل من القولين وجه ودليل، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وقال بعض العلماء: ولو اجتمع أهل المشرق والمغرب على نصرة عثمان لم يقدروا على نصرته؛ لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنذره في حياته فأعلمه بالبلوى التي تصيبه، فكان ذلك من المعجزات التي أخبر بوقوعها بعد موته -صلى الله عليه وسلم- وما قال رسول الله شيئًا قط إلا كان.

وقال حسان بن ثابت:

قتلتم ولي الله في جوف داره ... وجئتم بأمر جائز غير مهتد

فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا ... على قتل عثمان الرشيد المسدد

وخرج مسلم في صحيحه قال: وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن حاتم قالا: حدثنا معاذ بن معاذ قال : حدثنا ابن عوف عن محمد قال: قال جندب جئت يوم الجرعة، فإذا رجل جالس فقلت له ليهراقن اليوم هاهنا دم ، فقال ذلك الرجل: كلا والله، قلت: بلى والله، قال: كلا والله، قلت: بلى والله، قال ثلاثًا كلا إنه لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثنيه قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعني أخالفك، وقد سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا تنهني ثم قلت: ما هذا الغضب فأقبلت عليه أسأله فإذا الرجل حذيفة[1] .

والجرعة: موضع بجهة الكوفة على طريق الحيرة قيده الحفاظ بفتح

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨/٢٨٩٣).

الجيم والراء، وقيده بعض رواة الحفاظ أيضًا بإسكان الراء، وهو يوم خــرج فيه أهل الكوفة متألبين متعصبين ليردوا إلى عثمان بن عفان، وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وكتبوا إلى عثمان: لا حاجة لنا في ســـعيدك ولا وليدك، وكان رده سنة أربع وثلاثين، وكتبوا إلى عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري، فلم يزل واليًا عليهم إلى أن قتل عثمان، ولما سمع بقتله يعلى بن أمية التميمي الحنظلي أبو صفوان، ويقال له خالد أسلم يوم الفتــح وشهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حنينًا والطائف وتبوك وكان صاحب الجند وصنعاء، أقبل لينصره، فسقط عن بعيره في الطريق فانكسرت فخذه فقدم مكة بعد انقضاء الحج فخرج إلى المسجد وهو كســـير علــى سرير، واستشرف إليه الناس واجتمعوا فقال: من خرج يطلب بدم عثمـــان فعليّ جهازه، فأعان الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلاً من قريـــش، وحمل عائشة –رضي الله عنها– على جمل أذب –ويقال أذب لكثرة وبره– اشتراه ابن أمية الحنظلي بمائتي دينار، قاله ابن عبد البر في الاستيعاب، وقـــال ابن شبة في كتاب الجمل له: اشتراه بثمانين دينـــارًا والأول أصــح واسمــه عسكر.

وذكر ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إسماعيل بـــن إبراهيم عن أبيه قال: كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان على صنعاء، فلما بلغه خبر عثمان أقبل سريعًا لينصره، فلقيه صفوان بن أمية وصفـــوان على فرس، وعبد الله بن أبي ربيعة على بلفة، فدنا منها الفـــرس فحـــادت فطرحت ابن أبي ربيعة فكسرت فخذه، فقدم مكة بعد الضرر وعائشة بمكة يومئذٍ تدعو إلى خروج وتطلب دم عثمان، فأمر بسرير فوضع له ســرير في المسجد ثم حمل فوضع على سريره، فقال: أيها الناس من خرج في طلب دم عثمان فعليّ جهازه، قال: فجهز ناسًا كثيرًا وحملهم ولم يستطع الخروج إلى الجمل لما كان برجله.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد عن أبي مليكة، عن عبد الله بن أبي السائب قال: رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على سرير في المسجد الحرام يحض الناس على الخروج في طلب دم عثمان ويحمل ما جاء. انتهى كلام ابن سعد في الطبقات ولا تعارض والحمد لله، فإنه يحتمل أن يكون خرجا جميعًا في نصرة عثمان فكسروا أو اجتمعا بمكة وجعلا يجهزان من يخرج، والله أعلم.

وكانت عائشة -رضي الله عنها- حاجة في السنة التي قتل فيها عثمان وكانت مهاجرة له، فاجتمع طلحة والزبير ويعلى وقالوا لها بمكة: عسى أن تخرجي رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم ويرعو نبيهم وهي تمتنع عليهم، فاحتجوا عليها بقوله تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس**﴾ وقالوا لها: إن المتألبين على عثمان بالبصرة كثير فبلغت الأقضية مقاديرها، فاصطف الناس للقتال ورموا عليًا وأصحابه بالنبال، فقال علي: لا ترموا بسهم ولا تضربوا بسيف ولا تطعنوا برمح، فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلاً من أصحاب عليّ فأتي به إلى عليّ فقال: اللهم اشهد، ثم رمى آخر فقتل رجلاً من أصحاب عليّ، فقال علي: اللهم اشهد، ثم رمي آخر فقال علي: اللهم اشهد، وقد كان علي نادى الزبير يا أبا عبد الله: ادن إلي أذكرك كلامًا سمعته أنا وأنت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: على الأمان. فقال : على الأمان، فبرز فأذكره أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلى بعض: «**أما أنك ستقاتل عليًا وأنت له ظالم**»(١).

فقال الزبير: اللهم إني ما ذكرت هذا إلا في هذه الساعة، وثنى عنان

---

(١) ضعيف: البيهقي في الدلائل (٦/٤١٥) والحاكم (٣/٣٦٦) وقال الذهبي: (فيه شيء).

فرسه لينصرف، فقال له ابنه عبد الله: إلى أين؟ قال: أذكرني عليّ كلامًا قاله له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: كلا ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حدادًا ويحملها رجال شداد.

قال: ويلك ومثلي يعير بالجبن، هلم الرمح، فأخذ الرمح وحمل في أصحاب عليّ، فقال علي: افرجوا للشيخ فإنه محرج، فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لابنه: لا أم لك أيفعل هذا جبان؟! وانصرف، وقامت الحرب على ساق، وبلغت النفوس إلى التراق، فأفرجت عن ثلاثة وثلاثين ألف قتيل، وقيل: عن سبعة عشر ألفًا وفيه اختلاف فيهم، من الأزد أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة، وقتل فيها من أصحاب عليّ نحو من ألف رجل، وقيل أقل، وقطع على خطام الجمل سبعون يدًا من بني ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر وهم ينشدون:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت أشهى عندنا من العسل

وكان الجمل للراية إلى أن عقر الجمل، وكانوا قد ألبسوه الأدراع، وقال جملة من أهل العلم: إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب، بل فجأة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به؛ لأن الأمر كان انتظم بينهم على الصلح والتفريق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين ويبدوا في الحرب شجرة في العسكرين وتختلف السهام بينهم ويصيح الفريق الذي في عسكر عليّ غدر طلحة والزبير، والذي في عسكر طلحة والزبير غدر علي ، فتم لهم ما أرادوا ودبروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق دافعًا لمكرته عند نفسه، ومانعًا من الإشاطة بدمه ، وهذا صواب من الفريقين وطاعة

لله إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذا السبيل، وهذا هو الصحيح المشهور، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

وفي صحيح مسلم من كتاب الفتن عن ابن عمر قال: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من بيت عائشة فقال: «**رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرنا الشيطان**»(١) . يعني المشرق، وقبل هذا بنصف ورقة بأسانيد منها: عن عبد الله بن عمر القواريري ومحمد بن المثنى باضطراب في بيت حفصة، ثم قال: وقال عبد الله بن سعيد في روايته قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند باب عائشة وأشار بيده نحو المشرق: «**الفتنة من ها هنا من حيث يطلع قرنا الشيطان**» قالها مرتين أو ثلاثًا(٢) .

وذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في الخامس عشر من مسند عائشة -رضي الله عنها- قال: حدثني محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أن عائشة -رضي الله عنها- لما أتت الحوبة سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة فإن، رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لنا: «**أيتكن تنبح كلاب الحوأب**» فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله أن يصلح لك بين الناس(٣) .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثني وكيع بن الجراح، عن عصام ابن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أيتكن صاحبة الجمل الأذبب يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت**»(٤) وهذا حديث ثابت صحيح رواه الإمام المجمع على عدالته وقبول

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠٥/٤٨).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠٥/٤٦).

(٣) صحيح: أحمد (٦/٩٧).

(٤) صحيح: ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/٢٦٠).

روايته الإمام أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، وكذلك وكيع مجمع على عدالته وحفظه وفقهه عن عصام هو ثقة عدل فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له، وعن عكرمة وهو عند أكثر العلماء ثقة عالم، وهذا الحديث من أعلام نبوته -صلى الله عليه وسلم- وهو إخباره بالشيء قبل كونه.

وقوله: «**الأذبب**» أراد الأذب، فأظهر التضعيف، والعجب من القاضي أبي بكر بن العربي كيف أنكر هذا الحديث في كتبه. منها في كتاب العواصم من القواصم، وذكر أنه لا يوجد أصلاً وأظهر لعلماء المحدثين بإنكاره غباوة وجهلاً، وشهرة هذا الحديث أوضح من فلق الصبح وأجلى، وقد رواه أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب فقال: حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن وضاح قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، فذكره بسنده المتقدم.

وروى أبو جعفر الطبري قال: لما خرجت عائشة -رضي الله عنها- من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها عليّ -رضي الله عنه- جهازًا حسنًا، وأخرج معها من أراد الخروج واختار عليها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة، وجهز معها أخاها محمدًا وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها عليّ -رضي الله عنه- على أميال وسرح معها بنيه يومًا.

من هم أولياء دم عثمان رضي الله عنه

فإن قيل: فلم ترك عليّ القصاص من قتلة عثمان؟ فالجواب: إنه لم يكن ولي دم، وإنما كان أولياء الدم أولاد عثمان وهم جماعة: عمرو وكان أسن ولد عثمان، وأبان، وكان محدثًا فقيهًا وشهد الجمل مع عائشة، والوليد بن عثمان، وكان عنده مصحف عثمان الذي كان في حجره حين قتل، وذكر ابن قتيبة في المعارف أنه كان صاحب شارب وفتوة، ومنهم سعيد بن

عثمان وكان واليًا لمعاوية على خراسان، فهؤلاء بنو عثمان الحاضرون في ذلك الوقت، وهم أولياء الدم دون غيرهم ولم يتحاكم إلى عليّ أحد منهم ولا نقل ذلك عنهم، فلو تحاكموا إليه لحكم بينهم، إذ كان أقضى الصحابة للحديث المروي فيه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وجواب ثان: أنه لم يكن في الدار عدلان يشهدان على قاتل عثمان بعينه، فلم يكن له أن يقتل بمجرد دعوى في قاتل بعينه، ولا إلى الحكم في سبيل ذلك مع سكوت أولياء الدم عن طلب حقهم، ففي تركهم له أوضح دليل، وكذلك فعل معاوية حين تمت له الخلافة وملك مصر وغيرها بعد أن قتل علي -رضي الله عنه- لم يحكم على واحد من المتهمين بقتل عثمان بإقامة قصاص، وأكثر المتهمين من أهل مصر والكوفة والبصرة، وكلهم تحت حكمه وأمره ونهيه وغلبته وقهره، وكان يدعي المطالبة بذلك قبل ملكه ويقول: لا نبايع من يؤوي قتلة عثمان ولا يقتص منهم، والذي كان يجب عليه شرعًا أن يدخل في طاعة علي -رضي الله عنه- حين انعقدت خلافته في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومهبط وحيه ومقر النبوة وموضع الخلافة بجميع من كان فيها من المهاجرين والأنصار بطوع منهم وارتضاء واختيار، وهم أمم لا يُحصون وأهل عقد وحل، والبيعة تنعقد بطائفة من أهل الحل والعقد، فلما بويع له -رضي الله عنه- طلب أهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان، وأخذ القود منهم، فقال لهم عليّ رضي الله عنه: ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه، فقالوا: لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحًا ومساءً، وكان علي في ذلك أسد رأيا وأصوب قيلاً؛ لأن عليًّا لو تعاطى القود معهم لتعصب لهم قبائل أخرى، فانتظر بهم إلى أن يستوثق الأمر وتنعقد عليه البيعة ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم فيجري القضاء بالحق.

قال ابن العربي أبو بكر: ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير

القصاص إذا أدى إلى إثارة فتنة أو تشتيت الكلمة، وكذلك جرى لطلحة والزبير، فإنهما ما خلعا عليًا من ولاية ولا اعترضا عليه في ديانة، وإنما رأوا أن البداية بقتل أصحاب عثمان أولى.

وذكر ابن وهب قال: حدثني حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمعه يحدث محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي قال: اصطحب قيس بن خرشة وكعب الكناني حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة فقال: لا إله إلا الله ليهراقن في هذه البقعة من دماء المسلمين ما لم يهرق ببقعة من الأرض، فغضب قيس ثم قال: وما يدريك يا أبا إسحاق ما هذا؟! فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به، فقال كعب: ما من شبر من الأرض إلا هو مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى بن عمران ما يكون عليه إلى يوم القيامة.

أخبرنا شيخنا القاضي لسان المتكلمين أبو عامر بن الشيخ الفقيه الإمام أبي الحسين بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري إجازة عن شيخه المحدث الثقة المؤرخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال قال: حدثنا جماعة من شيوخنا -رحمهم الله-، منهم الفقيه المفتي أبو محمد بن عنان قال: أنبأنا الإمام أبو عمر بن عبد البر فيما أجازه لنا بخطه قال: حدثنا أحمد بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال: حدثني خالد أبو الربيع وأحمد ابن صالح وأحمد بن عمرو وابن السرح ويحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب فذكره ، وأحمد بن محمد بن الحجاج هو ابن رشيد بن سعد أبو جعفر مصري قال أبو أحمد بن عدي : كذبوه وأنكرت عليه أشياء ومحمد بن يزيد ابن أبي زياد مجهول. قاله الدارقطني: وباقي السند ثقات معروفون.

وأما وقعة صفين فإن معاوية لما بلغه مسير أمير المؤمنين عليّ -كرم الله وجهه- إليه من العراق خرج من دمشق حتى ورد صفين في النصف من المحرم، فسبق إلى سهولة المنزل وسعة المناخ وقريب الماء من الفرات وبنى

قصراً لبيت ماله، وصفين صحراء ذات كدى وأكمات، وكان أهل الشام قد سبقوا إلى المشرعة من سائر الجهات ولم يكن ثم مشرعة سواها للواردين والواردات ، فمنعت عليًّا -رضي الله عنه- إياها وحمتها تلك الكماة، فذكرهم بالمواعظ الحسنة والآيات، وحذرهم بقول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيمن منع فضل الماء بالفلاة، فردوا قوله وأجابوه بألسنة الطغاة إلى أن قاتلهم بالقواضب والسمهريات، فلما غلبهم عليها -رضي الله عنه- أباحها للشاربين والشاربات، ثم بنى مسجداً على تل بأعلى الفرات ليقيم فيه مدة مقامه فرائض الصلوات لفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين من الدرجات على ما ثبت في الصحيح من رواية ابن عمر وغيره من الصحابة العدول الثقات، وحضرها مع علي جماعة من البدريين، ومن بايع تحت الشجرة من الصحابة المرضيين، وكان مع علي رايات كانت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قتل المشركين، وكان مقام علي -رضي الله عنه- ومعاوية بصفين سبعة أشهر، وقيل تسعة، وقيل: ثلاثة أشهر، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفًا وقتل في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفًا من الفريقين.

وذكره الثقة العدل أبو إسحاق وإبراهيم بن الحسين الكسائي الهمداني المعروف بابن ديزيل وهو الملقب بسيفنة -وسيفنة طائر إذا وقع على الشجرة لم يقم عنها ويترك فيها شيئًا- وهو في تلك الليالي هي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم على بعض، والهرير: الصوت يشبه النباح؛ لأنهم ترامـوا بالنبل حتى فنيت ، وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضت، ثم نزل القوم يمشي بعضهم إلى بعض قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام، ولما صارت السيوف كالمناجل ترامـوا بالحجارة، ثم جثـوا

على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالأفواه وكسفت الشمس وثار القتال وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات ومرت أوقات أربع صلوات؛ لأن القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا إلى نصف الليل، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين، قاله الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه وقال غيره في شهر ربيع الأول.

وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألفًا، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألفًا، ذكره الزبير بن بكار أبو عبد الله القاضي العدل قال: حدثني عمر بن عمر بن أبي بكر المؤملي، عن زكريا بن عيسى، عن ابن شهاب، عن محمد بن عمرو بن العاص وكان ممن شهد صفين وأبلى فيه وفيه يقول:

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يومًا شاب منها الذوائب
غداة أتى أهل العراق كأنهم ... من البحر لج موجه متراكب
وجئناهم نمشي كأن صفوفنا ... سحائب غيث رفعتها الجنائب

ويُروى شهاب حريق رفعته الجنائب.

وقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا ... عليًّا فقلنا بل نرى أن نضارب
وطارت إلينا بالرماح كماتهم ... وطرنا إليهم بالأكف قواضب
إذا نحن قلنا استهزموا عرضت لنا ... كتائب منهم واشمأزت كتائب
فلا هم يولون الظهور فيدبروا ... فرارًا كفعل الخادرات الدرائب

قال ابن شهاب: فأنشدت عائشة -رضي الله عنها- أبياته هذه، فقال: ما سمعت بشاعر أصدق شعرًا منه.

قال الحافظ ابن دحية: قوله: بل نرى أن نضارب (أن) هنا مخففة من الثقيلة محذوفة الاسم تقديره: أننا نضارب، وقوله: (كفعل الخادرات الدرائب) الخادرات، الأسود، يقال: أسود خادرة، كأن الأجمعة له خدر، فمعناه أنهم لا يدبرون كالأسود التي لا تدبر عن فرائسها ؛ لأنها قد ضربت

بها ودربت عليها، والدربة: الضرارة، يقال: درب يدرب ورفع الدرائب؛ لأنها بدل من الضمير في يدابروا.

قال: والإجماع منعقد على أن طائفة الإمام طائفة عدل، والأخرى طائفة بغي، ومعلوم أن عليًا -رضي الله عنه- كان الإمام.

وروى مسلم في صحيحه قال: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار -واللفظ لابن مثنى- قال: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة عن أبي سلمة قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني من هو خير مني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لعمار حين جعل يحفر الخندق جعل يمسح رأسه ويقول: «**بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية**»(١).

وخرجه أيضًا من حديث إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق بن منصور، ومحمد بن غيلان، ومحمد بن قدامة قالوا: أخبرنا النضر بن شميل، عن شعبة عن أبي سلمة بهذا الإسناد نحوه غير أن في حديث النضر قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة وله طرق غير هذا في صحيح مسلم(٢).

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له في ترجمة عمار: وتواترت الأخبار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**يقتل عمارًا الفئة الباغية**»(٣). وهو من أصح الأحاديث.

وقال فقهاء الإسلام -فيما حكاه الإمام عبد القاهر في كتاب الإمامة من تأليفه- وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين على أن عليًّا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته في قتل أصحاب الجمل، وقالوا أيضًا بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩١٥/٧٠).
(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩١٥/٧١).
(٣) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩١٦/٧٣).

تكفيرهم ببغيهم.

وقال الإمام أبو منصور التيمي البغدادي في كتابه (الفرق) من تأليفه في شأن القصة عقيدة أهل السنة، وأجمعوا أن عليًّا كان مصيبًا في قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته في قتل أصحاب الجمل، وقالوا أيضًا بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم.

وقال الإمام أبو منصور التيمي البغدادي في كتاب الفرق في بيان عقيدة أهل السنة، وأجمعوا أن عليًّا كان مصيبًا في قتال أهل الجمل: أعني طلحة والزبير وعائشة بالبصرة، وأهل صفين: أعني معاوية وعسكره.

وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد فصل: عليّ -رضي الله عنه- كان إمامًا حقًّا في توليته، ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضي بهم قصد الخير وإن أخطأوه فهو آخر فصل ختم به كتابه، وحسبك بقول سيد المرسلين وإمام المتقين لعمار -رضي الله عنه-: «**تقتلك الفئة الباغية**». وهو من أثبت الأحاديث كما تقدم، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوته عنده قال: إنما قتله من أخرجه، ولو كان حديثًا فيه شك لرده معاوية وأنكره وأكذب ناقله وزوره.

وقد أجاب علي -رضي الله عنه- عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي -رضي الله عنه- إلزام لا جواب عنه وحجة لا اعتراض عليها. قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية.

لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وفي ظهور الفتن

روى البخاري عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: ((**اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**))(١) سمعته من نبيكم -صلى الله عليه وسلم-، وخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج**» قالوا: يا رسول الله، أيم هو؟ قال: «**القتل القتل**»(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

قوله: (يتقارب الزمان) قيل: معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها، وقيل: هو دنو زمان الساعة، وقيل: هو قصر مدة الأيام على ما روي «**إن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة ، والساعة كاحتراق السعفة** »(٣) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، وقيل في تأويله غير هذا.

وقال حماد بن سلمة: سألت أبا سنان عن قوله: (يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر) وقال: ذلك من استلذاذ العيش. قال الخطابي: يريد -والله أعلم- زمان خروج المهدي، ووقع الأمنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها على ما يأتي، ويستلذ به العيش عند ذلك، وتستقصر مدته ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء - وإن طالت وامتدت- ويستطيلون أيام المكروه -وإن قصرت وقلت- والعرب تقول في مثل هذا: مر بنا يوم كعرقوب القطا قصيراً.

---

(١) صحيح: البخاري في الفتن (٧٠٦٨) والترمذي في الفتن (٢٢٠٦).

(٢) صحيح: البخاري في الفتن (٧٠٦١) ومسلم في الفتن (١٨/١٥٧).

(٣) حسن: الترمذي في الزهد (٢٣٣٢).

(يلقى الشح) بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى عليه ويدعى إليه ومنه قوله تعالى: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾[البقرة:٣٧] أي: تقبلها وتعلمها، ويجوز: يلقى -بتخفيف اللام والقاف- على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها على ما يأتي، ولا يجوز أن يكون بمعنى يوجد؛ لأن الشح ما زال موجوداً قبل تقارب الزمان.

ما جاء في الفرار من الفتن وكسر السلاح وحكم المكره عليها

روى مالك عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»(١).

روى مسلم عن أبي بكرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن، ألا ثم تكون فتن ، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت ووقعت، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بأرضه**» قال: فقال له رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق عليه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاة، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**»

قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى فئتين فيضربني رجل بسيفه أو يجيئ سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**»(٢) .

---

(١) صحيح: مالك في الموطأ في الاستئذان (٢/٧٣٩) (١٦).
(٢) صحيح: مسلم في الفتن (١٣/٢٨٨٧).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من يشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعُذْ به**»(١).

الأمر بلزوم البيوت عند الفتن

روى ابن ماجه عن أبي بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة، فقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنها ستكون فتنة وخلاف وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فائت بسيفك أحدًا فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية**» فقد وقعت وفعلت ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-(٢) .

وروى أبو داود عن أبي موسى قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي**» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**كونوا أحلاس بيوتكم**»(٣) .

وجوب اعتزال الفتنة

قال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: كان محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفًا من خشب ففعل وأقام بالربذة، وممن اعتزل الفتنة: أبو بكرة، وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد، وأبو ذر وحذيفة، وعمران بن حصين، وأبو موسى، وأهبان بن صيفي،

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٨٦/١١).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٨٦/١١).

(٣) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٣٩٦٣) وفي الزوائد: هذا إسناد صحيح.

وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ومن التابعين: شريح والنخعي وغيرهما -رضي الله عنهم-.

قلت: هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلبًا للملك، والاستكثار من الدنيا، فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة. وقوله: «**كونوا أحلاس بيوتكم**» حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه، ومن مراسيل الحسن وغيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**نعم صوامع المؤمنين بيوتهم**»(1). وقد تكون العزلة في غير البيوت كالبادية والكهوف، قال الله تعالى: ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف**﴾ [الكهف: ١٠].

ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج، وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان وتزوج امرأة هناك وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بليال، فدخل المدينة فقال له الحجاج: ارتددت على عقبيك؟ قال: لا ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أذن لنا في البدو(2).

وخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن، وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ويأتي له من أمره**» وقد كان العمري بالمدينة معتزلاً، وكان مالك مخالطًا للناس، ثم اعتزل مالك آخر عمره -رضي الله

(١) ضعيف: الديلمي في الفردوس (٦٧٩٢) فيه عفير بن معدان ضعيف.

(٢) صحيح: البخاري في الفتن (٧٠٨٧) ومسلم في الإمارة (٨٢/١٨٦٢).

عنه- فيروى عنه أنه أقام ثماني عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: ليس كل واحد يمكنه أن يخبر بعذره، واختلف الناس في عذره على ثلاثة أقوال فقيل لئلا يرى المناكير، وقيل لئلا يمشي إلى السلطان، وقيل: كانت به أبردة، فكان يرى تنزيه المسجد عنها، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب سراج المريدين له.

كيف التثبت في الفتنة والاعتزال عنها وفي ذهاب الصالحين

أخرج ابن ماجه عن عديسة بنت أهبان قالت: لما جاء علي بن أبي طالب هاهنا بالبصرة دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم: ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى فدعى جاريته فقال: جارية، أخرجي سيفي، قالت فأخرجته فسل منه قدر شبر ، فإذا هو خشب، فقال: إن خليلي وابن عمك -صلى الله عليه وسلم- عهد إلى إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفًا من خشب، فإذا شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك[1].

وعن زيد بن شرحبيل عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم**»[2] . أخرجه أبو داود أيضًا.

وخرج من حديث سعد بن أبي وقاص قلت: يا رسول الله، إن دخل عليّ بيتي وبسط يده إلي ليقتلني قال: فقال رسول الله: «**كن كخير ابني**

---

(١) حسن: ابن ماجه في الفتن (٣٩٦٠).

(٢) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٥٩) وأحمد (٤/٤٠٨).

آدم» وتلا هذه الآية: ﴿**لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني**﴾[1] [المائدة:٢٨].

روى ابن ماجه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخفت أمانتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا**» وشبك بين أصابعه، قالوا: كيف يا رسول الله إذا كان ذلك الزمان؟ قال: «**تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عامتكم**»[2] أخرجه أبو داود أيضًا.

وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده عن محمد بن كعب القرظي أن الحسن بن أبي الحسن حدثه أنه سمع شريحًا وهو قاضي عمر بن الخطاب يقول: قال عمر بن الخطاب، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم، وخربت أماناتهم**» فقال قائل: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تعملون بما تعرفون، وتتركون ما تنكرون، وتقولون أحد أحد انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا**»[3] غريب من حديث محمد بن كعب والحسن وشريح ما علمت له وجهًا غير هذا.

روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا رأيت الناس مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا وهكذا**» وشبك بين أصابعه، فقمت إليه فقلت له: كيف أصنع عند ذلك يا رسول الله، جعلني الله فداك؟ قال: «**الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر**، **وعليك بأمر خاصة**

---

(١) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٥٧) وأحمد (١/١٨٥).

(٢) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٤٢) وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٧).

(٣) موضوع: أبو نعيم في الحلية (٤/١٣٨) فيه الحكم بن عبد الله الأيلي متهم بالوضع.

نفسك ودع عنك أمر العامة»[1] خرجه أبو داود أيضًا.

روى الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ويأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا**» [2] قال: هذا حديث غريب، وفي الباب عن أبي ذر -رضي الله عنه-.

قوله: (ويوشك) معناه يقرب، وقوله: فيغربل الناس فيها غربلة، عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار، كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله، والحثالة : ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر ، وكل ذي قشر إذا بقي، وحثالة الدهن تفله، وكأنه الرديء من كل شيء، ويقال: حثالة وحفالة بالثاء والفاء معًا.

كما روى ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لتنتقون كما ينتقى التمر من أغفاله وليذهبن خياركم وليبقين شراركم فموتوا إن استطعتم**»[3] .

وخرج البخاري عن مرداس الأسلمي قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة**»[4] . وفي رواية «**لا يعبأ الله بهم**».

يقال: ما أباليه باله وبال وبلى مقصور ومكسور الأول مصدر، وقيل اسم أي ما أكترث به والبال الاكتراث والاهتمام بالشيء، والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه.

قال أبو الخطاب بن دحية: ومرداس هذا هو مرداس بن مالك الأسلمي

---

(١) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٤٣) والنسائي في الكبرى (١٠٠٣٣).

(٢) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢٦٧).

(٣) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٤٠٣٨) في الزوائد (في إسناده مقال).

(٤) صحيح: البخاري في الرقاق (٦٤٣٤).

من أسلم بفتح اللام سكن الكوفة، وهو معدود في أهلها و لم يحفظ له مـــن طريق صحيح سوى هذا الحديث.

قال المؤلف رحمه الله: انفرد به البخاري -رحمه الله-، روى عن قيس ابن أبي حازم في الرقاق ومزجت معناه: اختلطـــت واختلفـــت، والمـــزج: الاختلاط والاختلاف.

الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخرة الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال

أبو داود، عن نصر بن عاصم الليثي قال: أتينا اليشكري في رهط من بني ليث فقال: من القوم؟ قال: بنو الليث أتيناك نسألك عن حديث حذيفة، فقال : أقبلنا مع أبي موسى قافلين وغلت الدواب بالكوفة ، قال: فسألت أبا موسى الأشعري أنا وصاحب لي فأذن لنا فقدمنا الكوفة فقلت لصاحبي : أنا داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك ، قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رءوسهم يستمعون إلى حديث رجل واحد قال: فقمت عليهم، فجاءه رجل فقام إلى جنبي. قال فقلت: من هذا؟ قال: أبصري أنت؟ قال: قلت: نعم، قال: قد عرفت ولو كنت كوفيًا لم تسأل عن هذا. هذا حذيفة، فدنوت منه فسمعت حذيفة -رضي الله عنه- يقول: كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير ، وكنت أنا أسأله عن الشر وعرفت أن الخير لن يسبقني قال: فقلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال: ((**يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه**)) ثلاث مرات. قلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال: «**فتنة وشر**». قلت: يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟ فقال: «**يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه**» قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟ قال: «**هدنة على دخن وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها**» قلت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: «**لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه**» قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: «**فتن عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن**

تتبع أحدًا منهم»[1].

وخرج أبو نعيم الحافظ، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه يمنعكم من ذلك الفقر والحاجة، ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم**» قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟ قال: «**كما صنع أصحاب عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله**»[2]. خرجه في باب يزيد بن مرثد غريب من حديث معاذ لم يروه عنه إلا يزيد بن مرثد وعن الوضين بن عطاء.

وخرج البخاري ومسلم وأبو داود، عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» فقلت: هل بعد ذلك من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» فقلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل**

(١) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٤٦).

(٢) ضعيف: أبو نعيم في الحلية (٥/١٦٥) فيه الوضين بن عطاء، ضعيف.

شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1] .

وفي رواية قال: «**تكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جسمان إنس**» قال: فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**»[2] لفظ مسلم.

وفي كتاب أبي داود بعد قوله هدنة على دخن قال: قلت: يا رسول الله، ثم ماذا؟ قال: «**إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه، وإلا فمت وأنت عاض في جذل شجرة**» قلت: ثم ماذا؟ قال: «**ثم يخرج الدجال ومعه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**هي قيام الساعة**»[3] .

قوله: (على أقذاء) الأقذاء: جمع القذا، والقذا جمع قذاة وهو ما يقع في العين من الأذى وفي الطعام والشراب من تراب أو نتن أو غير ذلك ، فالمراد به في الحديث الفساد الذي يكون في القلوب أي أنهم يتقون بعضهم بعضًا ويظهرون الصلح والاتفاق، ولكنهم في باطنهم خلاف ذلك، والجذل: الأصل كما هو مبين في كتاب مسلم على أصل شجرة.

---

(١) صحيح: البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة (٥١/١٨٤٧).

(٢) صحيح: مسلم في الإمارة (٥٢/١٨٤٧).

(٣) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٤٤).

إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

روى مسلم عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هـذا الرجـل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: فقلت: أريد نصرة ابـن عـم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعني عليًّا، فقال لـي: يـا أحنـف ارجـع فـإني سـمعت رسـول اللـه -صلـى اللـه عليـه وسـلم- يقـول: «**إذا تواجـه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قال: فقلـت: يـا رسـول اللـه هذا القاتل، فمـا بـال المقتـول؟ قـال: «**إنـه قـد أراد قتـل صاحبـه**» أخرجـه البخاري ، وفي بعض طرقه: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(١) .

قال علماؤنا: ليس هذا الحديث في أصحـاب النبي -صلـى اللـه عليـه وسلم- بدليل قوله تعـالى: ﴿**وإن طائفتـان مـن المؤمنـين اقتتلـوا فـأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغـي حتـى تفـيء إلى أمر الله**﴾ [الحجرات:٩] فأمر الله تعـالى بقتـال الفئـة الباغيـة، ولـو أمسـك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة مـن فرائـض اللـه، وهـذا يـدل على أن قوله: (القاتل والمقتول في النار) ليس في أصحاب محمد -صلـى اللـه عليه وسلم-؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري: لـو كـان الواجـب في كل اختلاف يكون بين الفريق مـن المسلمين الهـرب منه ولـزوم المنـازل وكسر السيوف لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجـد أهـل النفـاق والفجـور سبيلاً إلى استحلال كل مـا حرمـه الله عليهـم مـن أمـوال المسلمين وسـبي نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهـم عنهـم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيـدي والهـرب منهـا، وذلـك مخالف لقولـه عليـه الصـلاة والسـلام: «**خـذوا علـى أيـدي سفهائكم**» .

---

(١) صحيح: البخـاري في الفـتن (٧٠٨٣)، ومسـلم في الفـتن (١٤/٢٨٨٨).

قلت: فحديث أبي بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا، وقد جاء هكذا ، منصوصًا فيما سمعناه من بعض مشايخنا: ((**إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار**)). خرجه البزار.

ومما يدل على صحة هذا ما خرجه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم--: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل لا المقتول فيما قُتل**» فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهرج القاتل والمقتول في النار**»(1). فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا أو اتباع هوى كان القاتل والمقتول في النار، فأما قتال يكون على تأويل ديني فلا، وأما أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنهم ، فيجب على المسلمين توقيرهم والإمساك عن ذكر زللهم ونشر محاسنهم لثناء الله عز وجل عليهم في كتابه، فقال: وقوله الحق: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ [الفتح:١٨] وقال: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخر السورة، وقال: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل**﴾ [الحديد:١٠] وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور ، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق، وقيل: إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال ، وربما ندم بعضهم على ترك ذاك كعبد الله بن عمر ، فإنه ندم على تخلفه عن نصرة علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، فقال عند موته: ما آسى على شيء ما آسى على تركي قتال الفئة الباغية يعني فئة معاوية، وهذا هو الصَّحِيح. إن الفئة الباغية إذا علم منها البغي قوتلت. قال عبد الرحمن بن أبزى: شهدنا صفين مع علي في ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان. قتل منهم ثلاث وستون

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٥٦/٢٩٠٨).

منهم عمار بن ياسر.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: شهدنا مع علي صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم - يتبعونه كأنه علم لهم قال: وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم ، تقدم الجنة تحت الأبارقة اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا شغفات الجبال لعلمنا أنَّا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله … فاليوم نضربكم على تأويله
ضربًا يزيل الهام عن مقيله … ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

قال: فلم أر أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ، وسئل بعض المتقدمين عن الدماء التي وقعت بين الصحابة فقال: ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾ [البقرة:١٣٤،١٤١].

وقد أشبعنا القول في هذه المسألة في كتاب الجامع لأحكام القرآن في سورة الحجرات، والصواب ما ذكرنا لك أولاً، والله أعلم.

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**سيكون بين أصحابي فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم إياي، ثم يستن بها قوم من بعدهم يدخلون بها النار**».

جعل الله بأس هذه الأمة بينها

قال الله تعالى: ﴿**أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ [الأنعام:٦٥].

روى مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ**

ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»[1] قال ابن ماجه في سننه: يعني الذهب والفضة، «**وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**».

زاد أبو داود: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي المشركين وحتى يعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[2].

روى ابن ماجه عن معاذ بن جبل قال: صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا صلاة فأطال فيها، فلما انصرف قلنا أو قالوا: يا رسول الله، أطلت اليوم الصلاة . قال : «**إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله لأمتي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ورد على واحدة، سألته ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يهلكهم غرقًا فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردها عليّ**»[3].

وأخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (١٩/٢٨٨٩).

(٢) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٥٣) وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٢).

(٣) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٣٩٥١) وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

وسلم- أقبل ذات يوم من العالية، وفي رواية: في طائفة من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين ، فصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا. فقال: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»[1] . وأخرجه الترمذي والنسائي وصححه واللفظ للنسائي.

وعن خباب بن الأرت، وكان شهد بدرًا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه راقب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الليلة كلها حتى كان الفجر، فلما سلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من صلاته جاء خباب فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أجل إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله فيها لأمتي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل ألا يظهر عليها عدواً من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا شيعًا فمنعنيها**»[2] .

روى ابن ماجه عن أبي موسى قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن بين يدي الساعة لهرجًا**» قال : قلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: «**القتل القتل**» فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس بقتل المشركين ولكن بقتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قربته**»[3] وذكر الحديث، والله أعلم.

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٩٠/٢٠).

(٢) صحيح: الترمذي في الفتن (٢١٧٥)، والنسائي في قيام الليل (١٦٣٧).

(٣) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٣٩٥٩).

ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها

روى مسلم عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقامًا ما ترك فيه شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه(١) .

وخرج أبو داود أيضًا عنه قال: والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته(٢) .

روى مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مجلسًا أنبأنا فيه عن الفتنة فقال: وهو بعد الفتن: ((**منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئًا ، ومنهن فتن كالرياح الصيف منها صغار ومنها كبار**)) قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري(٣) .

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: كنا قعودًا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر الفتن فأكثر فيها، حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: « **هي هرب وخرب ثم فتنة السوء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كودك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، حتى يصير الناس فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه،**

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٣/٢٨٩١).

(٢) حسن: أبو داود في الفتن (٤٢٤٣).

(٣) صحيح: مسلم في الفتن (٢٢/٢٨٩١).

وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[1] .

قول حذيفة: (قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقامًا). وفي الرواية الأخرى: مجلسًا. قد جاء مبينًا في حديث أبي زيد، قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، فصعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا[2] . أخرجه مسلم.

وروى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة العصر نهارًا، ثم قام خطيبًا فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه[3] .

فظاهر هذا أن ذلك المقام كان من بعد العصر لا قبل ذلك، وهذا تعارض، فيجوز أن يكون ذلك كله في يومين فيوم خطب فيه من بعد العصر، ويوم قام فيه خطيبًا كله، ويجوز أن تكون الخطبة من بعد صلاة الصبح إلى غروب الشمس كما في حديث أبي زيد، واقتصر بعض الرواة في الذكر على ما بعد العصر كما في حديث أبي سعيد الخدري، وفيه بعد. والله أعلم.

وقوله: (حتى ذكر فتنة الأحلاس) قال الخطابي: إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه: هو حلس بيته. ويحتمل أن تسمى هذه الفتنة بالأحلاس لسوادها وظلمتها. والحرب ذهاب الأهل والمال، يقال: حرب الرجل فهو حريب إذا سلب

---

(١) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٤٢).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٥/٢٨٩٢).

(٣) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢١٩١) فيه ابن جدعان ضعيف.

أهله وماله، ومن هـذا المعنى أخـذ لفـظ الحـرب؛ لأن فيهـا ذهـاب النفـوس والأموال، والله أعلم. والدخن: الدخان يريد أنها تثور كالدخـان مـن تحـت قدميه. وقوله: (كـودك علـى ضلـع) مثـل ومعنـاه الأمـر الـذي لا يثبـت ولا يستقيم يريد أن هذا الرجل غير خليق بـالملك، والدهيمـاء: تصغـير الدهمـاء على معنـى المذمـة لهـا والتعظيـم لأمرهـا، كمـا قـال : دويهيـة تصفـر منهـا الأنامل. أي: هذه الفتنة سوداء مظلمة ، ودلت أحاديث هذا الباب علـى أن الصحابة -رضي الله عنهم- كان عندهـم من علـم الكوائـن إلى يـوم القيامـة العلم الكثير، لكن لم يشيعوها إذ ليست من أحاديث الأحكام، وما كان فيه شيء من ذلك حدثوا به وتقصروا عنه.

وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: حفظ من رسول اللـه -صلى الله عليه وسلم- وعاءين أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم[1] . قال أبو عبد الله: البلعوم مجرى الطعام، والفسطاط الخيمـة الكبيرة، وتسمى مدينة مصر الفسـطاط، والمـراد بـه في هـذا الحديـث الفرقـة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخـرى تشـبيهًا بـانفراد الخيمـة عـن الأخـرى، وتشبيهًا بانفراد المدينة عن الأخرى حملاً عن تسمية مصر بالفسـطاط، واللـه أعلم.

(١) صحيـح: البخـاري في العلـم (١٢٠).

ذكر الفتنة التي تموج موج البحر

وقول النبي ﷺ: «هلاك أمتي على يد أغيلمة من سفهاء قريش».

روى ابن ماجه عن شقيق عن حذيفة قال: كنا جلوسًا عند عمر بن الخطاب فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت: أنا، فقال: إنك لجريء، قال: كيف سمعته يقول؟ قلت: سمعته يقول: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج موج البحر.

قال: مالك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال : بل يكسر. قال ذلك أجدر ألا يغلق ، فقلت لحذيفة: أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط، قال: فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله فسأله، فقال: هو عمر[1] . أخرجه البخاري ومسلم أيضًا.

وخرج الخطيب أبو بكر أحمد بن علي من حديث مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب دخل على بنت علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، فوجدها تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: هذا اليهودي -لكعب الأحبار- يقول: إنك باب من أبواب جهنم، فقال عمر: ما شاء الله إني لأرجو أن يكون الله خلقني سعيدًا، قال: ثم خرج، فأرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه كعب، قال: يا أمير المؤمنين. والذي نفسي بيده لا تنسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة، فقال عمر: أي شيء هذا؟ مرة في الجنة ومرة في النار، قال: والذي نفسي بيده، إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يتقحمون فيها إلى يوم القيامة.

---

(١) صحيح: البخاري في الفتن (٧٠٥٨).

روى البخاري عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرني جدي، قال: كنت جالسًا مع أبي هريرة في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة ومعنا مروان، فقال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول: «**هلكة أمتي على يد أغيلمة من قريش**» قال مروان: لعنة الله عليهم من أغيلمة. قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حتى تملكوا الشام ، فإذا رآهم أحداثًا وغلمانًا، قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم[1] .

الغلام الطار الشارب، والجمع: الغلمة والغلمان، ونص مسلم في صحيحه في كتاب الفتن عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يهلك أمتي هذا الحي من قريش**» قال: فما تأمرنا؟ قال: «**لو أن الناس اعتزلوهم**»[2] .

قال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير، والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير، ألا تراه يقول: لو شئت قلت لكم هم بنو فلان وبنو فلان، لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد، وكأنه -والله أعلم- يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، ومن تنزل منزلتهم من أحادث ملوك بني أمية فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسبيهم، وقتل خيار المهاجرين والأنصار، بالمدينة وبمكة وغيرها، وغير خافٍ ما صدر عن الحجاج ، وسليمان بن عبد الملك وولده من سفك الدماء، وإتلاف الأموال، وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك، وبالجملة فبنو أمية قابلوا وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- في أهل بيته وأمته بالمخالفة والعقوق، فسفكوا دماءهم، وسبوا نساءهم، وأسروا

---

(١) صحيح: البخاري في الفتن (٧٠٥٨).

(٢) صحيح: البخاري في المناقب (٣٦٠٤)، ومسلم في الفتن (٢٩١٧)/٧٤.

صغارهم، وخربوا ديارهم، وجحدوا فضلهم وشرفهم، واستباحوا لعنهم وشتمهم، فخالفوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمينته، فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه، وافضيحتهم يوم يعرضون عليه. والله أعلم.

ما جاء في بيان مقتل الحسين رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله

ذكر أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن الحافظ قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الحلواني، قال ابن السكن: وأخبرني أبو بكر محمد بن محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن عبد الله بن زياد الحداد قالا: حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد قال: حدثنا عطاء بن مسلم ، عن أشعث بن سحيم، عن أبيه، عن أنس بن الحارث قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن ابني هذا يُقتل بأرض من أرض العراق، فمن أدركه منكم فلينصره**» فقتل أنس، يعني مع الحسين بن علي عليهما السلام(١).

أنبأناه إجازة الشيخ الفقيه القاضي أبو عامر بن أبي القاسم بن بشكوال، عن أبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، وأبي عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد، عن أبي عمر بن عبد البر، قال: حدثنا الحافظ أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا الإمام الحافظ أبو علي بن السكن، فذكره.

وخرج الإمام أحمد في مسنده، قال: حدثنا مؤمل قال: حدثنا عمارة ابن زاذان، حدثنا ثابت عن أنس أن ملك المطر استأذن أن يأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- فأذن له، فقال لأم سلمة: «**املكي علينا الباب لا يدخل**

---

(١) ضعيف: ابن عساكر والبغوي وابن السكن كما في كنز العمال (٣٤١٤).

علينا أحد» قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل يقعد على ظهر النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلى منكبيه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي -صلى الله عليه وسلم- أتحبه؟ قال: «**نعم**» قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها. قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء[1] .

وقال مصعب بن الزبير: حج الحسين خمسة وعشرين حجة ماشيًا، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه وفي الحسن: «**إنهما سيدا شباب أهل الجنة**»[2] وقال: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[3] . وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا رآهما هش لهما وربما أخذهما.

كما روى أبو داود أنهما دخلا المسجد وهو يخطب، فقطع خطبته ونزل فأخذهما وصعد بهما، قال: «**رأيت هذين فلم أصبر**»[4] وكان يقول فيهما: «**اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما**»[5] وقتل رحمه الله ولا رحم قاتله يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بقرب موقع يقال له (الطف) بقرب من الكوفة.

قال أهل التواريخ: لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى زيد، وذلك سنة ستين، ووردت البيعة على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ بالبيعة إلى أهلها أرسل إلى الحسين بن علي، وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً فأتى بهما فقال: بايعا، فقالا : مثلنا لا يبايع سراً ، ولكن نبايع على رءوس الناس إذا أصبحنا. فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة، وذلك ليلة الأحد لليلتين

---

(١) صحيح: أحمد (٣/٢٤٢).

(٢) صحيح: الترمذي في المناقب (٣٧٦٨) وأحمد (٣/٦٢).

(٣) صحيح: الترمذي في المناقب (٣٧٧٠).

(٤) صحيح: أبو داود في الصلاة (١١٠٩).

(٥) صحيح: البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٧٣٥)، (٣٧٤٧).

بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة، وخرج يوم التروية يريد الكوفة، فبعث عبد الله بن زياد خيلاً لمقتل الحسين، وأمر عليهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص، فأدركه بكربلاء، وقيل: إن عبيد الله بن زياد كتب إلى الحر بن يزيد الرياحي أن جعجع بالحسين، قال أهل اللغة: أراد أحبسه وضيق عليه، والجعجع: الجعجاع: الموضع الضيق من الأرض، ثم أمده بعمرو بن سعد في أربعة آلاف، ثم ما زال عبيد الله يزيد العساكر ويستفز الجماهير إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفًا، وأميرهم عمرو ابن سعد، ووعده أن يملكه مدينة الري، فباع الفاسق الرشد بالغي، وفي ذلك يقول:

أأترك ملك الري والري منيتي وأرجع مأثومًا بقتل حسين

فضيق عليه اللعين أشد تضييق وسد بين يديه وضح الطريق إلى أن قتله يوم الجمعة. وقيل: يوم السبت العاشر من المحرم، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : قتل يوم الأحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة، يقال له كربلاء ، ويعرف بالطف أيضًا وعليه جبة خزد كفاء وهو ابن ست وخمسين سنة. قاله نسابة قريش الزبير بن بكار، ومولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع وفيه قصرت الصلاة، وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أم سلمة، واتفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ويسمى عام الحزن، وقتل معه اثنان وثمانون رجلاً من الصحابة مبارزة منهم: الحر بن يزيد؛ لأنه تاب ورجع مع الحسين، ثم قتل جميع بنيه إلا عليًّا المسمى بعد ذلك بزين العابدين كان مريضًا أخذ أسيرًا بعد قتل أبيه، وقتل أكثر إخوة الحسين وبني أعمامه -رضي الله عنهم- ثم أنشأ يقول:

يا عين ابكي بعبرة وعويل واندبي إن ندبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وتسعة لعقيل

قال جعفر الصادق: وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة بالسيف، وأربع وثلاثون ضربة واختلفوا فيمن قتله. فقال يحيى بن معين : أهل الكوفة يقولون: إن الذي قتل الحسين عمرو بن سعد. قال ابن عبد البر: إنما نسب قتل الحسين إلى عمرو بن سعد؛ لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين، وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الري إن ظفر بالحسين وقتله، وكان في تلك الخيل -والله أعلم- قوم من مصر ومن اليمن وفي شعر سليمان بن فتنة الخزاعي وقيل: إنها لأبي الرميح الخزاعي ما يدل على الاشتراك في دم الحسين، وقيل: قتله سنان بن أبي سنان النخعي وقال مصعب النسابة الثقة : قتل الحسين بن علي سنان بن أبي النخعي، وهو جد شريك القاضي ويصدق ذلك قول الشاعر:

وأي رزية عدلت حسينًا غداة تبيده كفا سنان

وقال خليفة بن خياط: الذي ولي قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن وأمير الجيش عمرو بن سعد، وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحي من حمير حز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا أني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

هذه رواية أبي عمر بن عبد البر في الاستيعاب وقال غيره: تولى حمل الرأس بشر بن مالك الكندي ودخل به على ابن زياد وهو يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبا أني قتلت الملك المحجبا
وخيرهم إذ يذكرون النسبا قتلت خير الناس أما وأبا
في أرض نجد وحرا ويثربًا

فغضب ابن زياد من قوله وقال: إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت مني خيرًا أبدًا ولألحقنك به ثم قدمه فضرب عنقه.

وفي هذه الرواية اختلاف وقد قيل إن يزيد بن معاوية هو الذي قتل القاتل.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد ابن سلمة، عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبعه فيها. قال : قلت يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «**دم الحسين وأصحابه ولم أزل أتبعه منذ اليوم**»[1] قال عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدنا قتل ذلك اليوم وهذا سند صحيح لا مطعن فيه ، وساق القوم حرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما تساق الأسرى، حتى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم ، وفي الأسارى علي بن حسين وكان شديد المرض قد جمعت يداه إلى عنقه، وزينب بنت علي وبنت فاطمة الزهراء، وأختها أم كلثوم، وفاطمة وسكينة بنت الحسين ، وساق الظلمة والفسقة معهم رءوس القتلة.

روى قطر عن منذر الثوري، عن محمد بن الحنفية قال: مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من ولد فاطمة رضي الله عنها.

وذكر أبو عمر بن عبد البر عن الحسن البصري قال: أصيب مع الحسين بن علي ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم يومئذ شبيه، وقيل : إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوانه وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً.

وفي صحيح البخاري في المناقب عن أنس بن مالك: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئًا فقال أنس: كان أشبههم برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان مخضوبًا بالوسمة[2]. يقال : نكت في الأرض إذا أثر فيها، ونكت بالحصباء إذا ضرب بها، وكان الفاسق يؤثر في رأسه المكرم بالقضيب، وأمد عبيد الله بن زياد

---

(١) صحيح: أحمد (٢/٢٨٣).

(٢) صحيح: البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٧٤٨).

من قور الرأس حتى ينصب في الرمح ، فتحاماه أكثر الناس، فقام رجل يقال له (طارق بن المبارك) بل هو ابن المشئوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب دار عبيد الله ، ونادى في الناس وجمعهم في المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها، ثم دعا بزياد بن حر بن قيس الجعفي فسلم إليه رأس الحسين ورءوس إخوته وبنيه وأصحابه، ودعا بعلي بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء ، والناس يخرجون إلى لقائهم في كل بلد ومنزل، حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما وأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي ، ثم وضع الرأس المكرم بين يدي يزيد فأمر أن يجعل في طست من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول هذه الأبيات:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة — وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما
نعلق هامًا من رجال أعزة — علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصلب بالشام، ولما صلبت أخفى خالد بن غفران شخصه من أصحابه ، وهو من أفاضل التابعين فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسألوه عن عزلته، فقال: ألا ترون ما نزل بنا:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد — متزملاً بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا بن بنت محمد — قتلوا جهارًا عامدين رسولا
قتلوك عطشانًا ولم يترقبوا — في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما — قتلوا بك التكبير والتهليلا

واختلف الناس في موضع الرأس المكرم؟ وأين حمل من البلاد؟ فذكر الحافظ أبو العلاء الهمداني: أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة، فأقدم إليه عدة من موالي بني هاشم وضم إليهم عدة من موالي أبي سفيان ، ثم بعث بثقل الحسين ومن بقي من أهله معهم وجهزهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر لهم بها، وبعث برأس الحسين -عليه السلام- إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك عامله في المدينة فقال

عمرو: وددت أنه لم يبعث به إليّ. ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص برأس الحسين -رضي الله عنه- فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة -رضي الله عنها-. وهذا أصح ما قيل في ذلك، ولذلك قال الزبير بن بكار: إن الرأس حمل إلى المدينة، والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب قال: حدثني بذلك محمد بن حسن المخزومي النسابة.

والإمامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يومًا من المقتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين، وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك، أو بالقاهرة بشيء باطل لا يصح ولا يثبت. وقد قتل الله قاتله صبراً ، ولقى حزنًا طويلاً وذعراً وجعل رأسه الذي اجتمع فيه العيب والذم في الموضع الذي جعل فيه رأس الحسين، وذلك بعد قتل الحسين بستة أعوام وبعث المختار به إلى المدينة ، فوضع بين يدي بني الحسين الكرام، وكذلك عمرو بن سعد وأصحابه اللئام ضربت أعناقهم بالسيف وسقوا كأس الحمام وبقي الوقوف بين يدي الملك العلام في يوم ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾[الرحمن:٤١].

وفي الترمذي: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عميرة قال: لما أتي برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت فإذا هي حية قد جاءت تخلل الرءوس حتى دخلت في منخري عبيد الله، فمكثت هنية ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا[1].

قال العلماء: وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين وهي من آيات العذاب الظاهرة عليه ، ثم سلط الله عليهم المختار فقتلهم حتى أوردهم النار، وذلك أن الأمير مذحج بن إبراهيم بن مالك لقي عبيد الله بن زياد على خمسة

(١) صحيح: الترمذي في المناقب (٣٧٨٠) وقال: حسن صحيح.

فراسخ من الموصل وعبيد الله في ثلاثة وثلاثين ألفًا وإبراهيم في أقل من عشرين ألفًا فتطاعنوا بالرماح وتراموا بالسهام واصطفقوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام ، فنظر إبراهيم إلى رجل عليه بزة حسنة ودرع سابغة وعمامة خز دكناء ، وديباجة خضراء ، من فوق الدرع، وقد أخرج يده من الديباجة ورائحة المسك تشم عليه، وفي يده صحيفة له مذهبة، فقصده الأمير إبراهيم لا لشيء إلا لتلك الصحيفة والفرس الذي تحته، حتى إذا لحقه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه، فتناول الصحيفة وغار الفرس فلم يقدر عليه و لم يبصر الناس بعضهم بعضًا من شدة الظلمة، فتراجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى، فأصبح الناس وقد فقد من أهل العراق ثلاثة وسبعون رجلاً، وقتل من أهل الشام سبعون ألفًا.

فيتعشوا منهم بسبعين ألفًا أو يزيدون قبل وقت العشاء

فلما أصبح وجد الأمير الفرس رده عليه رجل كان أخذه، ولما علم أن الذي قتل هو عبيد الله بن زياد كبر وخر ساجدًا، وقال: الحمد لله الذي أجرى قتله على يدي ، فبعث به إلى المختار زيادة على سبعين ألف رأس في أولها أشد رءوس أهل الفساد عبيد الله المنسوب إلى زياد.

قال المؤلف -رحمه الله-: فقلت: هذا من كتاب مرج البحرين في مزايد المشرقين والمغربين للحافظ أبي الخطاب بن دحية -رضي الله عنه-.

أفعال بسر بن أرطاة العامري

ومثل صنيع عبيد الله بن زياد صنع قبله بسر بن أرطاة العامري الذي هتك الإسلام، وسفك الدم الحرام، وأذاق الناس الموت الزؤام، ولم يدع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذمام، فقتل أهل بيته الكرام وحكم في مفارقهم الحسام، وعجل لهم الحمام ذبح ابني عبيد الله بن عباس بن عبدالمطلب وهما صغيران بين يدي أمهما يمرحان ، وهما قثم وعبد الرحمن، فوسوست أمهما وأصابها ضرب من الجان لما أشعله الثكل في قلبها من لهب النيران.

روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه في حديث فيه طول: كان أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله يتعوذ من شر يوم البلاء ويوم العورة في صلاة صلاها أطال قيامها وركوعها وسجودها ، قال: فسألناها مم تعوذت وفيم دعوت؟ فقال: «**تعوذت من يوم البلاء ويوم العورة، فإن نساء من المسلمات ليسبين ليكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت أعظم ساقًا اشتريت على عظم ساقها، فدعوت الله -عز وجل- أن لا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه**»[1].

وذكر أبو عمر بن عبد البر قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، أنبأنا أبو محمد إسماعيل بن محمد الحبطلي ببغداد في تاريخه الكبير، حدثنا محمد بن مؤمن بن حماد قال: حدثنا سلمان بن شيخ، قال: حدثنا محمد بن عبد الحكم، عن عوانة قال: أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أرطاة في جيش، فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ لعليّ -رضي الله عنه- أبو أيوب الأنصاري صاحب

---

(١) ضعيف الإسناد: ابن أبي شيبة في المصنف (٦٧٢/٨) فيه موسى بن عبيدة ضعيف.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ففر أبو أيوب ولحق بعلي -رضي الله عنهما- ودخل بسر المدينة فصعد منبرها فقال: أين شيخي الذي عهدته هنا بالأمس يعني عثمان بن عفان، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهدته إلى معاوية ما تركت فيها محتلماً إلا قتلته، ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية، وأرسل إلى بني سلمة فقال: ما لكم عندي أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر ابن عبد الله، فأخبر جابر ، فانطلق حتى جاء الشام فأتى أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال لها: ماذا ترين فإني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة، فقالت: أرى أن تبايع وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع فأتى جابر بسراً فبايعه لمعاوية وهدم بسر دوراً بالمدينة، ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري، فخاف أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبسر فقال: ما كنت لأقتله وقد خلع عليًّا، ولم يطلبه وكتب أبو موسى إلى اليمن أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل من الناس من أبى أن يقر بالحكومة، ثم مضى بسر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي -رضي الله عنه- عبيد الله بن العباس ، فلما بلغه أمر بسر فر إلى الكوفة، واستخلف على المدينة عبيد الله بن عبد مدان الحارثي ، فأتى بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن عباس فقتلهما ورجع إلى الشام.

وذكر أبو عمرو الشيباني قال: لما وجه معاوية بسر بن أرطاة لقتل شيعة عليّ -رضي الله عنه- سار إلى أن أتى المدينة، فقتل ابني عبيد الله بن العباس ، وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة -حرة بني سليم-، وهذه الخرجة التي ذكر أبو عمرو الشيباني أغار بسر على همدان فقتل وسبى نساءهم، فكن أول نساء سبين في الإسلام وقتل أحياء من بني سعد، وقد اختلفوا كما ترى في أي موضع قتل الصغيرين من أهل البيت هل في المدينة أو في مكة أو في اليمن؛ لأنه دخل هذه البلاد وأكثر فيها الفساد وأظهر لعلي -رضي الله

عنه- العناد، وأفرط في بغضه وزاد ، وسلط على أهل البيت الكريم الأجناد، فقتل وسبى وأباد ، ولم يبق إلا أن يخد الأخاديد ويعد الأوتاد، وكان معاوية قد بعثه في سنة أربعين إلى اليمن، وعليها عبيد الله بن العباس أخو عبد الله ابن العباس، ففر عبيد الله وأقام بسر باليمن وباع دينه ببخس من الثمن، فأخاف السبيل، ورعى المرعى الوبيل، وباع المسلمات، وهتك المحرمات، فبعث علي -رضي الله عنه- في طلبه حارثة بن قدامة السعدي، فهرب بسر إلى الشام، وقد ألبس بذميم أفعاله ثياب العار والذمام، وبقي الوقوف بين يدي الملك العلام يوم ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾ ورده الشريف أبو عبد الله محمد إلى بلاد اليمن، فلم يزل واليًا عليهم حتى قتل علي -رضي الله عنه-.

ويقال : إن بسر بن أرطاة لم يسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- حرفًا؛ لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبض وهو صغير فلا تصح له صحبة، قاله الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما.

وقال آخرون: خرف في آخر عمره، قال يحيى بن معين: وكان رجل سوء، قال المؤلف رحمه الله: كذا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية -رحمه الله-.

وقد ذكر أبو داود، عن جنادة، عن ابن أبي أمية قال: كنا مع بسر بن أرطاة في البحر فأتى بسارق يقال له منصور وقد سرق بختية، فقال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تقطع الأيدي في الغزو ولولا ذلك لقطعته**»(١) .

قال أبو محمد عبد الحق: بسر هذا يقال ولد في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وكانت له أخبار سوء في جانب علي وأصحابه، وهو الذي ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس، ففقدت أمهما عقلها وهامت على

---

(١) صحيح: أبو داود في الحدود (٤٤٠٨).

وجهها، فدعا عليه علي -رضي الله عنه- أن يطيل الله عمره ويذهب عقله، وكان كذلك، قال ابن دحية: ولما ذبح الصغيرين وفقدت أمهما عقلها كانت تقف في الموسم تشعر شعرًا يُبكي العيون ويهيج بلابل الأحزان والعيون هو هذا:

هامن أحسن بابني اللذين هما كالدرتين تسطا عنهما الصدف

يقال تسطعت العصاة إذا صارت فلقًا، قاله في المجمل وغيره:

هامن أحسن بابني اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف

حدثت بسْرًا وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترف

أحنى على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

ما جاء أن اللسان في الفتنة أشد من وقع السيف

أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ستكون فتنة تستنطف العرب قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف**»(١) خرجه الترمذي وقال فيه: حديث غريب، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: لا يعرف لزياد بن سمين كوشي عن عبد الله بن عمر غير هذا الحديث الواحد.

وروي موقوفًا، وذكره أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ستكون فتنة صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له، اللسان فيها كوقوع السيف**»(٢) .

أخرجه ابن ماجه أيضًا عن ابن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إياكم والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف**»(٣) .

---

(١) ضعيف: أبو داود في الفتن (٤٢٦٥) والترمذي في الفتن (٢١٧٨).

(٢) ضعيف: أبو داود في الفتن (٤٢٦٤).

(٣) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٣٩٦٨).

قلت: قوله (تستنطف) أي: ترمي. مأخوذ من نطف الماء أي قطر. والنطفة الماء الصافي قل أو كثر والجمع النطاف. أي أن هذه الفتنة تقطر قتلاها في النار أي ترميهم فيها لاقتتالهم على الدنيا واتباع الشيطان والهوى وقتلاها بدل من قوله: (العرب) هذا المعنى الذي ظهر لي في هذا ولم أقف فيه على شيء لغيري والله أعلم.

قوله: (اللسان فيها أشد من وقع السيف) أي بالكذب عند أئمة الجور ونقل الأخبار إليهم، فربما ينشأ عن ذلك من النهب والقتل والجلد والمفاسد العظيمة أكثر مما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها.

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(١) .

وفي رواية عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(٢) لفظ مسلم.

وقد روي: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا**»(٣).

فقوله: من سخط الله أي مما يسخط الله، وذلك بأن يكون كذبة أو بهتانًا أو بخسًا أو باطلاً يضحك به الناس، كما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**ويل للذي تكلم بالكلمة من الكذب، ليضحك الناس ويل له وويل له**»(٤) .

---

(١) صحيح: البخاري في الرقاق (٦٤٧٧)، ومسلم في الزهد (٤٩/٢٩٨٨).

(٢) صحيح: مسلم في الزهد (٥٠/٢٨٨).

(٣) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠).

(٤) حسن: الترمذي في الزهد (٢٣١٥).

وفي حديث ابن مسعود: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الرفاهية من سخط الله ترديه بُعد ما بين السماء والأرض**»(١) .

قال أبو زياد الكلابي: الرفاهية: السعة في المعاش والخصب، وهذا أصل الرفاهية، فأراد عبد الله أن يتكلم بالكلمة في تلك الرفاهية والأتراف في دنياه مستهيناً بها لما هو فيه من النعمة فيسخط الله -عز وجل- عليه.

قال أبو عبيدة: وفي الرفاهية لغة أخرى الرفاعية، وليس في هذا الحديث. يقال: هو في رفاهية ورفاعية من العيش.

وقوله: (صماء بكماء عمياء): يريد أن هذه الفتنة لا تسمع ولا تبصر فلا تقلع ولا ترتفع؛ لأنها لا حواس لها فترعوي إلى الحق وأنه شبهها لاختلاطها وقتل البريء فيها والسقيم بالأعمى الأصم الأخرس الذي لا يهتدي إلى شيء فهو يخبط عشواء، والبكم: الخرس في أصل الخلقة، والصمم: الطرش.

---

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (٩١٦٠).

الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها والسعيد من جنبها

روى أبو داود عن أبي ذر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يا أبا ذر**» قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، وذكر الحديث قال: «**كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت بالوصيف**» يعني: القبر، قلت: الله ورسوله أعلم، أو قال: ما خار الله لي ورسوله، قال: «**عليك بالصبر**» أو قال: «**تصبر**»، ثم قال: «**يا أبا ذر**» قلت: لبيك وسعديك؟ قال: «**كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم**» قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: «**عليك بمن أنت منه**» قال: قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال: «**شاركت القوم إذًا**» قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: «**تلزم بيتك**» ، قال: قلت: فإن دخل عليّ بيتي؟ قال: «**فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك**»(١) .

خرجه ابن ماجه وقال: تصبر من غير شك، وزاد بعده قال: «**كيف أنت وجوع يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك أو لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك**» قال: قلت الله ورسوله أعلم، أو ما خار الله لي ورسوله، قال: «**عليك بالعفة**» ، ثم قال: «**كيف أنت وقتل يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم**» الحديث.

وقال: «**فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار**»(٢) .

وفي حديث عبد الله بن مسعود حين ذكر الفتنة قال: «**الزم بيتك**» .

---

(١) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٦١).

(٢) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٣٩٥٨).

قيل: فإن دخل عليّ بيتي؟ قال: «**فكن مثل الجمل الأورق الثقال الـــذي لا ينبعث إلا كرهًا ولا يمشي إلا كرهًا**» .

ذكره أبو عبيدة قال: حدثنيه أبو النضر عن المسعودي، عن علي بـــن مدرك عن أبي الرواع، عن عبد الله. قال أبو عبيدة سمعت بعـــض الـــرواة يقول: الرواع والوجه الرواع -بضم الراء-.

وأبو داود قال عن المقداد بن الأسود قال: وايم الله لقد سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواهًا**»[1] .

روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقـــابض علـــي الجمر**»[2] . قال: حديث غريب.

قوله بالوصيف: الوصيف الخادم يريد أن الناس يشتغلون عـــن دفـــن موتاهم، حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبر الميت ويدفنه إلا أن يعطي وصيفًا أو قيمته، وقد يكون معناه أن مواضع القبور تضيق عليهم فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بوصيف.

وقوله: غرقت بالدم أي لزمت والغروق فيـــه، ويـــروي: غرقـــت، وأحجار الزيت موضع بالمدينة.

روى الترمذي عن عمير مولى آبي اللحم عن آبي اللحـــم أنـــه رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستسقي وهو مقنع بكفيه يدعو[3] .

وذكر عمر بن أبي شبة في كتاب (المدينة) علـــى ســـاكنها الصـــلاة والسلام قال: حدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبي فديك قال: أدركت أحجار

---

(١) حسن: أبو داود في الفـــتن (٤٢٦٣).

(٢) حسن: الترمذي في الفـــتن (٢٢٦٠).

(٣) صحيح : الترمذي في الصـــلاة (٥٥٧).

الزيت ثلاثةِ أحجار مواجهة بيت أم كلاب وهو اليوم يعرف ببيت بني أسد، فعلا الكنيس الحجارة فاندفنت.

قال : وحدثنا محمد بن يحيى ، قال: أخبرني أبو ضمرة الليثي عن عنان ابن الحارث بن عبيد، عن هلال بن طلحة الفهري، أن حبيب بن سلمة الفهري كتب إليه أن كعبًا سألني أن أكتب له إلى رجل من قومي عالم بالأرض، قال: فلما قدم كعب المدينة جاءني بكتابه ذلك ، فقال: أعالم أنت بالأرض؟ قلت: نعم، وكانت بالزوراء حجارة يضع عليها الزياتون رواياهم فأقبلت حتى جئتها، فقلت: هذه أحجار الزيت، فقال كعب: لا والله ما هذه صفتها في كتاب الله، انطلق أمامي فإنك أهدى بالطريق مني، فانطلقنا حتى جئنا بني عبد الأشعل، فقال : يا أبا هلال ، إني أجد أحجار الزيت في كتاب الله تعالى، فسأل القوم عنها وهم يومئذ متوافرون فسألهم عن أحجار الزيت، وقال: إنها ستكون بالمدينة ملحمة عندها.

وأما حديث ابن مسعود: «**كن مثل الجمل الأورق**» فقال: الأصمعي الأورق وهو الذي في لونه بياض إلى سواد، ومنه قيل للرماد: أورق، والحمامة: ورقاء. ذكره الأصمعي، قال: وهو أطيب الإبل لحمًا وليس بمحمود عند العرب في عمله وسيره، وأما الثقال فهو البطيء. قال عبيد: إنما خص عبد الله الأورق من الإبل لما ذكر من ضعفه عن العمل، ثم اشترط الثقال أيضًا فزاده إبطاء وثقلاً، فقال: كن في الفتنة مثل ذلك، وهذا إذا دخل عليك، وإنما أراد عبد الله بهذا التثبط عن الفتنة والحركة فيها.

وأما أمره –صلى الله عليه وسلم– أبا ذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل، فقالت طائفة: ذلك عند جميع الفتن وغير جائز لمسلم النهوض في شيء منها، قالوا : وعليه أن يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها، وحملوا الأحاديث على ظاهرها ، وربما احتجوا من جهة النظر بأن قالوا: إن كل فريق من المقتتلين في الفتنة فإنه يقاتل على تأويل، وإن كان في الحقيقة

خطأ فهو عند نفسه محق وغير جائز لأحد قتله، وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضي بقضاء مما اختلف فيه العلماء على ما يراه صوابًا فغير جائز لغيره من الحكام نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتابًا ولا سنة ولا جماعة وكذلك المقتتلون في الفتنة كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره مما يدعون من التأويل فغير جائز لأحد قتالهم ، وإن هم قصدوا القتلة فغير جائز دفعهم، وقد ذكرنا من تخلف عن الفتنة وقعدوا، منهم: عمران بن الحصين وابن عمر، وقد روى عنهما وعن غيرهما منهم عبيدة السلماني أن من اعتزل الفريقين فدخل بيته فأتى من يريد نفسه فعليه دفعه عن نفسه، وإن أبى الدفع عن نفسه فغير مصيب كقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد**» قالوا : فالواجب على كل من أريدت نفسه وماله فقتل ظلمًا دفع ذلك ما وجد إليه السبيل متأولاً كان المريد أو متعمدًا للظلم.

قلت: هذا هو الصحيح من القولين إن شاء الله تعالى، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي، قال: فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني، قال: «**قاتله**» قال: أرأيت إن قتلني. قال: «**فأنت شهيد**» قال: أرأيت إن قتلته، قال: «**هو في النار**»[1] .

وقال ابن المنذر: ثبتت الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»[2] وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم، وهذا مذهب ابن عمر، والحسن البصري ، وقتادة، ومالك ، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والنعمان، قال أبو بكر: وبهذا يقول عوام أهل العلم أن للرجل

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (١٤٠/٢٢٥).
(٢) سبق تخريجه.

أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلمًا؛ للأخبار التي جاءت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لم يخص وقتًا من وقت ولا حالاً دون حال إلا السلطان، فإن جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار الواردة الدالة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم، وقد تقدم ذلك في بابه والحمد لله.

جعل الله في أول هذه الأمة عافيتها وفي آخرها بلاءها

روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيدفق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول: هذه منه، فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته فتنته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**».

قال ابن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة: فدنوت منه فقلت له: ناشدتك الله أنت سمعت هذا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال : سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله عز وجل يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن**

تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ [النساء:٢٩] فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله[1] .

قوله: (ينتضل) الانتضال الرمي بالسهام، و(الجشر) المال من المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار، يقال: مال جشر يرعى في مكانه؛ لأنه يرجع إلى أهله، يقال: جشرنا دوابنا أي أخرجناها إلى المرعى وأصله البعد، ومنه يقال للأعزب: جشر وجشير لبعده عن النساء، وفي الحديث: «**من ترك قراءة القرآن شهرين فقد جشره**» أي بعد عنه. وقوله: «**يدفق بعضها بعضاً**» أي: يتلو بعضها بعضاً وينصب بعضها على بعض. والتدفق التصبب، وهذا المعنى مبين في نفس الحديث لقوله : (وتجيء الفتنة ثم تنكشف وتجيء الفتنة وتزحزح) أي: تبعد، ومنه قوله تعالى: ﴿**وما هو بمزحزحه من العذاب**﴾ [البقرة: ٩٦] أي بمبعده، وصفقة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة في الاستيثاق مع النطق باللسان والالتزام بالقلب ، وفي التنزيل: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح:١٠] الآية، وقوله : فاضربوا عنق الآخر قيل : المراد عنه وخلعه وذلك قتله وموته، وقيل: قطع رأسه وإذهاب نفسه يدل عليه قوله في الحديث الآخر: (فاضربوه بالسيف كائناً ما كان) وهو ظاهر الحديث هذا إذا كان الأول عدلاً، والله أعلم.

---

(١) صحيح: مسلم في الإمارة (٤٦/١٨٤٤).

جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض خير من ظهرها

روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يدعو فيقول: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**» وقد تقدم هذا في أول الكتاب.

قال ابن وهب: وحدثني مالك قال: كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له: مت إن استطعت، فيقول له: لم؟ قال: تموت وأنت تدري على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ما تموت عليه. قال مالك: ولا أرى عمر دعا ما دعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن.

قلت: وقد جاء هذا المعنى مرفوعًا، عن أبي هريرة، روى النضر بن شميل عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم**»(١). وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيرًا من مباشرتها.

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير من ظهرها**»(٢) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح

---

(١) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٣٩، ٤٤٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢٦) فيه صالح المري وهو ضعيف.

المري في حديثه غرائب لا يتابع عليه وهو رجل صالح.

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»[1].

أخرجه مسلم، وابن ماجه بمعناه، وزاد مثنى: وليس به الدين إلا البلاء.

وروى شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الزعراء يحدث عن عبد الله قال: «**ليأتين على الناس زمان يأتي الرجل القبر فيقول يا ليتني مكان هذا، ليس به حب الله ولكن من شدة ما يرى من البلاء**» .

قلت: وكان هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه ، ومن أكثر الناس أو قلة الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، وكذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**» وقد مضى الكلام في هذا المعنى في أول الكتاب، ونزيده وضوحًا إن شاء الله تعالى والله أعلم.

---

(١) صحيح: البخاري في الفتن (٧١١٥)، ومسلم في الفتن (١٥٧/٥٣)، وابن ماجه (٤٠٣٧).

أسباب الفتن والمحن والبلاء

روى أبو نعيم، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي عبيدة بن الجراح، عن عمر بن الخطاب قال: أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون أتاني جبريل آنفًا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون فمم ذلك يا جبريل؟ فقال: إن أمتك مفتتنة بعدك من دهر غير كثير، فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلال؟ فقال: كل سيكون، فقلت: ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم يمنع الأمراء الناس الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلوا ويفتتنوا، ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، قلت : كيف يسلم من يسلم منهم؟ قال : بالكف والصبر إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوا تركوه**»[1] .

روى البزار عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[2] .

أخرجه ابن ماجه أيضًا في سننه.

---

(١) ضعيف: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٨٥١، ٨٥٢) فيه مسلمة بن علي متروك.

(٢) حسن: ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩) وفي الزوائد: وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه.

وذكره أبو عمر بن عبد البر، وأبو بكر الخطيب من حديث سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد قال: حدثنا مالك عن عمه أبي سهيل، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا أولئك الأكياس**» ثم قال: «**يا معشر المهاجرين، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم**»(١) . وذكر الحديث.

وقال عطاء الخراساني: إذا كان خمس كان خمس: إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة(٢) ذكره أبو نعيم.

روى الترمذي عن ابن عمر قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها**»(٣) قال: هذا حديث غريب.

روى ابن ماجه عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر -رضي الله عنه- فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»(٤).

أخرجه أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ضعيف: أبو نعيم في الحلية (١٩٩/٥) فيه أبو معشر من الضعفاء.

(٣) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢٦١).

(٤) صحيح: أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨) وابن ماجه (٤٠٠٥).

روى مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟**» قال عبد الرحمن: نكون كما أمر الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون**، -أو نحو ذلك- **ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**»[1] .

وأخرج أيضًا عن عمرو بن عوف، وهو حليف بني عامر بن لؤي، وكان شهد بدرًا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان -صلى الله عليه وسلم - قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين رآهم ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»[2]. وفي رواية: «**فتلهيكم كما ألهتهم**» بدل: (فتهلككم).

وأخرج ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[3].

أخرجه البخاري ومسلم أيضًا.

---

(١) صحيح: مسلم في الزهد (٢٩٦٢).

(٢) صحيح: مسلم في الزهد (٦/٢٩٦١).

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩٨).

وأخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال**»[1] .

وأخرج أيضًا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قام خطيبًا وكان فيما قال: «**إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الله واتقوا النساء**».

خرجه مسلم وقال: بدل قوله: (فاتقوا الله) (فاتقوا النار واتقوا النساء)، وزاد: «**فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[2] .

روى الترمذي، عن كعب بن عياض قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**»[3] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وعن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن**»[4]

قال: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري.

---

(١) ضعيف: ابن ماجه (٣٩٩٩).

(٢) صحيح: مسلم في الذكر (٢٧٤٢) وابن ماجه (٤٠٠٠).

(٣) صحيح: الترمذي في الزهد (٢٣٣٦).

(٤) صحيح: الترمذي في الفتن (٢٢٥٦) وقال: حسن صحيح غريب.

فتنة المال والنساء

حذر الله -سبحانه وتعالى- عباده فتنة المال والنساء في كتابه وعلى لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- فقال عز من قائل : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم**﴾[التغابن: ١٤] وقال تعالى: ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ [التغابن: ١٥] ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرًا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم**﴾ [التغابن: ١٦، ١٧] فنبه الله على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد في آي ذكر الله فيها فتنة ، وما كان عاصمًا من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء.

وقال تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث**﴾[آل عمران: ١٤] ثم قال تعالى: ﴿**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات**﴾[آل عمران: ١٥] فوصف تعالى ما للمتقين عند ربهم، ثم وصف أحوالهم بنعتهم إلى قوله: ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾[آل عمران: ١٧] وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه ومثل هذا في القرآن كثير.

والمطيطاء: بضم الميم والمد: المشي بتبختر وهي مشية المتكبرين المفتخرين ، وهو مأخوذ من مط يمط إذا مد، قال الجوهري: والمطيطاء بضم الميم ممدودًا التبختر ومد اليدين في المشي، وفي الحديث: «**إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم**»(١).

وقوله: ثم ينطلقون في مساكن المهاجرين. قيل في الكلام حذف أي

---

(١) سبق تخريجه ..

في مساكين المهاجرين، والمعنى أنه إذا وقع التنافس والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القوي ما أفاء الله على المسكين الذي لا يقدر على مدافعته، فيمنعه عنه ظلماً وقهراً بمقتضى التنافس والتحاسد.

وقيل: ليس في الكلام حذف وأن المعنى المراد أن مساكين المهاجرين وضعفاءهم سيفتح عليهم إذ ذاك من الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض ، وهذا اختيار القاضي عياض، والأول اختيار شيخنا أبي العباس القرطبي قال : وهو الذي يشهد له مساق الحديث ومعناه، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أخبرهم أنه يتغير بهم الحال ، وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية تخالف أحوالهم التي كانوا عليها من التنافس والتباغض وانطلاقهم في مساكين المهاجرين ، فلا بد أن يكون هذا الوصف غير مرضي كالأوصاف التي قبله، وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجيهاً، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره والله أعلم، ويعضده رواية السمرقندي: فيحملون بعضهم على رقاب بعض. أي بالقهر والغلبة.

ما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية

ذكر أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا المقدام ابن داود، حدثنا علي بن معبد الرقي، حدثنا وهب بن راشد، حدثنا مالك ابن دينار، عن خلاص بن عمرو، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله -عز وجل- يقول: أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك، وملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، وأن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إليّ أكفكم ملوككم**»[1] غريب من حديث مالك مرفوعًا تفرد به على بن معبد عن وهب بن راشد.

(١) ضعيف جدًا: أبو نعيم في الحلية (٢/٣٨٨) فيه وهب بن راشد متروك.

أبواب الملاحم باب أمارات الملاحم

روى أبو داود عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»[1] .

روى البخاري عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: «**اعدد ستًا بين يدي الساعة : موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا**»[2] .

وخرجه أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله اثنا عشر ألفًا: «**ففسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق**»[3] ، ذكره بإسناده أبو الخطاب بن دحية في كتاب (مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين).

وقال عوف بن مالك الأشجعي: شهد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتحه صلحًا لخمس خلون من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة، ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد أمير المؤمنين عمر، ثم شاهد قتال الجمل وصفين، وشاهد عوف -رضي الله عنه- أيضًا الموتان الذي كان بالشام قبل ذلك، وهو المسمى بطاعون عمواس، مات يومئذٍ ستة وعشرون ألفًا، وقال المديني:

---

(١) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٢٩٤).

(٢) صحيح: البخاري في فرض الخمس (٣١٧٦).

(٣) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٢٩٨) والطبراني في الكبير (٤٢/١٨).

خمسة وعشرين ألفًا. وعمواس: بفتح العين والميم لأنه (عـــم وأســـى) أي: جعل بعض الناس أسوة بعض ، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، والأمير الفقيه أبو عبد الرحمن معاذ ابن جبل، قال الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه: كان طاعون عمواس ســـنة ثماني عشر. رواه عن أحمد أبو زرعة الرازي قال: كان الطاعون سنة ســـبع عشرة أو ثمان عشرة وفي سنة سبع عشرة رجع عمر من سرغ، وموتان بضم الميم هي لغة وغيرهم يفتحونها وهو اسم الطاعون والموت.

وقوله: كقعاص الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها قاله أبو عبيـــــدة؛ لأن القعاص الموت العاجل ويقال بالسين، وقيل: هو داء يأخذ في الصدر كأنــــه يكسر العنق، وقد انقضت هذه الخمس، وعاش عوف بن مالك إلى زمــــن عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقد أربى بصفين علـــى المائة، وقال الواقدي: مات عوف بن مالك بالشام سنة ثلاثة وتسعين، فـــإن صح ما قال فقد مات في أيام الوليد بن عبد الملك بن مـــروان إن لم يكـــن تصحيفًا منه، والله أعلم.

ما ذكر في ملاحم الروم وتواترها وتداعي الأمم على أهل الإسلام

روى ابن ماجه، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا**»[1] .

وعن ذي مخمر، وكان رجلاً من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ستصالحكم الروم صلحًا آمنا، ثم تغزون أنتم وهم عدوًا فتنصرون وتغنمون وتقتسمون وتسلمون ، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجل من أهل الصليب صليبه ، فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون الملحمة، فيأتون تحت ثمانين راية كل راية اثنا عشر ألفًا**»[2] .

وأخرجه أبو داود وزاد: «**ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة**»[3] .

وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وإسناده صحيح ثابت. وذو مخمر -بالميم لا غير- وهو ابن أخي النجاشي قاله الأوزاعي، وقد عده أبو عمر في موالي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قاله ابن دحية.

وخرجا جميعًا عن ابن ماجه، وأبو داود، عن معاذ بن جبل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الملحمة الكبرى وفتح قسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر**»[4] .

---

(١) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٩٥).

(٢) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٢٩٢).

(٣) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٩٣) وأحمد (٩١/٤).

(٤) حسن : أبو داود في الملاحم (٤٢٩٥) والترمذي في الفتن (٢٢٣٨) وابن ماجه =

وخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عبد الله بن بسر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة**»[1] خرجه ابن ماجه وأبو داود، وقال أبو داود: هذا صحيح من حديث عيسى.

قلت: يريد حديث معاذ المذكور قبله.

روى مسلم عن بشير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجير إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئًا فقال: الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام وتجمع لهم أهل الإسلام.

قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب فتفنى الشرطة، وإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة -إما قال: لم ير مثلها. وإما قال: لا يرى مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا فيتعادى بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يفرح وبأي ميراث يقسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك، فجاءهم الصريخ ، فقال : إن الدجال خرج في ذراريهم فيرفضون ما

=

في الفتن (٤٠٩٢).

(١) حسن: أبو داود في الملاحم (٤٢٩٦) وابن ماجه في الفتن (٤٠٩٣).

بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض أو من خير فوارس يومئذ**»[1].

روى أبو داود عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل من القوم: من قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة وليقذفن في قلوبكم الوهن**» فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهة الموت**»[2].

قوله: (بني الأصفر). يعني الروم، وفي تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما: أن جيشًا من الحبشة غلبوا على ناحيتهم في بعض الدهر، فوطئوا نساءهم فولدن أولادًا صفرًا، قاله ابن الأنباري.

الثاني: أنهم نسبوا إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قاله ابن إسحاق، وهذا أشبه من القول الأول. والهدنة: الصلح، والغاية :الراية، كما جاء مفسراً في الحديث بعده. سميت بذلك لأنها تشبه السحابة ما في الجو، والغاية والصابة السحابة، وقد رواه بعض رواة البخاري: تحت غابة -بباء مفردة النقطة- وهي الأجمة، شبه اجتماع رماحهم وكثرتها بالأجمة وهي الغابة، والصحيح الأول؛ لأنها تظل الأجناد لكثرة راياتهم واتصال ألويتهم وعلاماتهم كالسحاب الذي يظل الإنسان.

وقد صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إن تحت كل غاية اثني عشر ألفًا فجملة ما اتخذوا تسعمائة ألف وستون ألفًا**» ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية، وقد روي مرفوعًا في حديث فيه طول عن حذيفة: أن الله تعالى يرسل ملك الروم وهو الخامس من الهرقل يقال له

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٩٩/٣٧).

(٢) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٢٩٧).

(ضمارة) وهو صاحب الملاحم، فيرغب إلى المهدي في الصلـــح، وذلـك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام، فيضع عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون، فلا تبقى لرومي حرمة ويكسرون لهم الصليب، ثـــم يرجع المسلمون إلى دمشق، فبينما الناس كذلك إذا برجل من الـــروم قـد التفت فرأى أبناء الروم وبناتهم في القيود والأغلال فتغـــير نفســه فـيرفع الصليب ويرفع صوته فيقول: ألا من كان يعبد الصليب فلينصـــره، فيقـوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول: الله أغلب وأنصر، فحينئذ يغدرون وهم أولى بالغدر، فيجمعون عند ذلك ملوك الروم في بلادهم خفية، فيـأتون إلا بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون والمسلمون قد أخذوا منهـم الأمن وهم على غفلة أنهم مقيمون على الصلح، فيأتون أنطاكيـــة في اثـني عشر ألف راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا، فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشـــام ولا بأنطاكية نصراني إلا ويرفع الصليب، فعند ذلك يبعث المهدي إلى أهـل الشام، والحجاز واليمن والكوفة، والبصرة، والعراق، يعرفهم بخروج الــروم وجمعهم، ويقول لهم: أعينوني على جهاد عدو الله وعدوكم، فيبعث إليـــه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على ساحل الفرات وحل بنا ما شغلنا عنك، فيأتي إليه بعض أهل الكوفة والبصرة، ويخرج إليهم المهـــدي، ويخرج معهم المسلمون إلى لقائهم فيلتقي بهم المهدي ومن معه من المسلمين، فيأتون إلى دمشق فيدخلون فيها فتأتي الروم إلى دمشق فيكونـــون عليهـا أربعين يومًا، فيفسدون البلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديـــار ويقطعـون الأشجار، ثم إن الله تعالى ينزل صبره ونصره على المؤمنين فيخرجون إليـــه، فتشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير، فيا لها مـــن وقعـة ومقتلة ما أعظمها وما أعظم هولها، ويرتد من العرب يومئذ أربـــع قبـائل: سليم ونهد وغسان وطيئ فيلحقون بالروم ويتنصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسيم، ثم إن الله تعالى ينزل النصر والصبر والظفـــر علـى

المسلمين، فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل في دمائهم وتشتعل الحرب بينهم، حتى إن الحديد يقطع بعضه بعضاً، وإن الرجل من المسلمين ليطعن العلج السفود فينفذه وعليه الدرع من الحديد، فيقتل المسلمون من المشركين خلقاً كثيراً حتى تخوض الخيل في الدماء وينصر الله تعالى المسلمين ويغضب على الكافرين، وذلك رحمة من الله تعالى لهم، فعصابة من المسلمين يومئذ خير خلق الله والمخلصين من عباد الله ليس فيهم مارد ولا مارق ولا شارد ولا مرتاب ولا منافق، ثم إن المسلمين يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن والحصون، فتقع أسوارها بقدرة الله ، فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الأموال ويسبون النساء والأطفال ، ويكون أيام المهدي أربعين سنة، عشر سنين في المغرب ، واثنتا عشرة سنة بالكوفة ، واثنتا عشرة بالمدينة، وستة بمكة، وتكون منيته فجأة بينما الناس كذلك إذ تكلم الناس بخروج الدجال اللعين وسيأتي من أخبار المهدي ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

وقوله: (ليس له هجير). الهجير: الدأب والعادة. يقال: ما زال لذلك هجيراه واهجيراه وإجيراه أي دأبه وعادته، وهاجت: أي تحركت ريح حمراء أي شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الأرض، فظهرت حمرتها، ولما رأى ذلك الرجل جاء مجيء الخائف من قرب الساعة ، والشرطة هنا بضم الشين أول طائفة من الجيش تقاتل، سموا بذلك لعلامة تميزوا بها، والأشراط: العلامات وتفنى الشرطة : أي تقتل، وتفيء ترجع. ومنه حتى تفيء إلى أمر الله، ونهد تقدم ومنه سمي النهد نهداً لتقدمه الصدر. والدايرة ويروى والدائرة والمعنى متقارب. قال الأزهري: الدائرة الدولة تدور على الأداء، والدائرة النصر والظفر يقال : لمن الدائرة ، أي لمن الدولة، وعلى من الدائرة؟ أي الهزيمة. قاله أبو عبيد الهروي: والجنبات جمع جنبة وهي الجانب، ويروى بجثمانهم أي بأشخاصهم، وقوله: إذ سمعوا بناس بنون وسين، هم أكثر بالثاء

المثلثة، ويروى بباس -بباء واحدة- أكبر -بباء واحدة أيضًا-، وهو الأمر الشديد وهو الصواب لرواية أبي داود وإذا سمعوا بأمر هو أكبر من ذلك، والصريخ الصارخ أي: المصوت عند الأمر الهائل، ويرفضون أي يرمون ويتركون، والطليعة: الذي يتطلع الأمر ويستكشفه، وتداعى الأمم: اجتماعها ودعا بعضها بعضًا حتى تصير العرب بين الأمم كالقصعة والأكلة، وغثاء السيل: ما يقذف به على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش، وكذلك الغثاء بالتشديد. والجمع الأغثاء. والله أعلم.

بيان قوله تعالى: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾

عن حذيفة قال: فتح لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتح فأتيته فقلت: الحمد لله يا رسول الله ألقى الإسلام بجرانه ووضعت الحرب أوزارها؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن دون أن تضع الحرب أوزارها خلالاً ستًا، أفلا تسألني عنها يا حذيفة؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فما أولها؟ قال: «**موتي وفتح بيت المقدس، ثم فئتان دعواهما واحدة يقتل بعضهم بعضًا، ثم يفيض المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخطها، وموت كقعاص الغنم وغلام من بني الأصفر ينبت في اليوم كنبات أشهر، وفي الشهر كنبات السنة، فيرغب قومه فيه فيملكونه ويقولون: نرجو أن يرد بك علينا ملكنا، فيجمع جمعًا عظيمًا ثم يسير حتى يكون بين العريش وأنطاكية فأميركم يومئذ نعم الأمير، فيقول لأصحابه: كيف ترون؟ فيقولون: نقاتلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فيقول: لا أرى ذلك ولكن نخلي لهم أرضهم ونسير بذرارينا وعيالنا حتى نحرزهم ثم نغزوهم، وقد أحرزنا ذرارينا وعيالنا فيسيرون حتى يأتوا مدينتي هذه ويستمد أهل الشام فيمدونه، فيقول: لا ينتدب معي إلا من باع نفسه لله حتى يلقاهم فيلقاهم، ثم يكسر غمده ثم يقاتل حتى يحكم الله بينهم، فينتدبون سبعون ألفًا أو يزيدون على ذلك، فيقول: حسبي**

سبعون ألفًا لا تحملهم الأرض، وفي القوم عين العدو فيخبرهم بالذي كان فيسير إليهم حتى إذا التقوا سألوه أن يخلي بينهم وبين من كان بينهم نسب، فيأتي ويدعو أصحابه فيقول: أتدرون ما يسأل هؤلاء؟ فيقولون: ما أحد أولى بنصر الله وقتاله منا. فيقول: امضوا واكسروا أغمادكم فيسل الله سيفه عليهم فيقتل منهم الثلثان ويفر في السفن منهم الثلث، حتى إذا تراءت لهم جبالهم فبعث الله عليهم ريحًا فردتهم إلى مراسيهم إلى الشام، فأخذوا وذبحوا عند أرجل سفنهم عند الشاطئ، فيومئذ تضع الحرب أوزارها»(١) .

رواه إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن ربيعة بن سفيان بن ماتع المغافري، عن مكحول، عن حذيفة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كذا ذكره الفقيه ابن برجان في كتاب الإرشاد له، ومنه نقلته وفي إسناده مقال، والله أعلم.

ما جاء في قتال الترك وصفتهم

البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**»(٢) .

وخرج مسلم عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تقاتلون بين يدي الساعة قومًا نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه صغار الأعين ذلف الأنوف** - وفي رواية - **يلبسون الشعر ويمشون في الشعر** »(٣) أخرجه البخاري ، وأبو داود والنسائي، وابن

---

(١) ضعيف السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم في تفسيره فيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف.

(٢) صحيح: البخاري في المناقب (٣٥٩٠).

(٣) صحيح: البخاري في المناقب (٣٥٩٢)، ومسلم في الفتن (٢٩١٢/٦٦) وأبو داود =

ماجه والترمذي وغيرهم.

وخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين عراض الوجوه، كأن أعينهم حدق الجراد، وكأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعور، ويتخذون الدرق يربطون خيولهم بالنخيل**»[1] .

روى أبو داود، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث: «**يقاتلونكم قوم صغار الأعين -يعني الترك- قال: تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب فأما في السياقة الأولى فينجو منهم من هرب، وأما في الثانية فينجو بعضهم ويهلك بعض، وأما في الثالثة فيصطلمون**»[2] .

قوله: (المجان المطرقة)، المجان جمع مجن هو الترس، والمطرقة هي التي قد عوليت بطراق وهو الجلد الذي يغشاه شبه وجوههم في عرضها ونتوء وجناتها بالترس والمطرقة، قال معناه الخطابي وغيره وقيده القاضي عياض رحمه الله في كتاب مشارق الأنوار له، فقال: الصواب فيه المطرقة -بفتح الطاء وتشديد الراء-. قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية، قال لي شيخنا المحدث الكبير اللغوي النحوي أبو إسحاق الحمزي : بل الصواب فيه المطرقة -بسكون الطاء وفتح الراء- التي أطرقت بالعقب أي ألبست حتى غلظت وكأنها ترس على ترس، ومنه طارقت النعل إذا ركبت جلدًا على جلد وخرزته عليه.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: هذا معنى ما نقلناه عن الخطابي، وقال أهل اللغة: وفي الصحاح والمجان المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل

=

(٤٣٠٣) وغيره.

(١) حسن: ابن ماجه في الفتن (٤٠٩٩) وفي الزوائد: إسناده حسن.

(٢) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٠٥).

المطرقة المخصوفة، يقال: أطرقت الجلد والعصب أي ألبسته وترس مطرق، وقوله: (نعالهم الشعر) أي يصنعون من الشعر حبالاً ويصنعون منها نعالاً كما يصنعون منه ثيابًا ويشهد بهذا قوله: (يلبسون الشعر ويمشون في الشعر) هذا ظاهره، ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهي إذا أسدلوها كاللباس وذوائبها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال، والأول أظهر.

قال ابن دحية: إنما كانت نعالهم من ضفائر الشعر أو من جلود مشعرة لما في بلادهم من الثلج العظيم الذي لا يكون في بلد كبلادهم ، ويكون من جلد الذئب وغيره، وقوله: يلبسون الشعر فهو إشارة إلى الشرابيش التي يدار عليها بالقندس، والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز، وذوات الصوف كالضأن ، وذوات الوبر كالإبل.

وقوله: ذلف الأنف أي غلاظها، يقال: أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح، والذلف في اللغة: تأخر الأرنبة، وقيل تطامن فيها، وقيل فطس الأنوف كما في حديث البخاري عن أبي هريرة، فالحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضًا، ويروى دلف الأنوف -بالدال المهملة -والمعجمة- أكثر.

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية -رضي الله عنه-: (وخوزا) قيدناه في صحيح البخاري ومسلم بالزاي ، وقيده الجرجاني في خور كرمان -بالراء المهملة- مضافًا إلى كرمان، وكذا صوبه الدارقطني -بالراء المهملة مع الإضافة- وحكاه عن الإمام أحمد بن حنبل، وقال: إن غيره صحف فيه، وقال غير الدارقطني إذا أضيف فبالراء المهملة لا غير وإذا عطفته فالبزاي لا غير ويقال: إنهما جنسان.

سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، قال: حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فسمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : «**إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الحجف ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أما السياقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجو بعض، وأما السياقة الثالثة فيصطلمون كلهم من بقي منهم -قالوا: يا نبي الله من هم؟ قال: هم الترك-، قال: أما والذي نفسي بيده ليربطون خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين**» قال: وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من البلاء من الترك[1] .

قال الإمام أبو الخطاب عمر بن دحية: وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة والصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، عن الإمام العدل المجمع على ثقته أبي نعيم الفضل بن دكين، وبشير بن المهاجر ثقة، رأى أنس بن مالك، روى عنه جماعة من الأئمة فوثقوه.

قال المؤلف -رحمه الله- وخرج أبو داود قال: حدثنا جعفر بن مسافر قال: حدثنا خلاد بن يحيى: حدثنا بشير بن مهاجر قال: حدثا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث: «**يقاتلونكم صغار الأعين**» يعني الترك. قال: «**تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى فينجو منهم من هرب، وأما الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فيصطلمون**»[2] .

---

(١) حسن: أحمد (٥/٣٤٨، ٣٤٩).

(٢) سبق تخريجه.

الاصطلام: الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع. اصطلمت أذنه إذا استوفيت بالقطع، وأنشد الفراء:

ثمت اصطلمت إلى الصماخ فلا قرن ولا أذن

والحديث الأول: يدل على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم، وقد وقع ذلك على نحو ما أخبر -صلى الله عليه وسلم-، فخرج منهم في هذا الوقت أنهم لا يحميهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم.

قال الحافظ السيد بن دحية -رضي الله عنه-: يخرج في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستمائة جيش من الترك يقال له: الططر، عظم في قتله الخطب والخطر وقضى له من قتل النفوس المؤمنة الوطر، ولم تهتد إلى دفعه بالحيل الفطر، يقتلون من وراء النهر، وما دونه من جميع البلاد بلاد خراسان ومحو رسوم ملك بني ساسان، وهذا الجيش ممن يكفر بالرحمن ويرى أن الخالق المصور هو النيران، وملكهم يعرف بخان خاقان، وخربوا بيوتهم مدينة نشاور وأطلقوا فيها النيران، وخار عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبأ في المغارات والكهفان، حتى وصلوا إليها وقتلوا وسبوا وخربوا البنيان، أطلقوا الماء على المدينة من نهر جيحان فغرق فيها مباني الذرا والأركان، ثم صيروا المشهد الرضوي بطوس أرضًا بعد أن كان، وقطعوا ما أمر الله – عز وجل – به أنه يوصل من الدين بأخسر الأديان، إلى أن وصلوا بلاد قهستان، فخربوا مدينة الري وقزوين وأبهر وزنجان، ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرسي بلاد أذربيجان، واستأصلوا شأفة من في هذه البلاد من العلماء والأعيان ، واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان، ثم وصلوا إلى العراق الثاني وأعظم مدنه مدينة أصبهان، ودور سورها أربعون ألف ذراع في غاية الارتفاع والإتقان، وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن ، وكف الكفر عنهم بأيمان الإيمان، وأنزل عليهم مواد التأييد

والإحسان، فتلقوهم بصدور هي في الحقيقة صدور الشجعان، وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان، واجتمع فيها مائة ألف ألف إنسان، وخرجوا إليهم كأسد ولكن غاباتها عوامل الخرصان ، وقد لبسوا البيضا كثغور الأقحوان، وعليهم دروع فضفاضة في صفاء الغدران، وهيئت للمجاهدين درجات الجنان، وأعدت للكافرين دركات النيران، وبرز إلى الططر القتل في مضاجعهم، وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم، فمرقوا عن اصبهان مروق السهم من الرمي وأنشدوا:

إلى الوادي فطم على القرى

ففروا منهم فرار الشيطان يوم بدر له خصاص، ورأوا أنهم إن وقفوا لم يمكن لهم من الهلاك محاص، وواصلوا السرى بالسرى وهدوا من همدان الوهاد والذرى ، بعد أن قامت الحرب على ساق ، والأرواح في مساق، من ذبح مثله وضرب الأعناق، وصعدوا جبل أوزند فقتلوا من فيه من جموع صلحاء المسلمين، وخربوا ما فيه من الجنات والبساتين وانتهكوا منهم ومن نسائهم حرمات الدين، وكانت استطالتهم على مقدار ثلثي بلاد المشرق الأعلى، وقتلوا فيها من الخلائق ما لا يحصى، وقتلوا في العراق الثاني عدة تقرب أن يستقصى ، وربطوا خيولهم في سواري المساجد والجوامع كما جاء في الحديث المنذر لخروجهم الشارح الجامع، وأوغلوا في بلاد المشرق أي إيغال، وقادوا الجيوش إليها مقادة أبي رغال في كلام له إلى أن قال: وقطعوا السبل وأخافوها، وجاسوا خلال الديار وطافوها، وملئوا قلوب المؤمنين رعبًا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبًا، وحكموا سيوفهم في رقاب أهلها وأطلقوا يد التخريب في وعرها وسهلها، ولا شك أنهم هم المنذر بهم في الحديث، وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون في الآخرة منها.

قال المؤلف -رحمه الله-: فقد كملت -بحمد الله- خرجاتهم، ولم يبق إلا قتلهم وقتالهم فخرجوا على العراق الأول والثاني كما ذكرناه ، وخرجوا في هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد، وقتلوا

جميع من كان فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد، وحصروا ميافارقين واستباحوا جميع من فيها من الملوك والمسلمين، وعبروا الفرات إلى أن وصلوا إلى مدينة حلب فخربوها، وقتلوا من فيها إلى أن تركوها خالية يبابا، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الأيام، وفلقوا بسيوفهم الرءوس والهام، ودخل رعبهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللحوق بالدار الأخروية، فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بقطز -رضي الله عنه- بجميع من معه من العسكر، وقد بلغت الحناجر القلوب والأنفس بعزيمة صادقة ونية خالصة إلى أن التقى بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر، كما كان لطالوت فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير، وانجلوا عن الشام من ساعتهم، ورجع جميعه كما كان إلى الإسلام، وعبروا الفرات منهزمين، ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين، وراحوا خائبين خاسرين مدحورين أذلاء صاغرين.

ما جاء في ذكر البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية

أبو داود الطيالسي قال: حدثنا الحشرج بن نباتة الكوفي، حدثنا سعيد ابن جيهان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لتنزلن طائفة من أمتي أرضًا يقال لها البصرة ويكثر بها عددهم ونخلهم، ثم يجيء قوم من بني قنطورا عراض الوجوه صغار الأعين، حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له دجلة، فيتفرق المسلمون ثلاث فرق: أما فرقة فتأخذ بأذناب الإبل فتلحق البادية فهلكت، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها وكفرت وهذه وتلك سواء، وأما فرقة فيجعلون عيالاتهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء، ويفتح الله على بقيتهم»**[1].

---

(١) حسن: أبو داود الطيالسي في مسنده (٨٧٠).

وخرجه أبو داود السجستاني في سننه بمعناه. فقال: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثني سعيد ابن جيهان: حدثنا مسلم بن أبي بكرة قال: سمعت أبي يحدث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين**» قال ابن يحيى وهو محمد: قال معمر: ((**ويكون من أمصار المسلمين، فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطورا عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق: فرقة تأخذ أذناب البقر والبرية وهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذريتهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء**))(1) .

قال أبو داود: وحدثنا محمد بن مثنى قال: حدثني إبراهيم بن صالح بن درهم قال: سمعت أبي يقول: انطلقنا حاجين فإذا رجل فقال لنا: إلى جنبكم قرية يقال لها (الأيلة) قلنا: نعم، قال: من يضمن لي منكم أن يصلي في مسجد العشار ركعتين أو أربعًا ويقول هذه لأبي هريرة. سمعت خليلي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الله يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم**»(2).

ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن ثابت في تاريخ بغداد: أنبأنا أبو القاسم الأزهري، وحدثنا أحمد بن محمد بن موسى قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن المنادني قال: ذكر في إسناد شديد الضعف، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق الشيباني، عن أبي قيس عن علي -رضي الله عنه- أنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : «**تبنى مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها شر ملك بني العباس وهي الزوراء، يكون فيها حرب مقطعة**

(1) حسن: أبو داود في الملاحم (٤٣٠٦).

(2) ضعيف: أبو داود في الملاحم (٤٣٠٨) فيه إبراهيم بن صالح بن درهم فيه ضعف.

تسبى فيها النساء ويذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم» قال أبو قيس: فقيل لعلي -رضي الله عنه- : يا أمير المؤمنين: وقد سماها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الزوراء، فقال: لأن الحرب تزور في جوانبها حتى تطبقها[1].

وقال أرطاة بن المنذر: قال رجل لابن عباس -وعنده حذيفة بن اليمان-: أخبرني عن تفسير قوله تعالى: ﴿**حم عسق**﴾ فأعرض عنه حتى أعاد ثلاثًا، فقال حذيفة : أنا أنبئك بها قد عرفت لم تركها، نزلت في رجل من أهل بيته يقال له : عبد الإله أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا، فإذا أراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث الله على إحداهما نارًا ليلا فتصبح سوداء مظلمة، فتحترق كلها كأنها لم تكن في مكانها فتصبح صاحبتها متعجبة كيف قلبت فما هو إلا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد، ثم يخسف الله بها وبهم جميعًا، فذلك ﴿**حم عسق**﴾ أي : عزيمة من عزمات الله وفتنة وقضاء، (حم) أي حم ما هو كائن (ع) عدلاً منه (س) سيكون (ق) واقع في هاتين المدينتين.

ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والفرات يجتمع فيها جبابرة الأرض تجيء إليها الخزائن يخسف بها**» وفي رواية: «**يخسف بأهلها، فلهي أسرع ذهابًا في الأرض من الوتد الجيد في الأرض الرخوة**» وقرأ ابن عباس: ﴿**حم عسق**﴾ بغير عين وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود، حكاه الطبري، وقال العباس: وكان علي يعرف الفتن بها.

وذكر القشيري والثعلبي في تفسيرهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) ضعيف جدًّا: الخطيب في تاريخ بغداد (٣٩/١) فيه جعفر بن المنادي ضعيف جدًّا.

لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجهه فقيل له: يا رسول الله، ما أحزنك؟ قال: «**أخبرت ببلايا تصيب أمتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وآيات متتابعات بنزول عيسى وخروج الدجال**». لفظ الثعلبي.

وقد روى حديث (الزوراء) محمد بن زكريا الغلابي، وأسند عن علي -عليه السلام- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أما هلاكها على يد السفياني كأني بها، والله قد صارت خاوية على عروشها**» ومحمد ابن زكريا الدارقطني كان يضع الحديث على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

وذكر ابن وهب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له بالإسكندرية: إن الناس قد فزعوا فأمر بسلاحه وفرسه فجاءه رجل فقال: من أين هذا الفزع؟ قال: سفن تراءت من ناحية قبرس، قال: انزعوا عن فرسي، قال: قلنا أصلحك الله إن الناس قد ركبوا. فقال: ليس هذا بملحمة الإسكندرية إنما يأتون من ناحية المغرب من نحو أنطابلس فيأتي مائة ثم مائة حتى عدد تسعمائة.

وخرج الوائلي أبو نصر في كتاب (الإبانة) من حديث رشدين بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، عن كعب قال: إني لأجد في كتاب الله المنزل على موسى بن عمران أن للإسكندرية شهداء يستشهدون في بطحائها خير من مضى وخير من بقى، وهم الذين يباهي الله -عز وجل- بهم شداء بدر[1].

(١) ضعيف الإسناد، في سنده رشيد بن سعد، وهو ضعيف.

فضل الشام وأنه معقل من الملاحم

روى البزار، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام**»[1] خرجه أبو بكر أحمد بن سلمان النجار، وقال: ((**عمود الإسلام**))، قال أبو محمد عبد الحق: هذا حديث صحيح، ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله ورسوله أعلم.

قلت: وخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث الحكم ابن عبد الله بن خطاف الأزدي وهو متروك، عن الزهري عن عروة، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : هب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من نومه مذعورًا وهو يرجع فقلت : مالك بأبي أنت وأمي؟ قال: ((**سل عمود الإسلام من تحت رأسي ثم رميت بصري، فإذا هو قد غرز في وسط الشام فقيل لي : يا محمد إن الله اختار لك الشام وجعلها لك عزًا ومحشرًا ومنعة، وذكر أن من أراد الله به خيرًا أسكنه الشام وأعطاه نصيبه منها، ومن أراد الله به شرًا أخرج سهمًا من كنانته فهي معلقة وسط الشام فرماه به فلم يسلم دنيا ولا أخرى**))[2].

وروى عن عبد الملك بن حبيب أنه قال: حدثني من أثق به أن الله -عز وجل- قال للشام: أنت صفوتي من أرضي وبلادي ليسكنك خيرتي من خلقي، وإليك المحشر، من خرج منك رغبة عنك فيسخط مني عليه، ومن دخلك رغبة فيك فبرضى مني دخلك.

أبو داود، عن أبي الدرداء أن رسول الله قال: «**فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن**

---

(١) صحيح: أحمد (١٩٨/٥، ١٩٩) والطبراني كما في المجمع (٥٧/١٠، ٥٨).

(٢) موضوع: ابن عساكر كما في الكنز (٣٨٢٢٦) فيه الحكم بن عبد الله متروك.

الشام»[1].

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي الزاهرية قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال بيت المقدس، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور**»[2].

قلت: هذا صحيح ثبت معناه مرفوعًا في غير ما حديث وسيأتي.

ما جاء أن الملاحم إذا وقعت بعث الله جيشًا يؤيد به الدين

روى ابن ماجه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا وقعت الملاحم بعث الله جيشًا من الموالي هم أكرم العرب فرسانًا وأجوده سلاحًا يؤيد الله بهم الدين**»[3].

ما جاء في المدينة ومكة وخرابهما

روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تبلغ المساكن أهاب أو يهاب**» قال زهير: قلت لسهيل فكم ذاك من المدينة ؟ قال: كذا وكذا ميلاً[4].

روى أبو داود عن ابن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك المسلمون أن يحاصروا المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح**»[5] قال الزهري: وسلاح قريب خيبر.

قلت: المسالح: المطالع ويقال القوم مستعد بهم في المراصد ويرتبون

---

(١) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٢٩٨).

(٢) ضعيف: ابن أبي شيبة في المصنف (٥٨٢/٤).

(٣) حسن: ابن ماجه في الفتن (٤٠٩٠).

(٤) صحيح: مسلم في الفتن (٤٣/٢٩٠٣).

(٥) صحيح: أبو داود في الفتن (٤٢٥٠).

لذلك، سموا بذلك لحملهم السلاح، وقال الجوهري: والمسلحة كالثغر والمرقب، وفي الحديث: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب. قال بشر:

بكل قياد مسنفة عنود أضربها المسالح والفرار

القياد: حبل تقاد به الدابة، والمسنف: المتقدم. يقال: أسنف الفرس أي تقدم الخيل، فإذا سمعت في الشعر مسنفة بكسر النون، فهي من هذا وهي الفرس التي تتقدم الخيل في سيرها ، والعنود: من عند عن الطريق يعند بالضم عنودًا أي عدل فهو عنود، والعنود أيضًا من النوق التي ترعى ناحية، والجمع عند، ومنه قوله تعالى: ﴿**إنه كان لآياتنا عنيدًا**﴾ [المدثر: ١٦] أي: مجانبًا للحق معاندًا له معرضًا عنه، يقال: عند الرجل، إذا عتا وجاوز قدره.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي -يريد عوافي السباع والطي-، ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجهيهما**»(١) .

وعنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للمدينة: «**ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي**» يعني السباع والطير(٢) .

وعن حذيفة قال: أخبرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة.

وذكر أبو زيد عمر بن شبة في كتاب (المدينة) على ساكنها الصلاة والسلام عن أبي هريرة قال: «**ليخرجن أهل المدينة خير ما كانت، نصفها**

---

(١) صحيح: مسلم في الحج (١٣٨٩/٤٩٩).

(٢) صحيح: مسلم في الحج (١٣٨٩/٤٩٨).

زهو ونصفها رطب» قيل: ومن يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: «**أمراء السوء**» .

قال أبو زيد، وحدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا الوليد بن مسلم، وحدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير ، عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المنبر يقول إنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلئ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدًا**»[1] .

وخرج عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: والذي نفسي بيده لتكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد.

وعن الشيباني قال: «**لتخربن المدينة والبنود قائمة**» البنود جمع بند وهو العلم الكبير قاله في النهاية.

قال مسلم: عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة**»[2] البخاري عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**كأني به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا**»[3]. الفحج: تباعد ما بين الفخذين.

وفي حديث حذيفة الطويل عنه -صلى الله عليه وسلم-: «**كأني بحبشي أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن، وأصحابه ينقضونها حجرًا حجرًا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر**» يعني الكعبة. ذكره أبو الفرج بن الجوزي وهو حديث فيه طول ، وقال أبو عبيدة القاسم

---

(١) حسن: البزار (١١٨٧) وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠٩/٥٧، ٥٨).

(٣) صحيح: البخاري في الحج (١٥٩٥).

ابن سلام في حديث علي رضي الله عنه: «**استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصعل أصمع أحمش الساقين قاعد عليها وهي تهدم**» .

قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية، عن علي، قال الأصمعي قوله (أصعل) هكذا يروى، فأما كلاب العرب فهو صعل بغير ألف وهو الصغير الرأس وكذلك الحبشة كلهم. قال: والأصمع الصغير الأذن يقال منه رجل أصمع وامرأة صمعاء وكذلك غير الناس.

أبو داود الطيالسي، عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم -: «**يبايع لرجل بين الركن والمقام وأول ما يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخدمون كنزه**» [1] ذكره الحليمي فيما ذكره أنه يكون في زمن عيسى عليه السلام، وأن الصريخ يأتيه بأن ذا السويقتين الحبشي قد سار إلى البيت لهدمه، فيبعث إليه عيسى عليه السلام طائفة من الناس ما بين الثمان إلى التسع.

وذكر أبو حامد في كتاب (مناسك الحج) له وغيره، ويقال: لا تغرب الشمس يومًا إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد، ثم يرتفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب ثم يخرج الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الدجال، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها، وفي الخبر: «**استكثروا من الطواف**

(١) صحيح: أبو داود الطيالسي (٢٣٧٣).

بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» . قال المؤلف -رحمه الله- وقيل: إن خرابه يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، وذلك بعد موت عيسى عليه السلام وهو الصحيح في ذلك على ما يأتي بيانه.

الدعاء للمدينة والحث على سكناها

ثبت في الصحيح الدعاء للمدينة والحث على سكناها. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي على الناس زمن يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها، إلا أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد**»(1) رواه أبو هريرة وخرجه مسلم.

خرج عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء**»(2).

ونحوه عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، ومثل هذا كثير هو خلاف ما تقدم، وإذا كان هذا فظاهره التعارض وليس كذلك، فإن الحض على سكناها ربما كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها، كما جاء في حديث سفيان بن أبي زهير، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**تفتح اليمن فيأتي قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح الشام فيأتي قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح العراق فيأتي قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة**

(١) صحيح: مسلم في الحج (١٣٨١/٤٨٧).
(٢) صحيح: مسلم في الحج (١٣٨٧/٤٩٤).

خير لهم لو كانوا يعلمون»[1] رواه الأئمة واللفظ لمسلم، فحض -صلى الله عليه وسلم- على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار، لأنها مستقر الوحي وفيها مجاورته، ففي حياته صحبته ورؤية وجهه الكريم، وبعد وفاته مجاورة جسده الشريف ومشاهدة آثاره العظيمة، ولهذا قال: «**لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت شفيعًا أو شهيدًا له يوم القيامة**»[2] وقال: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها**»[3] ثم إذا تغيرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح والانتقال منها حسنًا غير قادح.

وأما قوله: (من أراد أهل المدينة بسوء) فذلك محمول على زمانه وحياته، كما في الحديث الآخر: «**لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه**»[4] .

وقد خرج منها بعد موته -صلى الله عليه وسلم- من الصحابة من لم يعوضها الله خيرًا منه، فدل على أن ذلك محمول على حياته، فإن الله تعالى كان يعوض أبدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيرًا ممن رغب عنه وهذا واضح، ويحتمل أن يكون قوله: (أذابه الله) كناية عن إهلاكه في الدنيا قبل موته، وقد فعل الله ذلك بمن غزاها، وقاتل أهلها كمسلم بن عقبة إذ أهلكه الله عند منصرفه عنها إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، بلاه الله بالماء الأصفر في بطنه فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث.

وقال الطبري: مات بهرشي وذلك بعد الوقعة بثلاث ليال، وهرشي جبل من بلاد تهامة على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة، وكإهلاك

---

(١) صحيح: البخاري في فضائل المدينة (١٨٧٥) ومسلم في الحج (١٣٨٨/٤٩٧).

(٢) صحيح: مسلم في الحج (١٣٧٨/٤٨٤).

(٣) حسن: الترمذي في المناقب (٣٩١٧).

(٤) حسن: أحمد (٢/٣٠٢) والبزار (١١٨٦) وأبو يعلى (٥٩٤٣).

يزيد بن معاوية إثر إغرائه أهل المدينة حرم النبي المختار وقتله بها بقايا المهاجرين والأنصار، فمات بعد هذه الوقعة وإحراق الكعبة بأقل من ثلاثة أشهر، ولأنه توفي بالذبحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول بحوارين من قرى حمص، وحمل إلى دمشق وصلى عليه ابنه خالد، وقال المسعودي: صلى عليه ابنه معاوية ودفن في مقبرة باب الصغير، وقد بلغ سبعًا وثلاثين سنة فكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر واثني عشر يومًا.

وأما قوله: (تتركون المدينة) حدثنا المخاطب فمراده غير المخاطبين، لكن نوعهم من أهل المدينة أو نسلهم وعلى خير ما كانت عليه فيما قبل، وقد وجد هذا الذي قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك أنها صارت بعده -صلى الله عليه وسلم- معدن الخلافة وموضعها، ومقصد الناس وملجأهم ومعقلهم حتى تنافس الناس فيها وتوسعوا في خططها وغرسوا وسكنوا منها ما لم يسكن قبل، وبنوا فيها وشيدوا حتى بلغت المساكن أهاب، فلما انتهت حالها كمالاً وحسنًا تناقص أمرها إلى أن أقفرت جهاتها بتغلب الأعراب عليها وتوالي الفتن فيها، فخاف أهلها وارتحلوا عنها وصارت الخلافة بالشام، ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة في جيش عظيم من أهل الشام، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها، فهزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعًا واستباح المدينة ثلاثة أيام، فسميت وقعة الحرة لذلك، وفيه يقول الشاعر:

فإن تقاتلونا يوم حرة واقم ... فإنا على الإسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا لذي الحجة سنة ثلاث وثلاثون ويقال لها حرة زهرة، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقتل بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل من

قريش، وسبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً في الحرب وصبراً.

وقال الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم في المرتبة الرابعة: وجالت الخيل في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبالت وراثت بين القبر والمنبر أدام الله تشريفهما، وأكره الناس على أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق، وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن والسنة، فأمر بقتله فضربت عنقه صبراً.

وذكر الإخباريون أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها لعوافي الطير والسباع كما قال -صلى الله عليه وسلم- ، ثم تراجع الناس إليها وفي حال خلوها غدت الكلاب على سواري المسجد، والله أعلم.

وذكر أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتاباً بالكعبة: ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهي مذللة، وحتى تبول السنانير على قطائف الخز ما يروعها شيء، وحتى تخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء، وأما قوله في الراعيين: (حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجهيهما) فقيل سقطا ميتين.

قال علماؤنا: وهذا إنما يكون في آخر الزمان وعند انقراض الدنيا بدليل ما قال البخاري في هذا الحديث: آخر من يحشر راعيان من مزينة، قيل: معناه آخر من يموت فيحشر؛ لأن الحشر بعد الموت، ويحتمل أن يتأخر حشرهما لتأخر موتهما.

قال الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر في شرح البخاري له: وقوله في الراعيين: (ينعقان بغنمهما) يعني يطلبان الكلأ.

وقوله: (وحشاً) يعني خالية، وقوله: (ثنية الوداع)، يعني: موضعاً قريباً من المدينة مما يلي مكة.

وقوله: (خرا على وجهيهما) يعني: أخذتهما الصعقة حين النفخة الأولى وهو الموت.

وقوله: (آخر من يحشر) يعني أنهما بأقصى المدينة فيكونان في أثر من يبعث منها ليس أن بعض الناس يخرج بعد بعض من الأجداث إلا بالشيء المتقارب يقول الله تعالى: ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**﴾ [يس: ٤٣]. وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**يصعق الناس فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو كان من الذين استثنى الله**» (١).

وقال شيخنا أبو العباس القرطبي: ويحتمل أن يكون معناه آخر من يحشر إلى المدينة أي يساق إليها، كما في كتاب مسلم رحمه الله تعالى.

قال المؤلف -رحمه الله-: وذكر ابن شبة خلاف هذا كله، فذكر عن حذيفة بن أسيد قال: آخر الناس يحشر رجلان من مزينة يفقدان الناس فيقول أحدهما لصاحبه: قد فقدنا الناس منذ حين، انطلق بنا إلى شخص بني فلان، فينطلقان فلا يجدان بها أحدًا، ثم يقول: انطلق بنا إلى المدينة فينطلقان فلا يجدان بها أحدًا، ثم يقول: انطلق بنا إلى منازل قريش ببقيع الغرقد فينطلقان فلا يريان إلا السباع والثعالب فيوجهان نحو البيت الحرام.

وقد ذكر عن أبي هريرة قال: آخر من يحشر رجلان رجل من جهينة وآخر من مزينة فيقولان: أين الناس فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجهيهما حتى يلحقاهما بالناس (٢).

وأما قوله في حديث أبي هريرة: (يبايع لرجل بين الركن والمقام) فهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان على ما نذكره أيضًا يملك الدنيا كلها. والله أعلم.

فروي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح لغيره: ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/١٠٩) وعزاه إلى عمر ابن شبة في أخبار المدينة.

سليمان بن داود والإسكندر، والكافران: نمرود وبخت نصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي.

الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي وعلامة خروجه

روى مسلم عن أبي نضرة قال: كنا جلوسًا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين لك ذلك؟ قال: من قبل الروم، ثم سكت هنيهة ثم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثيًا ولا يعده عدًّا**» قيل: لأبي نضرة وأبي العلاء: تريان أنه عمر بن عبد العزيز قالا: لا[1].

أبو داود، عن أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب العراق فيبايعونه، ثم ينشر رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيغتنم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم- ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي**

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩١٣/٦٧).

عليه المسلمون»[1] .

وذكر ابن شبة فقال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن مسلمة قال: حدثنا أبو المهزم عن أبي هريرة قال: يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة ويبقر بطون النساء ويقولون للحبلى في البطن اقتلوا صبابة السود فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم، قال أبو المهزم: فلما جاء جيش ابن دلجة قلنا هم فلم يكونوا هم.

قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو ضمرة الليثي، عن عبد الرحمن بن الحرب بن عبيد، عن هلال بن طلحة الفهري قال: قال كعب الأحبار: تجهز يا هلال قال: فخرجنا حتى إذا كنا بالعقيق ببطن المسيل دون الشجرة والشجرة يومئذ قائمة، قال: يا هلال، إني أجد صفة الشجرة في كتاب الله، قلت: هه الشجرة قال: فنزل فصلينا تحتها ثم ركبنا حتى إذا استوينا على ظهر البيداء قال: يا هلال، إني أجد صفة البيداء، قلت: أنت عليها؟ قال: والذي نفسي بيده إن في كتاب الله جيشًا يؤمنون البيت الحرام، فإذا استووا عليها نادى آخرهم وأولهم: ارفقوا فخسف بهم وبأمتعتهم وأموالهم وذرياتهم إلى يوم القيامة، ثم خرجنا حتى إذا انهبطت رواحلنا أدنى الروحاء قال يا هلال: إني أجد صفة الروحاء، قال قلت: الآن حين دخلنا الروحاء، قال: وحدثنا أحمد بن عيسى قال: وحدثنا ابن عيسى قال: وحدثنا عبيد الله بن وهب قال: وحدثني ابن لهيعة، عن بشر بن محمد المعافري، قال: سمعت أبا نواس يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إذا أخسف الجيش بالبيداء فهو علامة ظهور المهدي.

قلت: ولخروجه علامتان يأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

قوله: (ثم سكت هنية) -بضم الهاء وتشديد الباء- أي مدة يسيرة

---

(١) ضعيف: أبو داود في المهدي (٤٢٨٦) في إسناده مجهول.

بتصغير هنه، ويُروى بهاءين ورواه الطبري هنيئة مهموز وهو خطأ لا وجه له، فيه دلالة على صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر عما سيكون بعد فكان، ومثله الحديث الآخر: «**منعت العراق درهمها وقفيزها**» (١) الحديث، أي ستمنع، وأتى بلفظ الماضي في الإخبار، لأنه ماض في علم الله أنه سيكون كقوله عز من قائل: ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾ [النحل: ١]

والمعنى: أنه لا يجيء إليها كما جاء مفسرًا في هذا الحديث، ومعناه، والله أعلم سيرجعون عن الطاعة ويأبون من إذا ما وظف عليهم في أحد الأمر، وذلك أنهم يرتدون عن الإسلام وعن أداء الجزية، و لم يكن ذلك في زمانه، ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك، وقوله: (يحثي المال حثيًا) قال ابن الأنباري أعلى اللغتين حثا يحثي وهو أصح وأفصح، ويقال حثا يحثو وأحث بكسر الثاء وضمها كلها بمعنى أغرف بيديك.

المهدي وخروج السفياني عليه وبعثه الجيش لقتاله وأنه الجيش الذي يخسف به

روي من حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب: «**فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشًا إلى المشرق وجيشًا إلى المدينة، فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزل بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة -يعني مدينة بغداد- قال: فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفتضون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش من**

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٩٦/٣٣) وأبو داود في الخراج (٣٠٣٥).

ولد العباس، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش على ليلتين فيقتلونهم حتى لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله تعالى -عز وجل-: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ [سبأ: ٥١] فلا يبقى منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما في جهينة» (١).

ولذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين.

قلت: حديث حذيفة هذا فيه طول، وكذلك حديث ابن مسعود فيه، ثم إن عروة بن محمد السفياني يبعث جيشاً إلى الكوفة خمسة عشر ألف فارس، ويبعث جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه، فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة فيتغلب عليها ويسبي من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ ما يجد فيها من الأموال، ثم يرجع فتقوم صيحة بالمشرق، فيتبعهم أمير من أمراء بني تميم يقال له: شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من السبي ويرد إلى الكوفة، وأما الجيش الثاني فإنه يصل إلى مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيقاتلونها ثلاثة أيام، ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد، ثم يسيرون نحو مكة -أعزها الله- لمحاربة المهدي ومن معه، فإذا وصلوا إلى البيداء مسخهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى: **﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾**.

---

(١) موضوع: الخطيب في تاريخ بغداد (١/٣٨) فيه عمر بن يحيى متروك.

وقد ذكر خبر السفياني مطولاً بتمامه أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي في كتاب الملاحم له ، وأنه الذي يخسف بجيشه. قال: واسمه عتبة بن هند ، وهو الذي يقوم في أهل دمشق فيقول: يا أهل دمشق، أنا رجل منكم وأنتم خاصتنا جدي معاوية بن أبي سفيان وليكم من قبل فأحسن وأحسنتم، وذكر كلامًا طويلاً إلى أن ذكر كتابه إلى الجرهمي وهو على ما يليه من أرض الشام، وأتى البرقي وهو على ما يليه من حد برقة وما وراء برقة من المغرب إلى أن قال : فيأتي الجرهمي فيبايعه واسم الجرهمي عقيل بن عقال، ثم يأتيه البرقي واسم البرقي همام بن الورد ، ثم ذكر مسيره إلى أرض مصر وقتاله لملكها فيقتلون على قنطرة الفرما أو دونها بسبعة أيام، ثم ينصر أهل مصر وقد قتل منهم زهاء سبعين ألفًا ونيفًا ثم يصالحه أهل مصر ويبايعونه فينصرف عنهم إلى الشام، ثم ذكر تقديمه الأمراء من العرب رجل من حضرموت، ولرجل من خزاعة، ولرجل من عبس، ولرجل من ثعلبة، وذكر عجائب وأن جيشه الذي يخسف بهم تبتلعهم الأرض إلى أعناقهم وتبقى رءوسهم خارجة، ويبقى جميع خيلهم وأموالهم وأثقالهم وهزائنهم وجميع مضاربهم والسبي على حاله إلى أن يبلغ الخبر الخارج بمكة، واسمه محمد بن علي من ولد السبط الأكبر الحسن بن علي فيطوي الله تعالى له الأرض فيبلغ البيداء من يومه، فيجد القوم أبدانهم داخلة في الأرض ورءوسهم خارجة وهم أحياء فيحمد الله -عز وجل- هو وأصحابه وينتحبون بالبكاء، ويدعون الله -عز وجل- ويسبحونه ويحمدونه على حسن صنيعه إليهم ويسألونه تمام النعمة والعافية، فتبلعهم الأرض من ساعتهم -يعني أصحاب السفياني- ويجد الحسنى العسكر على حاله والسبي على حاله، وذكر أشياء كثيرة الله أعلم بصحتها أخذها من كتاب دانيال فيما زعم.

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: ودانيال نبي من أنبياء إسرائيل كلامه عبراني وهو على شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى بن

مريم بزمان، ومن أسند مثل هذا إلى نبي عن غير ثقة أو توقيف من نبينا -صلى الله عليه وسلم- ، فقد سقطت عدالته إلا أن يبين وضعه لتصح أمانته، وقد ذكر في هذا الكتاب من الملاحم، وما كان من الحوادث وسيكون، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون ، وأغرب فيما أغرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون ، وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها ويتعذر على المتأول لها تأويلها وما يتعلق به جماعة الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق محمد -صلى الله عليه وسلم- أن في سنة ثلاثمائة يظهر الدجال من يهودية أصبهان، وقد طعنا في أوائل سبعمائة في هذا الزمان وذلك شيء ما وقع ولا كان، ومن الموضوع فيه المصنوع والتهافت الموضوع الحديث الطويل الذي استفتح به كتابه، فهلا اتقى الله وخاف عقابه، وأن من أفضح فضيحة في الدين نقل مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين فإنه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم ولا رواية تؤخذ في ذلك إلا منهم.

وقد روى البخاري في تفسير سورة البقرة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**»[1] .

وقد ذكر في كتاب الاعتصام أن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزله الله على رسوله أحدث شيء تقرءونه محضًا لم يشب، وقد حدثكم أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه، وقد كتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم[2] .

---

(١) صحيح: البخاري في الاعتصام (٧٣٦٢).

(٢) صحيح: البخاري في الاعتصام (٧٣٦٣).

قال ابن دحية -رضي الله عنه-: وكيف يؤمن من خان الله وكذب عليه وكفر واستكبر وفجر.

وأما حديث الدابة فقد نطق بخروجها القرآن ووجب التصديق بها والإيمان. قال الله تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**﴾ [النمل:٨٢] وكنت بالأندلس قد قرأت أكثر من كتب المقرئ الفاضل أبي عمر عثمان بن سعيد بن عثمان توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة فمن تآليفه: كتاب السنن الواردة بالفتن وغوائلها والأزمنة وفسادها والساعة وأشراطها، وهو مجلد مزج فيه الصحيح بالسقيم، ولم يفرق فيه بين نسر وظلم، وأتى بالموضوع وأعرض عما ثبت من الصحيح المسموع، فذكر الدابة في الباب الذي نصه باب ما روي أن الوقعة التي تكون بالزوراء وما يتصل بها من الوقائع والآيات والملاحم والطوام، وأسند ذلك عن عبد الرحمن، عن سفيان الثوري، عن قيس بن مسلم، عن ربعي بن خراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تكون وقيعة بالزوراء**» قالوا: يا رسول الله، وما الزوراء؟ قال: «**مدينة بالمشرق بين أنهارها يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتي تعذب بأربعة أصناف من العذاب**» ثم ذكر حديث خروج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، ثم ذكر خروج المهدي قال واسمه أحمد بن عبد الله، وذكر خروج الدابة، قال: قلت: يا رسول الله: وما الدابة؟ قال: ((**ذات وبر وريش عظمها ستون ميلاً ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب**))، وذكر يأجوج ومأجوج وأنهم ثلاثة أصناف: صنف مثل الأرز الطوال، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في عشرين ومائة ذراع في عشرين ومائة ذراع هم الذين لا يقوم لهم الحديد، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى.

وهذه الأسانيد عن حذيفة في عدة أوراق ظاهرة الوضع والاختلاف،

وفيها ذكر مدينة يقال لها (المقاطع) وهي على البحر الذي لا يحمل جارية قال: لأنه ليس له قعر إلى أن قال حذيفة قال عبد الله بن سلام: والذي بعثك بالحق إن صفة هذه في التوراة طولها ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل. قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لها ستون وثلاثمائة باب يخرج من كل باب منها مائة ألف مقاتل**» قال الحافظ أبو الخطاب -رضي الله عنه-: ونحن نرغب عن تسويد الورق بالموضوعات فيه، ونثبت الصحيح الذي يقربنا من إله الأرضين والسموات، فعبد الرحمن، الذي يرويه عن الثوري هو ابن هانئ أبو نعيم النخعي الكوفي قال يحيى بن معين: كذاب، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه، وقد رواه عن الثوري عمر بن يحيى بالسند المذكور آنفًا، وقال: «**تعذب بأربعة أصناف بخسف ومسخ وقذف**» قال البرقاني: ولم يذكر الرابع وعم ابن يحيى متروك الحديث.

وقد روى حديث الزوراء محمد بن زكريا الغلابي، وأسند عن علي -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وقال: «**أما إن هلاكها على يد السفياني كأني والله بها قد صارت خاوية على عروشها**» ومحمد بن زكريا الغلابي قال أبو الحسن الدارقطني: كان يضع الحديث على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعظم هذه الدابة المذكورة، وطول يأجوج ومأجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا الحديث التصريح، ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح؛ لأن مثل هذا القدر في العظم والطول يشهد على كذب واضعه في المنقول، وأي مدينة تسع طرقاتها دابة عرضها ستون ميلاً ارتفاعًا، وأي سبيل يضم يأجوج ومأجوج وأحدهم طولاً وعرضًا مائتان وأربعون ذراعًا، لقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبار بما اختلقه على نبيه المختار، فقد صح عنه بإجماع من أئمة الآثار، أنه قال: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[1] .

---

(١) صحيح: البخاري في العلم (١١٠)، ومسلم في المقدمة (٣/٣).

ثم نقل بطريق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن رواتهم ويكذبوننا بسبب ذلك في كل حال.

روى مسلم عن أم سلمة وسئلت عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يعوذ بالبيت عائذ فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**» فقلت: يا رسول الله: وكيف بما كان كارهًا؟ قال: ((**يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**))، وقال أبو جعفر: هي بيداء المدينة[1] ، وقال عبد العزيز بن رفيع: إنما قال ببيداء من الأرض قال: كلا إنها والله لبيداء المدينة، وعن عبد الله بن صفوان قال: أخبرتني حفصة أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى منهم إلا الشريد الذي يخبر عنهم**» أخرجه ابن ماجه وزاد: فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم، فقال رجل: أشهد أنك لم تكذب على حفصة، وإن حفصة لم تكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[2] ، وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قوم ليس لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**» قال يوسف بن ماهك: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة. قال عبد الله بن صفوان: أما والله ما هو بهذا الجيش[3] .

قوله: (ليس له منعة) -بفتح الميم والنون- أي جماعة يمنعونه وهو مانع وهو أكثر الضبط فيه، ويقال: بسكون النون أيضًا أي عزة وامتناع يمتنع بها

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٨٢/٤).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٨٣/٦) وابن ماجه (٤٠٦٣).

(٣) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٨٣/٧).

اسم الفعلة من منع أو الحال بتلك الصفة أو مكان بتلك الصفة، وأنكر أبو حاتم السجستاني بإسكان النون وليس في هذه الأحاديث أنه يخسف بأمتعتهم، وإنما فيها أن يخسف بهم.

المهدي وذكر من يوطئ له ملكه

روى ابن ماجه، عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلا لواحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً يقتله قوم، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي**»(١) إسناده صحيح.

وخرج عن عبد الله بن الحارث بن جز الزبيدي قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي**» **يعني سلطانه** (٢).

وخرج أبو داود عن علي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث ، على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد وعليهم كما مكنت قريش للنبي -صلى الله عليه وسلم- وجبت على كل مؤمن نصرته أو قال إعانته**»(٣).

---

(١) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٨٤).

(٢) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٤٠٨٨) فيه عمرو بن جابر الحضرمي ضعيف.

(٣) ضعيف: أبو داود في المهدي (٤٢٩٠).

المهدي وصفته واسمه، وإعطاؤه ومكثه وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام

أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع تنعم فيه أمتي نعمة لم يسمعوا بمثلها قط، تؤتي أكلها ولا تترك منهم شيئًا والمال يومئذ كرءوس، يقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذ**»[1] .

وخرج عنه أيضًا قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا فيملك سبع سنين**»[2] .

وذكر عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أبي هارون العبدي، عن معاوية ابن قرة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :«**بلايا تصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء شيئًا من قطرها إلا صبته مدرارًا، ولا تدع الأرض من نباتها شيئًا إلا أخرجته حتى تتمنى الأحياء أن لا موات، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثماني سنين أو تسع سنين**»[3] . هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري.

وعن عبد الله عن النبي قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم**» قال زائدة في حديثه: «**لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أمتي أو من**

---

(١) حسن: الترمذي في الفتن (٢٢٣٣) وابن ماجه في الفتن (٤٠٨٣) واللفظ له.

(٢) صحيح: أبو داود في المهدي (٢٤٨٥).

(٣) ضعيف: عبد الرزاق (٢٠٧٧٠) فيه عمارة بن جوين متروك.

أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» خرجه الترمذي بمعناه وقال: حديث حسن صحيح[1] .

وفي حديث حذيفة الطويل مرفوعًا: «**فلو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه ويظهر الإسلام**» .

وخرج الترمذي، عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا -صلى الله عليه وسلم- حدث فسألنا النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا**» . زيد للشك قلنا: وما ذاك؟ قال: «**يجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**»[2] قال: هذا حديث حسن.

وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن الحنفية، عن أبيه علي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله -عز وجل- في ليلة**» أو قال: «**في يومين**»[3] .

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

وقع في كتاب الشهاب: «**لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارًا، ولا الناس إلا شحًا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم**» .

قلت: خرجه ابن ماجه في سننه، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي قال: حدثني محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك أن رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) صحيح: الترمذي في الفتن (٢٢٣٠).

(٢) حسن: الترمذي في الفتن (٢٢٣٢).

(٣) حسن: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/١٧٧).

وسلم- قال: «**لا يزداد الأمر إلا شدة**»[1] فذكره. قال ابن ماجه: لم يروه إلا الشافعي.

قال المؤلف -رحمه الله-: وخرجه أبو الحسن الأجري قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد البرذعي في المسجد الحرام، حدثنا يونس بن عبد الأعلى المصري فذكره، فقوله: «**ولا مهدي إلا عيسى**» يعارض أحاديث هذا الباب. فقيل: إن هذا الحافظ الجندي هذا مجهول واختلف عليه في إسناده قتادة يرويه عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرسلاً مع ضعف أبان، وتارة يرويه عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بطوله، فهو منفرد به مجهول عن أبان، وهو متروك عن الحسن منقطع والأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم لها دونه.

قلت: ونور ضريحه، وذكر أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي شيخ أشياخنا محمد بن خالد الجندي روى عن أبان بن صالح، عن الحسن البصري، وروى فيه الإمام ابن إدريس الشافعي -رضي الله عنه- وهو راوي حديث: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**» وهو مجهول، وقد وثقه يحيى بن معين روى له ابن ماجه، قال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الأبري السجزي: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يعني المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً يخرج مع عيسى عليه السلام، فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى صلوات الله عليه يصلي خلفه في طول من قصته وأمره.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام: «**ولا مهدي إلا**

---

(١) حسن: ابن ماجه في الفتن (٤٠٣٩).

عيسى» أي لا مهدي كاملاً معصومًا إلا عيسى، وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض.

المهدي ومن أين يخرج وفي علامة خروجه وأنه يبايع مرتين ويقاتل السفياني ويقتله

تقدم من حديث أم سلمة وأبي هريرة أن المهدي يُبايع بين الركن والمقام، والظاهر أنه لم يبايع وليس كذلك، فإنه روي من حديث ابن مسعود وغيره من الصحابة أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب؛ فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسنة من قبل المغرب، فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر: ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ [المجادلة: ٢٢] الحديث بطوله وفيه: «**فيأتي الناس من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ بمكة وهو بين الركن والمقام، وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التي بايعه الناس بالمغرب**» ثم إن المهدي يقول : أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمرًا، فيخرج المهدي ومن معه من مسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني، وكل من معه من كلب ، ثم يتبدد جيشه ثم يوجد عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية، والخائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة.

فيروى عن حذيفة أنه قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحل قتلهم وهم مسلمون موحدون؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إنما إيمانهم على ردة لأنهم خوارج ويقولون برأيهم إن الخمر حلال ومع ذلك إنهم يحاربون الله، قال الله تعالى:** ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**

ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾)) [المائدة: ٣٣] وذكر الحديث وسيأتي تمامه.

وخبر السفياني خرجه عمرو بن عبيد في مسنده، والله أعلم.

وروي من حديث معاوية بن أبي سفيان في حديث فيه طول، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**ستفتح بعدي جزيرة تسمى بالأندلس فتغلب عليهم أهل الكفر، فيأخذون من أموالهم وأكثر بلدهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار ويرجع أكثر البلاد فيافي وقفارًا، وتنجلي أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم، فيأخذون أكثر الجزيرة ولا يبقى إلا أقلها، ويكون في المغرب الهرج والخوف، ويستولي عليهم الجوع والغلاء، وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضًا ، فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من أهل فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو المهدي القائم في آخر الزمان وهو أشراط الساعة**» .

قلت: كل ما وقع في حديث معاوية هذا فقد شاهدنا بتلك البلاد وعاينا معظمه إلا خروج المهدي.

ويروى من حديث شريك أنه بلغه أن قبل خروج المهدي تكسف الشمس في رمضان مرتين والله أعلم.

وذكر الدارقطني في سننه قال: حدثنا أبو سعيد الإصطخري قال: حدثني محمد بن عبد الله بن نوفل، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا يونس بن بكير، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن محمد بن علي قال: «**إن لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض**»[1] .

---

(١) ضعيف جدًّا: الدارقطني (٢/٦٥) فيه عمرو بن شمر متروك.

ما جاء أن المهدي يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح رومية وأنطاكية وكنيسة الذهب

وبيان قوله تعالى: ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما**﴾ الآية.[الإسراء :٥].

روى ابن ماجه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية**»(١) إسناده صحيح.

وروي من حديث حذيفة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيه بعد قوله: ﴿**ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾ [المائدة:٣٣] ، ثم إن المهدي ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية وهي مدينة عظيمة على البحر ، فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدرة الله – عز وجل- فيقتلون الرجال ، ويسبون النساء والأطفال، ويأخذون الأموال ثم يملك المهدي أنطاكية ، ويبني فيها المساجد ويعمر عمارة أهل الإسلام، ثم يسيرون إلى الرومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب، فيقتحمون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربعمائة ألف مقاتل، ويفتضون بها سبعين ألف بكر، ويستفتحون المدائن والحصون ويأخذون الأموال، ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأتون كنيسة الذهب فيجدون فيها الأموال التي كان المهدي أخذها أول مرة، وهذه الأموال هي التي أودع فيها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس، فوجد في بيت المقدس هذه الأموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كاملة، كما أخذها ما نقص منها شيئًا فيأخذ المهدي تلك الأموال فيردها إلى بيت المقدس، قال حذيفة قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند

---

(١) حسن: ابن ماجه في الجهاد (٢٧٧٩) فيه قيس بن الربيع مختلف فيه.

الله عظيمًا جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هو من أجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد، وذلك أن سليمان ابن داود سخر الله له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد من البحار يغوصون كما قال الله تعالى: ﴿كل بناء وغواص﴾ [ص:٣٧] فلما أتوه بهذه الأصناف بناه منها، فجعل فيه بلاطًا من ذهب وبلاطًا من فضة، وأعمدة من ذهب، وأعمدة من فضة وزينه بالدر والياقوت والزمرد، وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف**».

قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله، وكيف أخذوا هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن بني إسرائيل لما عصوا وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بخت نصر وهو من المجوس فكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولاً﴾ [الإسراء:٥] فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف، واحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل ، وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي، والعقاب والنكال مائة عام، ثم إن الله – عز وجل- رحمهم فأوحى الله إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل يستنقذ ما في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل، فاستنقذ ما في أيديهم من بني إسرائيل ، واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في بيت المقدس ورده إليه كما كان أول مرة، وقال لهم: يا بني إسرائيل، إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل، وهو قوله تعالى: ﴿عسى ربكم**

أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ [الإسراء:٨] يعني إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالعقوبة، فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي ، فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ [الإسراء:٧] فسبقهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ حلي جميع بيت المقدس على سبعين ألف عجلة حتى أودعه كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذه المهدي ويرده إلى بيت المقدس، ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك، فعند ذلك يرسل الله عليهم ملك الروم وهو الخامس من آل هرقل» على ما تقدم من تمام الحديث، والله أعلم.

عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر(١)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لـــولا أن هدانـــا الله، نحمد الله على نعمه ونسأله المزيد من فضله وكرمه ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله محمداً -صلى الله عليه وسلم- بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. وقال مخاطبًا له: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه، بعثه الله إلى الناس كافة بين يدي الساعة بشيراً ونذيـــراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً، أتم الله به الدين خبراً وأمراً فأحكامه عدل وأخباره صدق، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

أخبر أمته عن الأمم الماضية بأخبار لابد في الإيمان من التصديق بهـــا وإنها وقعت وفق خبره -صلى الله عليه وسلم- وبذلك كانوا شهداء علـــى الناس كما أخبر عن أمور مُستقبلة لابد من التصديق بها واعتقاد أنها ستقع على وفق ما جاء عنه -صلى الله عليه وسلم- وما من شيء يقـــرب إلى الله إلا وقد دل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا حذرها منه، فصلوات الله وسلامه الأتمان الأكملان عليه وعلى آله وأصحابه الذين شرفهم الله بصحبته وأكرم أبصارهم في هذه الحياة الدنيا بالنظر إلى طلعته وأتم عليهم النعمة بأن جعلهم حملة سنته وعلى من حذا حذوهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلما كان من الأمور المستقبلة التي تجري في آخر الزمان عنـــد نـــزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء خروج رجل من أهل بيت النبوة يوافق اسمه اسم الرسول -صلى الله عليه وسلم- واسم أبيه اسم أبيـــه

---

(١) لفضيلة الشيخ : عبد المحسن العباد -حفظه الله-.

ويقال له المهدي يتولى إمرة المسلمين ويصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه وذلك لدلالة الأحاديث الكثيرة المستفيضة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي تلقتها الأمة بالقبول واعتقدت موجبها -إلا من شذ- رأيت أن يكون الكلام حول هذا الأمر موضوع محاضرتي وذلك لأمرين:

الأول: أن الأحاديث الواردة في المهدي لم ترد في الصحيحين على وجه التفصيل بل جاءت مجملة. وقد وردت في غيرها مفصلة لما فيهما فقد يظن ظان أن ذلك يقلل من شأنها وذلك خطأ واضح، فالصحيح، بل والحسن في غير الصحيحين مقبول معتمد عند أهل الحديث.

الثاني: إن بعض الكتاب في هذا العصر أقدم على الطعن في الأحاديث الواردة في المهدي بغير علم بل بجهل أو بالتقليد لأحد لم يكن من أهل العناية بالحديث وقد اطلعت على تعليق لعبد الرحمن محمد عثمان على كتاب تحفة الأحوذي الذي طُبع أخيرًا في مصر في الجزء السادس في باب ما جاء في الخلفاء، قال في تعليقه: يرى الكثيرون من العلماء أن كل ما ورد من أحاديث المهدي إنما هي موضع شك وأنها لا تصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل إنها من وضع الشيعة. انتهى.

وقال معلقًا بشأن المهدي في باب ما جاء في تقارب الزمان وقصر الأمل في الجزء المذكور: ويرى الكثيرون من العلماء الثقات الأثبات أن ما ورد من أحاديث خاصة بالمهدي ليست إلا من وضع الباطنية والشيعة وأضرابهم وأنها لا تصح نسبتها إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-. انتهى.

بل لقد تجرأ بعضهم إلى ما هو أكثر من ذلك فنجد محي الدين عبد الحميد في تعليقه على الحاوي للفتاوى للسيوطي، يقول معلقًا في آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي (ص ١٦٦) من الجزء الثاني: يرى بعض الباحثين أن كل ما ورد عن المهدي وعن الدجال من الإسرائيليات. انتهى.

وأخطر من ذلك وأطم قول محمد أبي عبية المصري في مقدمته لكتاب النهاية لابن كثير المطبوع في بيروت: «**إن ظهور المهدي ونزول عيسى بن مريم هما رمزان لانتصار الخير على الشر وأن الدجال رمز لاستشـــراء الفتنة واستعلاء الضلال فترة من الزمان ثم تهد قوائمه وتـــدك دعائمـــه بصولة الحق بإذن الله**» اهـــ.

لهذين الأمرين ولكون الواجب على كل مسلم ناصح لنفسه ألا يتردد في تصديق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما يخبر به رأيـــت أن يكـــون الكلام حول هذا الأمر موضوع محاضرتي كما قلت وقد جعلت عنوانهـــا (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر).

ولكي تكون أيها المستمع على علم مقدمًا بعناصر المحاضرة أســـوقها لك فيما يلي:

الأول: ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رســـول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الثاني: ذكر أسماء الأئمة الذي خرجوا الأحاديث والآثار الـــواردة في المهدي في كتبهم.

الثالث: ذكر الذين أفردوا مسألة المهدي بالتأليف من العلماء.

الرابع: ذكر الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي وحكاية كلامهم في ذلك.

الخامس: ذكر بعض ما ورد في الصحيحين من الأحاديث التي لها تعلق بشأن المهدي.

السادس: ذكر بعض الأحاديث في شأن المهـــدي الـــواردة في غـــير الصحيحين مع الكلام عن أسانيد بعضها.

السابع: ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي واعتقدوا موجبها وحكاية كلامهم في ذلك.

الثامن: ذكر من وقفت عليه ممن حُكي عنه إنكار أحاديث المهدي أو التردد فيها مع مناقشة كلامه باختصار.

التاسع: ذكر بعض ما يظن تعارضه مع الأحاديث الواردة في المهدي والجواب عن ذلك.

العاشر: كلمة ختامية في أنه لا علاقة لعقيدة أهل السنة في المهدي بعقيدة الشيعة.

أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رسول الله ﷺ

جملة ما وقفت عليه من أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ستة وعشرون هم:

عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، والحسين بن علي، وأم سلمة، وأم حبيبة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وعمار بن ياسر، وعوف بن مالك، وثوبان مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وعوف بن مالك، وعمران بن حصين، وأبو الطفيل، وجابر الصدفي رضي الله عنهم وعن سائر الصحابة أجمعين.

أسماء الأئمة الذين خرجوا الأحاديث والآثار الواردة في المهدي وكتبهم

وأحاديث المهدي خرجها جماعة كثيرون من الأئمة في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد وغيرها قد بلغ عدد الذين وقفت على كتبهم أو اطلعت على ذكر تخريجهم لها ستة وثلاثين هم:

١- أبو داود في سننه

٢- الترمذي في جامعه

٣- ابن ماجه في سننه.

٤- النسائي. ذكره السفاريني في لوامع الأنوار البهية والمناوي في فيض القدير وما رأيته في الصغرى ولعله في الكبرى.

٥- أحمد في مسنده.

٦- ابن حبان في صحيحه.

٧- الحاكم في المستدرك.

٨- أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف.

٩- نعيم بن حماد في كتاب الفتن.

١٠- الحافظ أبو نعيم في كتاب المهدي وفي الحلية.

١١- الطبراني في معاجمه الكبير والأوسط والصغير.

١٢- الدارقطني في الأفراد.

١٣- الباوردي في معرفة الصحابة.

١٤- أبو يعلى الموصلي في مسنده.

١٥- البزار في مسنده.

١٦- الحارث بن أبي أسامة في مسنده.

١٧- الخطيب في تلخيص المتشابه وفي المتفق والمفترق.

١٨- ابن عساكر في تاريخه.

١٩- ابن منده في تاريخ أصبهان.

٢٠- أبو الحسن الحربي في الأول من الحربيات.

٢١- أبو تمام الرازي في فوائده.

٢٢- ابن جرير في تهذيب الآثار.

٢٣- أبو بكر بن المقرئ في معجمه.

٢٤- أبو عمرو الداني في سننه.

٢٥- أبو غنم الكوفي في كتاب الفتن.

٢٦- الديلمي في مسند الفردوس.

٢٧- أبو الحسين بن المنادي في كتاب الملاحم.

٢٨- البيهقي في دلائل النبوة.

٢٩- ابن الجوزي في تاريخه.

٣٠- يحيى بن عبد الحميد الحماني في مسنده.

٣١- الروياني في مسنده.

٣٢- ابن سعد في الطبقات.

٣٣- ابن خزيمة.

٣٤- الحسن بن سفيان.

٣٥- عمر بن شبة.

٣٦- أبو عوانه.

وهؤلاء الأربعة ذكر السيوطي في العرف الوردي كونهم ممن خرج أحاديث المهدي دون عزو التخريج إلى كتاب معين.

ذكر بعض الذين ألفوا كتباً في شأن المهدي

وكما اعتنى علماء هذه الأمة بجميع الأحاديث الواردة عن نبيهم -صلى الله عليه وسلم- تأليفًا وشرحًا كان للأحاديث المتعلقة بأمر المهدي قسطها الكبير من هذه العناية فمنهم من أدرجها ضمن المؤلفات العامة كما في السنن والمسانيد وغيرها، ومنهم من أفردها بالتأليف. كل ذلك حصل منهم رحمهم الله وجزاهم خيراً حماية لهذا الدين وقياماً بما يجب من النصح للمسلمين فمن الذين أفردوها بالتأليف:

١- أبو بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب. قال ابن خلدون في مقدمة

تاريخه: ولقد توغل أبو بكر بن أبي خيثمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للأحاديث الواردة في المهدي.

٢- ومنهم الحافظ أبو نعيم. ذكره السيوطي في الجامع الصغير وذكره في العرف الوردي بل قد لخص السيوطي الأحاديث التي جمعها أبو نعيم في المهدي وجعلها ضمن كتابه العرف الوردي وزاد عليها فيه أحاديث وآثاراً كثيرة جداً.

٣- ومن الذين أفردوا أحاديث المهدي بالتأليف: السيوطي فقد جمع فيه جزءاً سماه (العرف الوردي في أخبار المهدي) وهو مطبوع ضمن كتابه الحاوي للفتاوى، في الجزء الثاني منه قال في أوله: (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزدت عليه ما فاته ورمزت عليه صورة (ك).

والأحاديث والآثار التي أوردها السيوطي في شأن المهدي تزيد على المائتين وتلك الأحاديث والآثار فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وإذا أورد الحديث الواحد أضافه إلى كل من الذين خرجوه فيقول مثلاً في الحديث الواحد: أخرج أبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم عن أم سلمة سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**» .

٤- ومنهم الحافظ عماد الدين بن كثير قال -رحمه الله- في كتابه الفتن والملاحم. (وقد أفردت في ذكر المهدي جزءاً على حدة ولله الحمد والمنة).

٥- ومنهم الفقيه ابن حجر المكي وقد سمى مؤلفه (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) ذكر ذلك البرزنجي في الإشاعة ونقل منه وكذلك السفاريني في لوامع الأنوار البهية وغيرهما.

٦- ومنهم علي المتقي الهندي صاحب كنز العمال فقد ألف في شأن المهدي رسالة ذكرها البرزنجي في الإشاعة وذكر ذلك قبله أيضًا مُلا علي قاري الحنفي في المرقاة شرح المشكاة، وذكره شارح راموز الحديث.

٧- ومنم الذين ألفوا في شأن المهدي مُلا علي قاري وسمي مؤلفه (المشرب الوردي في مذهب المهدي) ذكره في الإشاعة ونقل جملة كبيرة منه.

٨- ومنهم مرعي بن يوسف الحنبلي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف وسمي مؤلفه (فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار البهية وذكره صديق حسن في الإذاعة وغيرهما.

٩- ومن الذين ألفوا في شأن المهدي بالإضافة إلى مسألتي نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وخروج المسيح الدجال القاضي محمد بن علي الشوكاني وسمى مؤلفه (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح) ذكر ذلك صديق حسن في الإذاعة ونقل جملة منه والشوكاني ممن ألف بشأنه، وحكى تواتر الأحاديث الواردة فيه.

١٠- ومنهم الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام المتوفى سنة ١١٨٢هـ قال صديق حسن في الإذاعة:

وقد جمع السيد العلامة بدر الملة المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي وأنه من آل محمد -صلى الله عليه وسلم- وأنه يظهر في آخر الزمان، ثم قال: ولم يأت تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل خروج الدجال. انتهى.

ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ونقل كلامهم في ذلك

١- من الذين حكموا على أحاديث المهدي بأنها متواترة الحافظ أبو

الحسين محمد بن الحسين الآبري السجزي صاحب كتاب (مناقب الشافعي) المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة من الهجرة قال -رحمه الله- في محمد بن خالد الجندي راوي حديث : «**لا مهدي إلا عيسى بن مريم**» : محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه نقل ذلك عنه ابن القيم في كتابه المنار المنيف وسكت عليه ونقله عنه أيضًا الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن خالد الجندي وسكت عليه ونقل عنه ذلك وسكت عليه أيضًا في فتح الباري في باب نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ونقل ذلك عنه أيضًا السيوطي في جزء العرف الوردي في أخبار المهدي وسكت عليه ونقل ذلك عنه مرعي بن يوسف في كتابه فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر كما ذكر صديق حسن في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة.

٢- ومنهم محمد البرزنجي المتوفى سنة ثلاث بعد المائة والألف في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة قال: الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي أيضًا كثيرة فمنها المهدي وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر إلى أن قال: ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة أنه من ولد فاطمة إلى أن قال: تنبيه: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ولد فاطمة بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها، وقال في ختام كتابه المذكور بعد الإشارة إلى بعض أمور تجري في آخر الزمان: وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي وجود

الآيات العظام التي منها بل أولها خروج المهدي وأنه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً.

٣- ومن الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي الشيخ محمد السفاريني المتوفى سنة ثمان وثمانين بعد المائة والألف، في كتابه (لوامع الأنوار البهية) قال: وقد كثرت بخروجه يعني المهدي الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم. ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث في خروج المهدي وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ثم قال: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم -رضي الله عنهم- بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة.

٤- ومنهم القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة خمسين بعد المائتين والألف وهو صاحب التفسير المشهور ومؤلف نيل الأوطار قال في كتابه: (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح): والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة جدًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. انتهى.

وقال في مسألة نزول المسيح -صلى الله عليه وسلم-: فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام متواترة. نقل ذلك عنه الشيخ صديق في الإذاعة.

٥- ومنهم الشيخ صديق حسن القنوجي المتوفى سنة سبع بعد

الثلاثمائة والألف قال في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًا تبلغ حد التواتر المعنوي وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد إلى أن قال: لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب واتفق عليه جمهور الأمة خلفًا عن سلف إلا من لا يعتد بخلافه، إلى أن قال: فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة البالغة إلى حد التواتر.

٦- وممن حكى تواتر أحاديث المهدي من المتأخرين الشيخ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة خمس وأربعين بعد الثلاثمائة والألف قال في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر): وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ثم قال: والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

ذكر بعض ما ورد في الصحيحين من الأحاديث مما له تعلق بشأن المهدي

١- روى البخاري في صحيحه في باب نزول عيسى بن مريم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**» .

٢- وروى مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بمثل حديثه عند البخاري، ورواه أيضًا عن أبي هريرة بلفظ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم**» ورواه أيضًا عن أبي هريرة بلفظ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم منكم**» وفيه تفسير ابن

أبي ذئب راوي الحديث لقوله: «**فأمكم منكم**» بقوله: «**فأمكم بكتاب ربكم -تبارك وتعالى- وسنة نبيكم -صلى الله عليه وسلم-**» .

٣- وروى مسلم في صحيحه عن جابر -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم -صلى الله عليه وسلم- فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**» .

فهذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: إنه عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلاً منهم.

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح في هذا الأمير وهدى، وهي وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدي إلا أنها تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى محمد بن عبد الله ويقال له المهدي، والسنة يفسر بعضها بعضاً.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك الحديث الذي رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسنده عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة**» وهذا الحديث قال فيه ابن القيم في المنار المنيف: (إسناده جيد) اهـ. وهو دال على أن ذلك الأمير المذكور في صحيح مسلم الذي طلب من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أن يتقدم للصلاة يقال له المهدي، وقد أورد

الشيخ صديق حسن في كتابه الإذاعة جملة كبيرة من أحاديث المهدي جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم ثم قال عقبه: ليس فيه ذكر المهدي ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة.

ذكر بعض الأحاديث في المهدي الواردة في غير الصحيحين

ولما كان المقام لا يتسع لإيراد الكثير من الأحاديث الواردة في غير الصحيحين في شأن المهدي والكلام عليها رأيت الاقتصار هنا على إيراد بعضها مع الكلام على بعض أسانيدها:

١- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحًا**)) قال له رجل: ما صحاحًا؟ قال: ((بالسوية، ويملأ الله قلوب أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- غناء ويسعهم عدله» إلى آخر الحديث. قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات.

٢- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ذكر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المهدي فقال: «**إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع، وليملأن الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا**» . قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم بعض ضعف.

٣- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها يرسل السماء عليهم مدرارًا ولا تدخر**

الأرض شيئًا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ» قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

٤- عقد أبو داود في سننه كتابًا قال في أوله: أول كتاب المهدي، وقال في آخره: آخر كتاب المهدي. جعل تحته بابًا واحدًا أورد فيه ثلاثة عشر حديثًا وصدر هذا الكتاب بحديث جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((**لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة**)). الحديث. قال السيوطي في آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي: إن في ذلك إشارة إلى ما قاله العلماء أن المهدي أحد الاثنى عشر. وقد ذكر ذلك أيضًا ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل**﴾ [المائدة: ١٢] في سورة المائدة كما يجيء ذكر كلامه، ويرى جماعة من العلماء ومنهم شارح الطحاوية أن الاثنى عشر هم الخلفاء الراشدون وثمانية من بني أمية.

٥- ما رواه أبو داود في سننه من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا**» . وهذا الحديث سكت عليه أبو داود والمنذري وكذا ابن القيم في تهذيب السنن وقد أشار إلى صحته في المنار المنيف وصححه ابن تيمية في منهاج السنة النبوية وقد أورده البغوي في مصابيح السنة في فصل الحسان وقال عنه الألباني في تخريج أحاديث المشكاة (وإسناده حسن) انتهى. والحديث مداره على عاصم بن أبي النجود وقد لخص في عون المعبود شرح سنن أبي داود الأقوال التي قيلت فيه فقال: وعاصم هذا هو ابن أبي النجود واسم أبي النجود بهدلة أحد القراء السبعة قال أحمد بن حنبل: كان رجلاً صالحًا وأنا أختار قراءته وقال أحمد وأبو

زرعة أيضًا: ثقة وقال أبو حاتم: محله عندي محل الصدق صالح الحديث و لم يكن بذلك الحافظ، وقال أبو جعفر العقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ وقال الدارقطني: في حفظه شيء وأخرج له البخاري في صحيحه مقرونًا، وأخرج له مسلم. قال الذهبي: ثبت في القراءة وهو في الحديث دون التثبت صدوق يهم وهو حسن الحديث. والحاصل أن عاصم بن بهدلة ثقة على رأي أحمد وأبي زرعة وحسن الحديث صالح الاحتجاج على رأي غيرهما و لم يكن فيه إلا سوء الحفظ فرد الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم أيضًا فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم والله أعلم. اهـ.

والحديث ذكره ابن خلدون في مقدمة تاريخه وقدح فيه من جهة عاصم ابن أبي النجود ملاحظًا ما قيل فيه من سوء الحفظ وقال: إن الجرح مقدم على التعديل وقد أنكر عليه ذلك، قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج أحاديث المسند: إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين أن الجرح مقدم على التعديل ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئًا مما قال. وقال أيضًا: إن عاصم بن أبي النجود من أئمة القراء المعروفين ثقة في الحديث أخطأ في بعض حديثه و لم يغلب خطؤه على روايته حتى ترد. قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إليّ قال: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: ثقة رجل صالح خير ثقة والأعمش أحفظ منه وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: هو صالح هو أكثر حديثًا من أبي قيس الأودي وأشهر منه وأحب وعبد الملك بن عمير فقال: قدم عاصمًا على عبد الملك، عاصم أقل اختلافًا عندي من عبد الملك وقال: سألت أبا زرعة عن عاصم بن بهدلة فقال: ثقة قال: فذكرته لأبي فقال: ليس محله هذا أن يقال ثقة وقد تكلم فيه ابن علية فقال: كأن كل من كان اسمه عاصمًا

سيئ الحفظ قال الشيخ أحمد شاكر: وهذا أكثر ما قيل فيه من الجرح، أفمثل هذا يترك حديثه ويجعل سبيلاً لإنكار شيء ثبت بالسنة الصحيحة من طرق متعددة من حديث كثير من الصحابة حتى لا يكاد يشك في صحته أحد لما في رواته من عدل وصدق لهجة ولارتفاع احتمال الخطأ ممن كان في حفظه شيء بما ثبت عن غيره ممن هو مثله في العدل والصدق وقد يكون أحفظ منه ما هكذا تعلل الأحاديث. انتهى.

٦- وقال أبو داود في سننه: حدثنا سهل بن تمام بن بديع حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا ويملك سبع سنين**» .

قال ابن القيم في المنار المنيف: رواه أبو داود بإسناد جيد، وأورده البغوي في مصابيح السنة في فصل الحسان وقال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة: (وإسناده حسن) ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير.

٧- وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا: حدثنا عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «**يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئًا لا أحفظه- فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي**» . قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجه: في الزوائد يعني زوائد ابن ماجه للبوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين. انتهى.

وقد أورد هذا الحديث بسنده الحافظ ابن كثير في كتاب الفتن والملاحم

وقال: هذا إسناد قوي صحيح. ثم أورد حديثًا عن الترمذي فيه ذكر الرايات السود أيضًا ثم قال: وهذه الرايات ليست هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة بل رايات سود أخر تأتي بصحبة المهدي وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني -رضي الله عنه-. انتهى.

٨- قال أبو داود في سننه: حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد عن بيان عن علي بن نقيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**» وأخرجه ابن ماجه عن سعيد بن المسيب قال: كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي فقالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**المهدي من ولد فاطمة**» وقد أورد هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير ورمز لصحته وأورده البغوي في مصابيح السنة في فصل الحسان، وقال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة: (وإسناده جيد).

٩- قال ابن القيم في المنار المنيف: وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثنا إبراهيم بن عقيل عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة**» قال ابن القيم: وهذا إسناد جيد. اهـ.

وبالرجوع إلى ما قاله أهل هذا الفن في سند الحديث وجدت أن السند متصل من أوله إلى آخره لا انقطاع فيه أما ما قيل عن كل راوٍ من رواته:

فإسماعيل بن عبد الكريم قال عنه الحافظ في التقريب: إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه صدوق من التاسعة. وذكر في تهذيب التهذيب أنه

روى عن ابن عمه إبراهيم بن عقيل وعن غيره وإبراهيم بن عقيل هذا هو الذي روى عنه إسماعيل هذا الحديث في المهدي وذكر أنه روى عن إسماعيل المذكور جماعة منهم، أحمد بن حنبل والحارث بن أبي أسامة، وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب أيضًا: قال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن معين: ثقة. رجل صدق . وقال الحافظ ابن حجر: وأما قول ابن القطان الفاسي: لا يعرف. فمردود عليه. وقال مسلمة ابن قاسم: جائز الحديث ولم يزد في خلاصة تهذيب الكمال عن قول ابن معين فيه: ثقة صدوق، وقال: قال ابن سعد: توفي سنة عشر ومائتين. اهت.

وهو من رجال أبي داود في سننه وابن ماجه في التفسير كما رمز لذلك الحافظ في تقريب التهذيب.

والثاني من رجال سند الحديث: إبراهيم بن عقيل بن معقل الصنعاني ابن عم إسماعيل المتقدم ذكره قال الحافظ في التقريب: صدوق من الثامنة. ورمز لكونه من رجال أبي داود وقال في تهذيب التهذيب: روى عن أبيه وعنه أحمد بن حنبل وابن عمه إسماعيل بن عبد الكريم وغيرهم قال ابن معين: لم يكن به بأس وقال العجلي: ثقة وقال الحافظ: قلت: وأخرج له ابن خزيمة في صحيحه وكذا ابن حبان والحاكم وذكر ابن أبي خيثمة عن يحيى ابن معين قال: إبراهيم ثقة وأبوه ثقة وقال ابن حبان في الثقات أنه يروي عن عم أبيه وهب بن منبه. اهـ.

الثالث من رجال سند الحديث: عقيل بن معقل قال الحافظ في التقريب: هو ابن أخي وهب بن منبه وقال: صدوق من السابعة. ورمز لكونه من رجال أبي دواد، وذكر في تهذيب التهذيب أنه روى عن عميه همام ووهب وعنه ابنه إبراهيم وأناس آخرون سماهم وذكر أنه وثقه أحمد ابن حنبل وابن معين وقال: وذكره ابن حبان في الثقات وعلق له البخاري عن جابر في تفسير سورة النساء أثرًا في الكهان وقد جاء موصولاً من رواية

عقيل هذا عن وهب بن منبه عن جابر. انتهى. ولم يزد في الخلاصة عن قوله: عقيل بن معقل بن منبه اليماني عن عميه همام ووهب وعنه ابنه إبراهيم وعبد الرزاق قال أحمد: ثقة قرأ التوراة والإنجيل. اهـ.

الرابع من رجال سند الحديث: وهب بن منبه بن كامل اليماني قال في التقريب: ثقة من الثالثة ورمز لكونه من رجال الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير.

وقال في تهذيب التهذيب: روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وجابر وأنس وعمرو بن شعيب وأبي خليفة البصري وأخيه همام بن منبه وغيرهم وذكر أنه روى عنه ابناه عبد الله وعبدالرحمن وأبناء أخيه عبد الصمد وعقيل بن معقل بن منبه، وقال: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: كان من أبناء فارس وقال العجلي: تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ. وقال أحمد بن حنبل وكان يتهم بشيء من القدر ثم رجع عنه. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب أيضًا: روى له البخاري حديثًا واحدًا من روايته عن أخيه عن أبي هريرة ليس أحد أكثر حديثًا مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب وقال: قلت: وقال عمرو بن علي الفلاس: كان ضعيفًا. انتهى.

أقول: وذكر شارح الطحاوية عن وهب بن منبه أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت ثم نظرت فيه فتحيرت ووجدت أن أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به.

أما الحارث بن أبي أسامة صاحب المسند فقد ترجم له الذهبي في الميزان وقال فيه: وكان حافظًا عارفًا بالحديث عالي الإسناد بالمرة تكلم فيه بلا حجة، قال الدارقطني: قد اختلف فيه وهو عندي صدوق وقال ابن حزم: ضعيف ولينه بعض البغادده لكونه يأخذ على الرواية. انتهى.

وترجم له الذهبي أيضًا في تذكرة الحفاظ وسمى جماعة روى عنهم وجماعة رووا عنه ثم قال: وثقه إبراهيم الحربي مع علمه بأنه يأخذ الدراهم وأبو حاتم وابن حبان وقال الدارقطني: صدوق وأما أخذ الدراهم على الرواية فقد كان فقيرًا كثير البنات وقال أبو الفتح الأزدي وابن حزم: ضعيف. انتهى.

وقال ابن العماد في شذرات الذهب: وفيها -أي في سنة ٢٨٢هـ- توفي الحافظ أبو محمد الحارث بن أبي أسامة التميمي البغدادي صاحب المسند يوم عرفة وله ٩٦سنة سمع علي بن عاصم وعبد الرحمن بن عطاء وطبقتهما قال الدارقطني: صدوق وقيل: فيه لين كان لفقره يأخذ على الحديث أجرًا.

هؤلاء سند الحديث من أوله إلى جابر -رضي الله عنه- وهو متصل ولفظ حديث جابر هذا قريب من لفظ حديثه عند مسلم في صحيحه حيث قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**» . فهذا الحديث الذي أورده ابن القيم من مسند الحارث بن أبي أسامة بالسند الذي قال عنه إنه جيد أقول: هذا الحديث فيه وصف الأمير المذكور بأنه المهدي فيكون هذا الحديث وغيره من الأحاديث الكثيرة الدالة على خروج المهدي آخر الزمان مفسرة للمراد بهذا الحديث الذي رواه مسلم وللأحاديث الأخرى التي في معناه عند البخاري ومسلم كما تقدم الإشارة إلى ذلك.

ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي واعتقدوا موجبها وحكاية كلامهم في ذلك

قال الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة: إن في المهدي أحاديث جيادًا. قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في

ترجمة علي بن نفيل بن زارع النهدي:

قلت: ذكره العقيلي في كتابه وقال: لا يتابع على حديثه في المهـــدي ولا يعرف إلا به قال: وفي المهدي أحاديث جياد من غير هذا الوجه. انتهى.

ويرى الإمام ابن حبان البستي المتوفى في سنة ٣٥٤هـ أن الأحاديث الواردة في المهدي مخصصة لحديث: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه**» .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في الكلام على الحديث الـــذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن وهو حديث أنــس -رضــي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**» قال: واستدل ابن حبان في صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي وأنه يمــلأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً. اهـ.

وقال الخطابي المتوفى ٣٨٨هـ -رحمه الله- في الكلام على حديــث أنس ابن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رســول الله -صلــى الله عليــه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون الســنة كالشــهر والشهر كالجمعة**» إلخ.

قال: ويكون ذلك في زمن المهدي أو عيسى عليهما الصلاة والســلام أو كليهما ذكر ذلك مُلا علي قاري في المرقاة شرح المشكاة وقال: والأخير هو الأظهر لظهور هذا الأمر في خروج الدجال وهو في زمنهما.

وذكر ذلك المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي في الكلام على شرح هذا الحديث.

وقال الإمام البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ بعد كلامه على تضعيــف حديث: «**لا مهدي إلا عيسى بن مريم**». قال: والأحاديث في التنصيــص على خروج المهدي أصح ألبتة إسناداً ، نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجــر في

تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن خالد الجندي راوي حديث: «**لا مهدي إلا عيسى بن مريم**» ونقله عنه أيضًا ابن القيم في المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف.

وقد عقد القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ في كتابه (الشفا) بابًا لمعجزاته -صلى الله عليه وسلم- يشتمل على ثلاثين فصلاً قال في القسم الأول من كتابه المذكور: الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه -صلى الله عليه وسلم- من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات قال في أوائل الكلام في هذا الباب: أمنيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليه بعض ما وقع في كتب مشاهير الأئمة، ثم قال في الفصل الثالث والعشرين. فصل: ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون. قال في أوله: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره. أورد في هذا الفصل جملة كبيرة من الأمور المستقبلة التي أخبر بها الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم- وذكر من بينها خروج المهدي.

وقال الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة ٦٧١هـ في كتابه التذكرة في أمور الآخرة بعد ذكر حديث: «**ولا مهدي إلا عيسى بن مريم**» قال: إسناده ضعيف والأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه وقال: يحتمل أن يكون قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم**» أي لا مهدي كاملاً معصومًا إلا عيسى. قال: وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض، نقل ذلك عنه السيوطي في آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ في كتابه منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (ج٤/٢١١).

فصل: وأما الحديث الذي رواه -أي الرافضي الذي ألف كتابه للرد عليه- عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وذلك هو المهدي**» فالجواب أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره كقوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**» ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة وفيه: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**» ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد وفيه: «**يملك الأرض سبع سنين**» ورواه عن علي -رضي الله عنه-: أنه نظر إلى الحسن وقال: «**إن ابني هذا سيد**» كما سماه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض قسطًا[1] .

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا مهدي إلا عيسى بن مريم**».

وهذا الحديث ضعيف وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي وهو ممن لا يحتج به وليس في مسند الشافعي، وقد قيل أن الشافعي لم يسمعه من الجندي وأن يونس لم يسمعه من الشافعي ، الثاني: إن الاثنى عشرية الذين ادعوا أن

(١) إسناد هذا الحديث عند أبي داود فيه انقطاع في أسفله وفي أعلاه.

هذا مهديهم، مهديهم اسمه: محمد بن الحسن والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- اسمه: محمد بن عبد الله ولهذا حذفت طائفة لفظ الأب حتى لا يناقض ما كذبت وطائفة حرفته وقالت: جده الحسين وكنيته أبو عبد الله، فمعناه محمد بن أبي عبد الله وجعلت الكنية اسمًا وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سماه غاية السول في مناقب الرسول، ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف وكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهل يفهم أحد من قوله: «**يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي**» إلا أن اسم أبيه عبد الله وهل يدل هذا اللفظ على أن جده كنيته أبو عبد الله ثم أي تمييز يحصل له بهذا فكم من ولد الحسين من اسمه محمد وكل هؤلاء يقال في أجدادهم محمد بن أبي عبد الله كما قيل في هذا، وكيف يعدل من يريد البيان إلى من اسمه محمد بن الحسن فيقول: اسمه محمد ابن عبد الله يعني بذلك أن جده أبو عبد الله وهذا كان تعريفه بأنه محمد بن الحسن أو ابن أبي الحسن؛ لأن جده على كنيته أبو الحسن أحسن من هذا وأبين لمن يريد الهدى والبيان، وأيضًا فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين كما تقدم لفظ حديث علي -رضي الله عنه- ا.هـ

وقد عقد ابن القيم -رحمه الله- في آخر كتابه المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف فصلاً في الكلام على أحاديث المهدي، وخروجه والجمع بينها وبين حديث ((لا مهدي إلا عيسى بن مريم)) ، قال فيه: فأما حديث: «**لا مهدي إلا عيسى بن مريم**»، فرواه ابن ماجه في سننه عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو مما تفرد به محمد ابن خالد قال أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري في كتاب مناقب الشافعي: محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه، وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد هذا، وقد قال الحاكم أبو عبدالله: هو مجهول وقد اختلف عليه في إسناده فروى عنه عن أبان بن أبي عياش عن الحسن مرسلاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو منقطع والأحاديث على خروج المهدي أصح إسنادًا. قال ابن القيم: قلت: كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا**» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح قال -يعني الترمذي-: وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة، ثم روى حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح. انتهى. ثم قال ابن القيم: وفي الباب عن حذيفة بن اليمان وأبي أمامة الباهلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص، وثوبان، وأنس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم ثم أورد عدة أحاديث رواها بعض أهل السنن والمسانيد وغيرها، منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف أورده للاستئناس به. ثم قال: وهذه الأحاديث أربعة أقسام صحاح وحسان وغرائب وموضوعة وقد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسيح ابن مريم -وهو المهدي على الحقيقة- واحتج أصحاب هذا بحديث محمد بن خالد الجندي المتقدم وقد بينا حاله وأنه لا يصح ولو صح لم يكن به حجة؛ لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين الساعة، وقد دلت السنة الصحيحة عن

النبي -صلى الله عليه وسلم- على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق وحكمه بكتاب الله وقتله اليهود والنصارى ووضعه الجزية وإهلاك أهل الملل في زمانه فيصح أن يُقال لا مهدي في الحقيقة سواه وإن كان غيره مهديًا، كما يقال: لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا ما وقى وجه صاحبه، وكما يصح أن يقال: إنما المهدي عيسى بن مريم يعني المهدي الكامل المعصوم.

القول الثاني: أنه المهدي الذي ولي من بني العباس وقد انتهى زمانه، ثم ذكر حديثين فيهما ذكر مجيء الرايات السود من قبل المشرق من جهة خراسان وأشار إلى ضعفهما، ثم قال مشيرًا إلى أولهما وثانيهما: وهذا والذي قبله لو صح لم يكن فيه دليل على أن المهدي الذي تولى من بني العباس هو المهدي الذي خرج في آخر الزمان بل هو مهدي من جملة المهديين، وعمر بن عبد العزيز كان مهديًا بل هو أولى باسم المهدي منه وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» وقد ذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه إلى أن عمر بن عبد العزيز منهم، ولا ريب أنه كان راشدًا مهديًا ولكن ليس بالمهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فالمهدي في جانب الخير والرشد، كالدجال في جانب الشر والضلال، وكما أن بين يدي الدجال الأكبر صاحب الخوارق دجالين كذابين فكذلك بين يدي المهدي الأكبر مهديون راشدون.

القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- من ولد الحسن بن علي يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا فيملأها قسطًا وعدلاً وأكثر الأحاديث على هذا تدل، وفي كونه من ولد الحسن -رضي الله عنه- سر لطيف وهو أن الحسن -رضي الله عنه- ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض وهذه سنة الله في عباده أنه من ترك شيئًا لأجله أعطاه الله أن أعطى ذريته أفضل منه وهذا بخلاف الحسين -رضي الله عنه- فإنه حرص

عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها والله أعلم، ثم أورد بعض الأحاديث في خروج المهدي ثم قال: وأما الرافضة الإمامية فلهم قول رابع: وهو أن المهدي هو محمد بن الحسين العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا ويختم الفضا دخل سرداب سامرا طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة -بالنسبة لزمان ابن القيم المتوفى عام ٧٥١م- فلم تره بعد ذلك عين و لم يحس فيه بخبر ولا أثر وهم ينتظرونه كل يوم بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ودأبه ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما آنا؟
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلّثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

وقال ابن القيم أيضاً في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:

ومن تلاعبه -يعني الشيطان- بهم -يعني اليهود- أنهم ينتظرون قائماً من ولد داود النبي إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، وإن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- يقتلهم ولا يبقي منهم أحداً ثم قال: والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء ، لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل أعدائه من اليهود، وعباده من النصارى ينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. اهـ

وقال أبو الحسن السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ: ويتحصل مما ثبت في الأخبار عنه - أي المهدي - أنه من ولد فاطمة وفي أبي داود أنه من ولد

الحسن، والسر فيه ترك الخلافة لله شفقة على الأمة فجعل القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة وامتلاء الأرض ظلماً من ولده، وهذه سنة الله في عباده أنه يعطي لمن ترك شيئًا من أجله أفضل مما ترك أو ذريته وقد بالغ الحسن في ترك الخلافة ونهى أخاه عنها وتذكر ذلك ليلة مقتله فترحم على أخيه، وما روي من كونه من ولد الحسين فواهٍ جدًا. اهـ. بواسطة نقل المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي.

وقال ابن حجر المكي المتوفى سنة ٩٤٧هـ في كتابه القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: الذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وعيسى في زمانه ويصلي عيسى خلفه وأنه المراد حيث أطلق المهدي. اهـ. بواسطة نقل البرزنجي في الإشاعة لأشراط الساعة.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله في كتاب الفتن والملاحم: فصل: في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وليس هو بالمنتظر الذي تزعم الرافضة وترتجي ظهوره من سرداب سامراء فإن ذلك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري وأنه دخل السرداب وعمره خمس سنين، وأما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه يكون في آخر الدهر وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى بن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث .. ثم ساق عدة أحاديث من السنن وغيرها منها بعض أحاديث الرايات السود وحديث علي -رضي الله عنه- في ابنه الحسن وأنه يخرج من صلبه رجل يسمى باسم النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: ففي هذا السياق إشارة إلى ملك بني العباس كما تقدم التنبيه على ذكر ذلك عند ابتداء ذكر دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيه دلالة على أنه يكون المهدي بعد دولة بني العباس وأنه

يكون من أهل البيت من ذرية فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ولد الحسن لا الحسين كما تقدم النص على ذلك في الحديث المروي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- والله أعلم، ثم قال: وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا: حدثنا عبد الرزاق عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم**» ثم ذكر شيئًا لا أحفظه فقال: «**فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي**» تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح.

والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان إذ لا دليل على ذلك ولا برهان لا من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا استحسان.

وقال الترمذي: حدثنا قتيبة حدثنا رشدين بن سعد عن يونس عن ابن شهاب الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيليا**» هذا الحديث غريب، وهذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة بل رايات سود أخر تأتي صحبة المهدي وهو محمد ابن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني -رضي الله عنه- يصلحه الله في ليلة واحدة أي يتوب عليه، ويوفقه ويلهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك

ويؤيده بناس من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه وتكـون راياتهم سودًا أيضًا وهو زي عليه وقار؛ لأن راية الرسول -صلى الله عليه وسلم- سوداء يقال لها: العقاب، وقد ركزها خالد بن الوليد -رضي الله عنه- على الثنية التي شرقي دمشق حين أقبل من العراق فعرفت بها الثنية فهي إلى الآن يقال لها ثنية العقاب. وقد كانت عقابًا على الكفار من نصارى الروم ولمن كان معهم وبعدهم إلى يوم الدين ولله الحمد، وكذلك دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم الفتح إلى مكة وعلى رأسه المغفر، وكان أسود، وجاء في الحديث أنه كان متعممًا بعمامة سوداء فوق البياض صلوات الله وسلامه عليه، والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك بعض الأحاديث وقد أفردت في ذكر المهدي جزءًا على حدة ولله الحمد والمنة.

وقال ابن ماجه أيضًا: حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا محمد بن مروان العقيلي حدثنا عمارة بن أبي حفصة عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع، تنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها، تؤتي الأرض أكلها ولا تدخر منه شيئًا والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ**» .

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيدًا العمي سمعت أبا الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري، قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**إن في أمتي المهدي يخرج فيعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا**» -زيد الشاك- قال: قلنا وما ذاك؟ قال: «سنن» قال: «**يجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**». هذا حديث حسن.

وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس وهو دليل على أن أكثر مدته تسع وأقلها خمس أو سبع ولعله هو الخليفة الذي يحثي المال حثيًا والله أعلم.

وفي زمانه تكون الثمار كثيرة والزروع غزيرة والمال وافر والسلطان قاهر والدين قائم والعدو راغم والخير في أيامه دائم ..، ثم أورد حديثين أحدهما عند الإمام أحمد والثاني عند ابن ماجه ثم قال : فأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه حيث قال رحمه الله تعالى: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن إدريس الشافعي ، حدثنا محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن ، عن أنس بن مالك، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «**لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارًا ولا الناس إلا شحًا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى بن مريم**» فإنه حديث مشهور عن محمد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذن شيخ الشافعي وروى عنه غير واحد أيضًا وليس هو بمجهول كما زعمه الحاكم بل قد روى عن ابن معين أنه وثقه ولكن من الرواة من حيث به عنه عن أبان بن أبي عياش عن الحسن البصري مرسلاً، وذكر ذلك شيخنا في التهذيب عن بعضهم أنه رأى الشافعي في المنام وهو يقول: كذب عليّ يونس بن عبد الأعلى ليس هذا من حديثي، قلت: يونس بن عبد الأعلى الصدفي من الثقات لا يطعن فيه بمجرد منام، وهذا الحديث فيما يظهر بادئ الرأي مخالف للأحاديث التي أوردناها في إثبات مهدي غير عيسى بن مريم إما قبل نزوله كما هو الأظهر والله أعلم، وإما بعده وعند التأمل لا ينافيها بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حق المهدي هو عيسى بن مريم ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديًا أيضًا والله أعلم. انتهى ما نقلته من كتاب الفتن والملاحم لابن كثير -رحمه الله-.

وقال في تفسيره عند قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً**﴾ [المائدة:١٢] بعد ذكره الكلام عن هؤلاء النقباء، قال: وهكذا لما بايع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأنصار ليلة العقبة كان منهم اثنا عشر نقيباً ثلاثة من الأوس وهو أسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن المنذر ويقال بدله: أبو الهيثم بن التيهان -رضي الله عنهم- وتسعة من الخزرج وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن حنيش رضي الله عنهم، وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له كما أورده ابن إسحاق -رحمه الله- والمقصود أن هؤلاء كانوا عُرفاء على قومهم ليلتئذٍ عن أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم بذلك وهم الذين ولوا المعاقدةَ والمبايعة عن قومهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كم يملك هذا الأمة من خليفة؟ قال عبد الله : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل**» . هذا حديث غريب من هذا الوجه وأصل الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر ابن سمرة قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً**» ثم تكلم النبي -صلى الله عليه وسلم- بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ؟ قال: ((**كلهم من قريش**)). وهذا لفظ مسلم ومعنى هذا الحديث

البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحًا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم- ومنهم: عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة. والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره فذكر أنه يواطئ اسمه اسم النبي -صلى الله عليه وسلم- واسم أبيه اسم أبيه فيملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثنى عشر الأئمة الاثنى عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم وفي التوراة البشارة بإسماعيل -عليه الصلاة والسلام- وأن يقيم من صلبه اثني عشر عظيمًا وهم هؤلاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهًا لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. انتهى.

وقال الشيخ ملا علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ في شرحه للفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة عند قول أبي حنيفة رحمه الله: وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام. قال: وفي نسخة: قدم طلوع الشمس على البقية وعلى كل تقدير فالواو لمطلق الجمع وإلا فترتيب القضية أن المهدي عليه السلام يظهر أولاً في أرض الحرمين ثم يأتي بيت المقدس، فيأتي الدجال ويحصره في ذلك الحال فينزل عيسى -عليه الصلاة والسلام- على المنارة الشرقية في دمشق

الشام ويجيء إلى قتال الدجال فيقتله بضربة في الحال فإنه يذوب كالملح عند نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- من السماء فيجتمع عيسى -عليه الصلاة والسلام- بالمهدي -رضي الله عنه- وقد أقيمت الصلاة فيشير بالمهدي لعيسى بالتقدم فيمتنع معللاً بأن هذه الصلاة أقيمت لك فأنت أولى بأن تكون الإمام في هذا المقام ويقتدى به ليظهر متابعته لنبينا -صلى الله عليه وسلم- ... إلى أن قال: وفي شرح العقائد الأصح أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- يصلي بالناس يؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل وإمامته أولى. اهـ. قال علي القارئ: ولا ينافي ما قدمناه كما لا يخفى ذكر الأمور الأخرى مرتبة وهي خروج يأجوج ومأجوج وموت المؤمنين وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن.

وقال الشيخ عبد الرءوف المناوي صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير المتوفى سنة ١٠٣٢هـ، قال في كتابه المذكور: وأخبار المهدي كثيرة شهيرة أفردها غير واحد في التأليف ... إلى أن قال: تنبيه: أخبار المهدي لا يعارضها خبر: ((**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**))؛ لأن المراد به كما قال القرطبي لا مهدي كاملاً معصومًا إلا عيسى ابن مريم. وقال المناوي عند حديث: لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي في وسطها. أراد بالوسط ما قبل الآخر؛ لأن نزوله -عليه السلام- لقتل الدجال يكون في زمن المهدي ويصلي عيسى خلفه كما جاءت به الأخبار، وجزم به جمع من الأخيار وذكر عند حديث : منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه، أنه بعد نزوله يجيء فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيتأخر ليتقدم فيقدمه عيسى -عليه الصلاة والسلام- ويصلي خلفه ، قال: فأعظم به فضلاً وشرفًا لهذه الأمة، ثم قال: ولا ينافي ما ذكره في هذا الحديث ما اقتضاه بعض الآثار من أن عيسى هو الإمام بالمهدي وجزم به السعد التفتازاني وعلله بأفضليته لإمكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولاً ليظهر أنه نزل تابعًا لنبينا

حاكمًا بشرعه ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل. اهـ.

وقال الشيخ محمد السفاريني في كتابه، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية الذي شرح فيه نظمه في العقيدة المسمى الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:

وما أتى بالنص من أشراط ... فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح ... محمد المهدي والمسيح

منها: أي من أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها أن يظهر الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله الخاتم للأئمة فلا إمام بعده كما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده. الفصيح: اللسان لأنه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة. ثم قال: وقوله: محمد المهدي: هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله فقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي**» رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأها قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا**» وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- .

وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضًا: «**لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا**» أخرجه الطبراني في معجمه الصغير .

وأخرجه الترمذي ولفظه: «**حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي**»

وقال: حديث حسن صحيح.

وكذلك أخرجه أبو داود في سننه وروى ابن مسعود أيضًا -رضي الله عنه- رفعه: «**اسم المهدي محمد**» .

وفي مرفوع حذيفة «**محمد بن عبد الله**» ويكنى أبا عبد الله ومن أسمائه أحمد بن عبد الله، كما في بعض الروايات، إلى أن قال: وأما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبت له هذه الصفة في عدة أخبار إلى أن قال: وأما كنيته فأبو عبد الله وأما نسبته فإنه من أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم إن الروايات الكثيرة والأخبار الغزيرة ناطقة أنه من ولد فاطمة البتول ابنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين وجاء في بعض الأحاديث أنه من ولد العباس والأول أصح قال ابن حجر في كتابه القول المختصر: وأما ما روي: «**إن المهدي من ولد العباس عمي**» فقال الدارقطني: حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بن هاشم قال: ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «**ألا أبشرك يا عم أن من ذريتك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى ويطفي نيران الضلالة إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم**» ثم أورد ابن حجر عدة أخبار في هذا المعنى ثم قال: فهذه الأخبار كلها لا تنافي أن المهدي من ذرية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ولد فاطمة الزهراء لأن الأحاديث التي فيها أن المهدي من ولدها أكثر وأصح، بل قال بعض حفاظ الأمة وأعيان الأئمة: أن كون المهدي من ذريته -صلى الله عليه وسلم- مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات إلى غيره وقال ابن حجر : يمكن الجمع بأن يكون من ذريته -صلى الله عليه وسلم- وللعباس فيه ولادة من جهة أن في أمهاته عباسية والحاصل أن للحسن في المهدي الولادة العظمى لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضًا وللعباس فيه ولادة أيضًا ولا مانع من اجتماع

ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق.

ثم ذكر الشيخ السفاريني -رحمه الله- خمس فوائد تكلم على كل واحدة منها الأولى: في حليته وصفته، والثانية: في سيرته، والثالثة: في علامات ظهوره ، والرابعة: في الإشارة إلى بعض الفتن الواقعة قبل خروجه، والخامسة : في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك ثم قال بعد الانتهاء من الكلام على الفوائد الخمس: تنبيه: قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى -عليه السلام- وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث في خروج المهدي وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ثم قال: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم - رضي الله عنهم- بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة.

وقال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي المتوفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف في كتابه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) قال: وبعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة ولكن في قرن التابعين واتباع التابعين لم تظهر البدع ظهوراً فاشياً وأما بعد قرن اتباع التابعين فقد تغيرت الأحوال تغيراً فاحشاً وغلبت البدع وصارت السنة غريبة واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة إلا ما استثني من زمان المهدي -رضي الله عنه- وعيسى -عليه السلام- إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس. انتهى.

وقال الشيخ شمس الحق العظيم أبادي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ. في

حاشيته المسماة عون المعبود على سنن أبي داود قال: وخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم: أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء، -رضي الله عنهم- وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه في تضعيف أحاديث المهدي كلها ولم يصب بل أخطأ.انتهى.

وقال الشيخ محمد أنور شاه الكشميري -رحمه الله- المتوفى سنة ١٣٥٢هـ في كتابه عقيدة الإسلام: (فائدة): أخرج مسلم في نزول عيسى عليه السلام عن جابر يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم -عليه السلام- فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**» قال الكشميري: المراد به أنه لا يؤم في تلك الصلاة حتى لا يتوهم أن الأمة المحمدية سلبت الولاية فبعد تقرير ذلك في أول مرة يكون الإمام هو عيسى -عليه الصلاة والسلام- لكونه أفضل من المهدي فالجواب الأصلي لأمير المسلمين هو قوله: لا، فإنها لك أقيمت. كما عند ابن ماجه وغيره عن أبي أمامة وبعد أن كانت أقيمت له لو تقدم عيسى -صلى الله عليه وسلم- أوهم عزل الأمير بخلاف ما بعد ذلك وهذا كإشارة نبينا -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر - رضي الله عنه - بعد ما كان شرع في الصلاة ألا يتأخر يعني أم في هذه الصلاة لأنها لك أقيمت ثم ذكر قوله: «**تكرمة الله هذه الأمة**» لفائدة زائدة وهي: أن الأمة على ولايتها وعيسى -عليه السلام- أيضًا حينئذٍ منهم لا التعليل لعدم إمامته حتى يتوهم استمرار عدمها. انتهى.

وقال الشيخ عبد الرحمن المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي في باب ما جاء في المهدي: قلت: الأحاديث الواردة في خروج المهدي كثيرة جداً ولكن أكثرها ضعاف ولا شك في أن حديث عبد الله بن مسعود الذي في هذا الباب لا ينحط عن درجة الحسن وله شواهد كثيرة من بين حسان وضعاف فحديث عبد الله بن مسعود هذا مع شواهده وتوابعه صالح للاحتجاج بلا مرية فالقول بخروج المهدي وظهوره هو الحق والصواب، والله أعلم.

هذه بعض الكلمات التي وقفت عليها لبعض أهل السنة والأثر في شأن المهدي والاحتجاج بالأحاديث الواردة فيه، وأعني بأهل السنة والأثر أهل الحديث ومن سار على منواهم ممن جعل مستنده في الاعتقاد كتاب الله وما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دون الاعتراض على ذلك بخيال يسميه صاحبه معقولاً، وليس كل الذين نقلت كلامهم فيما تقدم بهذه المثابة بل منهم من هو على المعتقد الذي رجع عنه أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- وبعض هؤلاء ممن له عناية بالآثار وتمييز صحيحها من ضعيفها وذلك أن الحق يقبل من كل من جاء به وليعلم أن الأحاديث في المهدي قد تلقتها الأمة من أهل السنة والأشاعرة بالقبول إلا من شذ.

ذكر من وقفت عليه ممن حُكي عنه إنكار أحاديث المهدي أو التردد في شأنه مع مناقشة كلامه باختصار

فإن قال قائل: قد أكثرت من النقل عن أهل العلم في إثبات خروج المهدي في آخر الزمان فلماذا؟ وهل وقفت على ذكر إنكار أحد لخروج المهدي أو التردد في شأنه على الأقل؟

والجواب عن السؤال الأول هو: أني أوردت بعض ما وقفت عليه من كلام أهل العلم بشأن خروج المهدي في آخر الزمان لتزداد أيها المستمع ثباتاً

ويقينًا بأن اعتقاد خروجه آخر الزمان هو الجادة المسلوكة ولتعلم أنه الحق الذي لا يسوغ العدول عنه والالتفات إلى غيره وعمدة أهل العلم في ذلك الأحاديث الواردة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ذلك إذ لا مجال للرأي في مثل هذا الأمر بل سبيله الوحيد هو الوحي؛ لأنه من الأمور الغيبية.

أما الجواب عن السؤال الثاني فهو أني لم أقف على تسمية أحد في الماضين أنكر أحادث المهدي أو تردد فيها سوى رجلين اثنين أما أحدهما فهو أبو محمد بن الوليد البغدادي، الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة وقد مضى حكاية كلام شيخ الإسلام عنه وأنه قد اعتمد على حديث: «**لا مهدي إلا عيسى بن مريم**» وقال ابن تيمية: وليس مما يعتمد عليه لضعفه. انتهى.

وسبق في أثناء كلام الذين نقلت عنهم أنه لو صح هذا الحديث فالجمع بينه وبين أحاديث المهدي ممكن. ولم أقف على ترجمة لأبي محمد المذكور.

وأما الثاني فهو عبد الرحمن بن خلدون المغربي المؤرخ المشهور وهو الذي اشتهر بين الناس عنه تضعيف أحاديث المهدي وقد رجعت إلى كلامه في مقدمة تاريخه فظهر لي منه التردد لا الجزم بالإنكار، وعلى كل حال فإنكارها أو التردد في التصديق بما دلت عليه شذوذ عن الحق ونكوب عن الجادة المطروقة ، وقد تعقبه الشيخ صديق حسن في كتابه الإذاعة حيث قال: لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب واتفق عليه جمهور الأمة خلفًا عن سلف إلا من لا يعتد بخلافه. وقال : لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود والمنتظر المدلول عليه بالأدلة بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر. انتهى.

ولي ملاحظات على كلام ابن خلدون أرى أن أشير إليها هنا:

الأولى: أنه لو حصل التردد في أمر المهدي من رجل له خبرة بـالحديث لاعتبر ذلك زللاً منه فكيف إذا كان من الإخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص وقد أحسن الشيخ أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث المسند حيث قال: أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم واقتحم قحمًا لم يكن من رجالها ... وقال: إنه تهافت في الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي تهافتًا عجيبًا وغلط أغلاطًا واضحة ... وقال: إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين: الجرح مقدم على التعديل ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئًا مما قال.

الثانية: صدر ابن خلدون الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي بقوله: اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته ويحتجون في الشأن بأحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الأخبار.

أقول: هذه الشهادة التي شهدها ابن خلدون وهي أن اعتقاد خروج المهدي هو المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، ألا يسعه في ذلك ما وسع الناس على ممر الأعصار كما ذكر ابن خلدون نفسه؟ وهل ذلك إلا شذوذ بعد معرفة أن الكافة على خلافه وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ والأمر ليس اجتهاديًا وإنما هو غيبي لا يسوغ لأحد إثباته إلا بدليل من كتاب الله أو سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- والدليل معهم وهم أهل الاختصاص.

الثالثة: أنه قال قبل إيراد الأحاديث: ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث

الواردة في هذا الشأن ... وقال في نهايتها: فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي، وخروجه آخر الزمان : وقال في موضع آخر بعد ذلك: وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا.

وأقول: إنه قد فاته الشيء الكثير كما يتضح ذلك بالرجوع إلى ما أثبته السيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي عن الأئمة، بل إن ما فاته الحديث الذي ذكره ابن القيم في المنار المنيف عن الحارث ابن أبي أسامة وقال: إسناده جيد، وتقدم ذكره بسنده وحاصل ما قيل في رجاله.

الرابعة: وقال إن جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث المهدي فذكرهم وذكر الصحابة الذين أسندوها إليهم. ثم قال: ربما يعرض لأسانيدها المنكرون كما نذكره إلا أن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل فإذا وجدنا طعنًا ببعض رجال الأسانيد بغفلة أو سوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق إلى رجال الصحيحين، فإن الإجماع قد اتصل في الأمة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك فقد نجد مجالاً للكلام في أسانيدها بما نقل عن أئمة الحديث في ذلك. انتهى.

أقول: إن ابن خلدون أورد بعض الأحاديث وقدح فيها برجال في أسانيدها هم من رجال الصحيحين أو أحدهما وذلك تناقض يخالف المبدأ الذي رسمه لنفسه وهو قوله: ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق لرجال الصحيحين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صحة ما ذكره عنه الشيخ أحمد شاكر حيث قال: أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم واقتحم قحمًا لم يكن من رجالها، ومما أورده من الأحاديث وقدح فيه برجال هم من رجال الصحيحين أو أحدهما قوله: وخرج الحاكم في

المستدرك عن علي -رضي الله عنه- من رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال: كنا عند علي -رضي الله عنه- فسأله رجل عن المهدي فقال له: هيهات ثم عقده بيده سبعًا فقال: ذلك يخرج في آخر الزمان، إذا قال الرجل: الله الله قتل ... إلى آخر الحديث.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. انتهى. ثم قال ابن خلدون: وإنما هو على شرط مسلم فقط فإنه فيه عمارًا الدهني ويونس ابن أبي إسحاق لم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن محمد العنقزي، ولم يخرج له البخاري احتجاجًا بل استشهادًا مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الدهني، وهو وإن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان أن بشر بن مروان قطع عرقوبيه قلت: في أي شيء قال: في التشيع. انتهى.

وهؤلاء الثلاثة الذين قدح في الحديث من أجلهم هم من رجال مسلم، وذلك مناقض للخطة التي رسمها أولاً كما هو واضح.

الخامسة: إن ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض أحاديث المهدي من النقد؛ حيث قال بعد إيراد الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان : وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه. انتهى وأقول: إن القليل الذي يسلم من النقد يكفي للاحتجاج به ويكون الكثير الذي لم يسلم عاضدًا له ومقويًا على أنه قد سلم الشيء الكثير كما تقدم ذلك في حكاية كلام القاضي محمد بن علي الشوكاني الذي حكى تواترها وقال: إن فيها خمسين حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، ثم إنه في آخر البحث ذكر ما يفيد تردده في أمر المهدي وذلك يفيد عدم ثبات رأيه لكونه تكلم فيه بما ليس باختصاصه.

هذه بعض الملاحظات على كلام ابن خلدون في شأن المهدي سأستوفي الكلام فيها مع ملاحظات أخرى عليه في الرسالة التي أنا بصدد

تأليفها في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

وقد اطلعت على رسالة لأبي الأعلى المودودي اسمها (البيانات) تكلم فيها عن ظهور المهدي لاحظت فيها أمورًا لا يتسع الوقت لاستيفائها جميعًا ولكني أشير إلى ثلاثة منها:

الأول: في قوله: والأحاديث في هذه المسألة على نوعين: أحاديث فيها الصراحة بكلمة المهدي وأحاديث إنما أخبر فيها بخليفة يولد في آخر الزمان ويعلى كلمة الإسلام وليس سند أي رواية من هذين النوعين من القوة حيث يثبت أمام مقياس الإمام البخاري لنقد الروايات فهو لم يذكر منها أي رواية في صحيحه وكذلك ما ذكر منها الإمام مسلم إلا رواية واحدة في صحيحه ولكن ما جاءت فيها أيضًا الصراحة بكلمة المهدي. اهـ.

أقول: إن أحاديث المهدي وإن لم ترد في الصحيحين بالتفصيل الذي جاء في غيرهما فعدم ورودها فيهما لا يقدح فيها لما كانت قد ثبتت في غيرهما ومعلوم أن غير الصحيحين من السنن والمسانيد والأجزاء فيها الصحاح والحسان والضعاف وعلماء الحديث قد قبلوها واحتجوا بها واعتقدوا موجبها، وكتب الأصول والفروع مملوءة من الأحاديث الصحيحة في غير الصحيحين يوردونها للاستدلال بها. وبهذه المناسبة أرى أن أذكر بعض الأحاديث التي وردت في السنن والمسانيد، وغيرها والتي يستدل بها في كتب العقائد وذلك على سبيل التمثيل.

١- الحديث المشتمل على العشرة المبشرين بالجنة -رضي الله عنهم- فإنه في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره وليس في الصحيحين ومع ذلك اعتقدت الأمة موجبه وقل أن يوجد مؤلف في العقائد ولو كان مختصرًا إلا وهو متضمن التنصيص على ذكرهم والشهادة لهم بالجنة بناء على الأحاديث الواردة في ذلك في غير الصحيحين كما أن هناك أناسًا آخرين من الصحابة شهد لهم بالجنة لكن اختص هؤلاء بلفظ العشرة لأن النبي -صلى الله عليه

وسلم- جمعهم في حديث فقال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**» وقد وردت الشهادة لبعضهم في الجنة في الصحيحين -رضي الله عنهم- وأرضاهم وحشرنا في زمرتهم وثبتنا على السنة حتى نلحق بهم.

٢- الحديث الدال على أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة لم يرد في الصحيحين وقد اعتقد الناس موجبه واستدلوا به وأورده شارح الطحاوية وغيره وقد أورده ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا**﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: وقد روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل حديثًا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة فإن الإمام أحمد -رحمه الله- رواه عن محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله- عن مالك بن أنس الأصبحي - رحمه الله- عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»

ونسأل الله الذي جمعهم في سند هذا الحديث أن يجمع أرواحهم فيما يقتضيه متنه وإيانا بمنه وكرمه. وهذا إنما هو بالنسبة لغير الشهداء أما الشهداء فقد جاء في صحيح مسلم وغيره أن أرواحهم في أجواف طير خضر.

٣- حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- الطويل في نعيم القبر وعذابه الذي وصف فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما يجرى عند الموت حتى البعث وهو في مسند الإمام أحمد وغيره ولبعضه شواهد في

الصحيح وقد أورده شارح الطحاوية وقال عقب إيراده: وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث. وكذا الحديث الذي فيه تسمية الملكين السائلين في القبر بمنكر ونكير لم يرد فيه الصحيحين وقد اعتقد موجبه أهل السنة وأورده شارح الطحاوية مستدلاً به.

٤- الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره الدال على وزن الأعمال وهو حديث البطاقة والسجلات لم يرد في الصحيحين واعتقد أهل السنة موجبه وأورده شارح الطحاوية للاستدلال به على أن ميزان الأعمال له كفتان وعلى وزن صحائف الأعمال، ولا يتسع المقام لإيراد الكثير من الأمثلة في ذلك فاكتفي بهذا القدر.

والحاصل أن الأحاديث إذا كانت صحيحة يجب العمل بموجبها سواء كانت في الصحيحين أو في غيرهما ومن ذلك أحاديث المهدي.

الثاني من الأمور التي لاحظتها في كلمة أبي الأعلى المودودي عن المهدي في كتابه (البيانات) في قوله: ولا يمكن أن يستنبط ولو بتأويل مستبعد أن في الإسلام منصبًا دينيًا يعرف بالمهدية يجب على كل مسلم أن يؤمن به ويترتب على عدم الإيمان به طائفة من النتائج الاعتقادية والاجتماعية في الدنيا والآخرة.

أقول: بل الذي لا شك فيه أنه يستنبط من الأحاديث الصحيحة في شأن المهدي حصول الإخبار من الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم- بوجود إمام للمسلمين عند نزول عيسى ابن مريم يوافق اسم النبي -صلى الله عليه وسلم - واسم أبيه اسم أبي الرسول - صلى الله عليه وسلم- ومن أهل بيته ويقال له المهدي والواجب على كل مسلم أن يصدق أخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي يخبر بها عن أمور مغيبة مطلقًا بما في ذلك أخبار المستقبل كإخباره عن المهدي وعن الدجال وما إلى ذلك من الأخبار.

الثالث: في قوله: ومما يناسب ذكره بهذا الصدد أنه ليس من عقائد الإسلام عقيدة عن المهدي ولم يذكرها كتاب من كتب أهل السنة للعقائد.

أقول : من عقائد أهل السنة التصديق بكل ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأخبار ومن ذلك إخباره بشأن المهدي، وكتب العقائد عند أهل السنة قد أوضحت ذلك فقد قال الشيخ محمد السفاريني المتوفى سنة ١١٨٨هـ في نظمه لعقيدة السلف المسمى (الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية).

وما أتى بالنص من أشراط فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح

ثم إنه أوضح ذلك في شرحه المسمى بلوامع الأنوار البهية فقال:

تنبيه: قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى ابن مريم والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزوله عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث في خروج المهدي ، وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ثم قال وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم -رضي الله عنهم- بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة. انتهى.

وكما أنه مدون في كتب العقائد عند أهل السنة والجماعة فهو أيضًا مدون في كتب العقائد، التي تمسك أربابها بمذهب أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وقد تقدم نص كلام الشيخ ملا علي قاري الحنفي الذي هو على مذهب الأشاعرة والذي نقلته من شرحه على الفقه الأكبر وفيه ترتيبه لأشراط الساعة القريبة من قيامها وجعله خروج

المهدي أولها وأن عيسى -عليه الصلاة والسلام- يصلي خلفه، وفيه قوله: وفي شرح العقائد: الأصح أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي؛ لأنه أفضل وإمامته أولى. انتهى.

وكذا تقدم في كلام الشيخ عبد الرءوف المناوي قوله بعد ذكر ائتمام عيسى بالمهدي: ولا ينافي ما ذكر في هذا الحديث ما اقتضاه بعض الآثار من أن عيسى هو الإمام بالمهدي وجزم به السعد التفتازاني وعلله بأفضليته لإمكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولاً ليظهر أنه نزل تابعًا لنبينا حاكمًا بشرعه ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل. انتهى.

ذكر بعض ما قد يُظن تعارضه مع الأحاديث الواردة في المهدي والجواب عن ذلك

١- تقدم في أثناء كلام الأئمة الذين نقلت كلامهم أن حديث: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**» لا يتعارض مع الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لضعفه ولإمكان الجمع بينها لو صح بأن يكون معناه لا مهدي كاملاً معصومًا إلا عيسى ابن مريم -صلى الله عليه وسلم- وذلك لا ينفي أن يكون غيره مهديًا غير معصوم كالمهدي الذي دلت عليه الأحاديث.

٢- إن ما دلت عليه أحاديث المهدي من قيام المهدي بنصرة الدين وامتلاء الأرض في زمانه من العدل، لا ينافيه وجود الدجال وأتباعه في زمانه ومعاداتهم للمسلمين ، وكذا الأدلة الدالة على بقاء الأشرار مع الأخيار حتى تخرج الريح اللينة، التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ولا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة ، لأن المراد مما جاء في أحاديث المهدي كثرة الخير وقوة أهل الإسلام وحصول الغلبة لهم وقهرهم لغيرهم وهذا لا ينفي وجود أشرار مغمورين في زمانه، كما أننا نعتقد أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخلفاءه الراشدين -رضي الله عنهم- قد ملئوا الأرض عدلاً ومع ذلك كان في الأرض في زمانهم من أعدائهم الكثير قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين.

٣- إن ما دلت عليه أحاديث المهدي من امتلاء الأرض ظلمًا وجورًا قبل خروجه لا يدل على خلو الأرض من أهل الخير قبل زمانه فالرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبر في أحاديث صحيحة بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله ومنها الحديث الذي رواه مسلم عن جابر أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن**

مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم علـــى بعـــض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» . وهذه الأحاديث وأحاديث المهدي تدل على أن الحق مستمر لا ينقطع ، لكنه في بعض الأزمان يكون لأهله الغلبة ويحصل له الانتشار كما في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين وكما في زمن المهدي وعيسى بن مريم وفي بعض الأزمان يتضـــاءل هـــذا الانتشار ويضعف أهله ، أما أن الحق يتلاشى ويضمحل فهذا ما لم يكن فيما مضى منذ زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا يكون في المستقبل حتى خروج الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة كما أخبر بذلك الـــذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، فما من زمن في الماضي إلا وقـــد هيأ الله لهذا الدين من يقوم به وفي هذا الزمن الذي تكالب أعداء الإســـلام عليه وغزي بأبنائه المنتسبين إليه أعظم من غزوه بأعدائه لم تخل الأرض مـــن إقامة شعائر الدين الإسلامي ومن ذلك ما امتن الله به على حكومة البـــلاد المقدسة من التوفيق لتحكيم الشريعة وتعميم المحاكم الشرعية في مدن المملكة وقراها، يتحاكم الناس فيها إلى كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- على وجه لا نظير له في سائر أنحاء الأرض فيما نعلم فيرجم الزاني المحصـــن ويجلد البكر، ويحد شارب الخمر، وتقطع يد السارق، ويقتل القاتل وغـــير ذلك وما حصل في هذه البلاد من الأمن والاستقرار ورغد العيش إنما هو من الثواب المعجل على القيام بالدين زادها الله من كل خير وحماها من كل شر ووفق المسلمين جميعًا في أنحاء الأرض لما فيه عزهم وســعادتهم في دنيـــاهم وأخراهم.

كلمة ختامية

في أنه لا علاقة لعقيدة أهل السنة في المهدي بعقيدة الشيعة

إن أحاديث المهدي الكثيرة التي ألف فيها مؤلفون وحكى تواترها جماعة ، واعتقد موجبها أهل السنة والجماعة وغيرهم من الأشاعرة تدل على حقيقة ثابتة بلا شك هي حصول مقتضاها في آخر الزمان ، ولا صلة ألبتة لهذه الحقيقة الثابتة عند أهل السنة بالعقيدة الشيعية؛ فإن ما يعتقده الشيعة من خروج مهدي منتظر يسمى محمد بن الحسن العسكري ، من نسل الحسين -رضي الله عنه- لا حقيقة له ولا أصل وعقيدتهم بالنسبة لمهديهم في الحقيقة عقيدة موهومة كما أن إمامة الأئمة الماضين عندهم في الحقيقة إمامة موهومة لا حقيقة لها ولا وجود إلا إمامة علي بن أبي طالب وابنه الحسن -رضي الله عنهما- وهما بريئان منهم ومن اعتقادهم بلا شك، أما أهل السنة فمعتقدهم في الماضي حقيقة موجودة وسادات الأئمة عندهم هم الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- وقد تولوا الإمامة حقًّا وكانوا أحق بها وأهلها ومعتقدهم في المستقبل عند نزول عيسى بن مريم -صلى الله عليه وسلم- حقيقة ثابتة بلا شك أيضًا، فلا عبرة بقول من قفا ما ليس له به علم وقال إن الأحاديث في المهدي لا تصح نسبتها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنها من وضع الشيعة كما تقدم الإشارة إلى هذا في أول المحاضرة.

وإذًا فإن أحاديث المهدي على كثرتها وتعدد طرقها وإثباتها في دواوين أهل السنة يصعب كثيرًا القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها إلا على جاهل أو مكابر أو من لم يمعن النظر في طرقها وأسانيدها ولم يقف على كلام أهل العلم المعتد بهم فيها، والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن من الإيمان به -صلى الله عليه

وسلم- تصديقه فيما أخبر به، وداخل في الإيمان بالغيب الذي امتـــدح الله المؤمنين به بقوله: ﴿**آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب**﴾ [البقرة: ١-٣] وداخل في الإيمان بالقدر فإن سبيل علـــم الخلق بما قدره الله أمران:

أحدهما: وقوع الشئ فكل ما كان ووقع علمنا أن الله قد شاءه؛ لأنه لا يكون ولا يقع إلا ما شاءه الله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: الإخبار بالشيء الماضي الذي وقع وبالشيء المســـتقبل قبـــل وقوعه من الذي لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم- فكل ما ثبـــت إخباره به من الأخبار في الماضي، علمنا بأنه كان على وفق خبره -صلى الله عليه وسلم-، وكل ما ثبت إخباره عنه مما يقع في المستقبل نعلم بأن الله قد شاءه وأنه لا بد وأن يقع على وفق خبره كإخباره -صلى الله عليه وسلم- بنزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- في آخر الزمـــان وإخبـــاره بخـــروج المهدي وبخروج الدجال وغير ذلك من الأخبار ، فإنكار أحاديث المهدي أو التردد في شأنه أمر خطير، نسأل الله السلام والعافية والثبات على الحق حتى الممات، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ما جاء في فتح القسطنطينية ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتحون القسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهلكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته**»(١) .

وخرج ابن ماجه قال: حدثنا علي بن ميمون الرقي قال حدثنا يعقوب الحنيني عن كثير بن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أدنى مسالح المسلمين ببولاء**» ثم قال: يا علي ، يا علي، يا علي ثم قال: يا بني قال: «**إنكم ستقاتلون بني الأصفر ويقاتلونهم الذين من بعدكم حتى يخرج إليهم روقة الإسلام أهل الحجاز الذين لا يخافون في الله لومة لائم ثم يفتحون قسطنطينية بالتسبيح والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيبوا**

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٣٤/٢٨٩٧).

مثلها حتى يقتسموا بالأترسة ، فيأتي آت فيقول: إن المسيح قد خرج إلى بلادكم ألا وهي كذبة فالآخذ نادم والتارك نادم»[1] .

وخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها ألف من بني إسحاق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها**» قال ثور: لا أعلمه قال إلا الذي في البحر. «**ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم تقول الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون**»[2] .

روى الترمذي عن أنس قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة[3]. هكذا رواه موقوفًا وقال: حديث غريب. والقسطنطينية مدينة الروم وتفتح عند خروج الدجال والقسطنطينية قد فتحت في زمن بعض أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قلت: هو عثمان بن عفان، ذكر الطبري في التاريخ له: ثم دخلت سنة سبع وعشرين ففيها كان فتح أفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح، وذلك أن عثمان -رضي الله عنه- لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحدًا إلا عن شكاية، وكان عبد الله بن أبي سرح من جند عثمان، فأمره عثمان -رضي الله عنه- على الجند ورماه بالرجال وسرحه إلى إفريقية وسرح معه عبد الله بن نافع بن قيس، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهري،

---

(١) ضعيف جدًّا: ابن ماجه في الفتن (٤٠٩٤) فيه كثير بن عبد الله وهو كذاب.

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٢٠).

(٣) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢٣٩).

فلما فتح عبد الله أفريقية خرج عبد الله وعبد الله إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان -رضي الله عنه- إلى من انتدب إلى الأندلس:

أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء في الأجر فيقال: إنها فتحت في تلك الأزمان، وستفتح مرة أخرى كما في أحاديث هذا الباب والذي قبله ، وقد قال بعض علمائنا: إن حديث أبي هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالقتال، وحديث ابن ماجه يدل على خلاف ذلك مع حديث أبي هريرة، والله أعلم.

قلت: لعل فتح المهدي يكون لها مرتين، مرة بالقتال ومرة بالتكبير، كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرتين، فإن المهدي إذا خرج بالمغرب على ما تقدم جاءت إليه أهل الأندلس فيقولون: يا ولي الله، انصر جزيرة الأندلس فقد تلفت وتلف أهلها، وتغلب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم، فيبعث كتبه إلى جميع قبائل المغرب وهم قزولة وخذالة وقذالة وغيرهم من القبائل من أهل المغرب أن انصروا دين الله وشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فيأتون إليه من كل مكان ويجيبونه ويقفون عند أمره، ويكون على مقدمته صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة الغراء وهو صاحب المهدي وناصر دين الإسلام وولي الله حقًّا، فعند ذلك يبايعونه ثمانون ألف مقاتل بين فارس وراجل قد - رضي الله عنهم - ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ فباعوا أنفسهم لله والله ذو الفضل العظيم، فيعبرون البحر حتى ينتهوا إلى حمص -وهي إشبيلية- فيصعد المهدي المنبر في المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة، فيأتي إليه أهل الأندلس فيبايعه جميع من بها من أهل الإسلام، ثم يخرج بجميع المسلمين متوجهًا إلى البلاد -بلاد الروم- فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم، يخرجها من أيدي العدو عنوة. الحديث.

وفيه: «**ثم إن المهدي ومن معه يصلون إلى كنيسة الذهب فيجدون**

فيها أموالاً، فيأخذها المهدي فيقسمها بين الناس بالسوية، ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى وعصا موسى -عليهما السلام- وهي العصا التي هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها، وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من بيت المقدس في جملة السبي حين سبى بيت المقدس، واحتمل جميع ذلك إلى كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذها المهدي، فإذا أخذ المسلمون العصا تنازعوا عليها فكل منهم يريد أخذ العصا، فإذا أراد الله تمام أهل الإسلام من الأندلس خذل الله رأيهم وسلب ذوي الألباب عقولهم، فيقسمون العصا إلى أربعة أجزاء فيأخذ كل عسكر منهم جزءًا وهم يومئذ أربعة عساكر، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم الظفر والنصر ووقع الخلاف في ذلك بينهم» قال كعب الأحبار: ويظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحر، فيبعث إليهم ملكًا في صورة إبل فيجوز بهم القنطرة التي بناها ذو القرنين لهذا المعنى خاصة، فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا إلى مدينة فارس والروم وراءهم، فلا يزالون كذلك كلما

ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك، حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراءهم، وفي حديث حذيفة: ويتملكون مصر إلى الفيوم، ثم يرجعون، والله تعالى أعلم.

فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله، وفي حديث جبريل: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[١] خرجه مسلم.

وكذلك روى الشعبي قال: لقي جبريل عيسى -عليه السلام- فقال له عيسى: متى الساعة فانتفض جبريل -عليه السلام- في أجنحته وقال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة**»[٢] .

وذكر أبو نعيم من حديث مكحول عن حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**للساعة أشراط**» قيل: وما أشراطها؟ قال: «**علو أهل الفسق في المساجد، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف**» قال الأعرابي: فما تأمرني يا رسول الله؟ قال: «**دع وكن حلسًا من أحلاس بيتك**»[٣].

غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث حمزة النصيبي عن مكحول.

قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم.

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها، فمنها: خروج

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (١/٨).

(٢) ضعيف : السيوطي في الدر المنثور (٦/١٥٠) وعزاه إلى عبد بن حميد وأبو الشيخ في تفسيرهما.

(٣) ضعيف جدًا: أبو نعيم في الحلية (٥/١٨٧، ١٨٨) فيه حمزة بن أبي حمزة منكر الحديث.

الدجال، ونزول عيسى، وقتله الدجال، ومنها خروج يأجوج ودابة الأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها هذه هي الآيات العظام على ما يأتي بيانه.

وأما ما يتقدم من هذه: قبض العلم وغلبة الجهل واستيلاء أهله وبيع الحكم وظهور المعازف واستفاضة شرب الخمور واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال وإطالة البنيان وزخرفة المساجد وإمارة الصبيان ولعن آخر هذه الأمة أولها وكثرة الهرج، فإنها أسباب حادثة، ورواية الأخبار المنذرة بها بعدما صار الخبر بها عيانًا تكلف، لكن لابد من ذكرها حتى يوقف عليها ويتحقق بذلك معجزة النبي -صلى الله عليه وسلم- وصدقه في كل ما أخبر به -صلى الله عليه وسلم-.

قول النبي ﷺ: بعثتُ أنا والسّاعة كهَاتَين

روى مسلم عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى**»[1] .

وروى من طرق أخرجها البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه رضي الله عنهم، ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقريب من الساعة التي هي القيامة ، وسرعة مجيئها وهذا كما قال الله تعالى: ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾ [محمد: ١٨] وقوله: ﴿**وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**﴾ [النحل: ٧٧] وقوله تعالى: ﴿**اقترب للناس حسابهم**﴾ [الأنبياء: ١] وقوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ [القمر: ١] وقال: ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾ [النحل: ١].

ويروى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿**أتى أمر الله**﴾ وثب ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿**فلا تستعجلوه**﴾ جلس. قال بعض العلماء : إنما وثب عليه الصلاة والسلام خوفًا من أن تكون الساعة قد

---

(١) صحيح: البخاري في التفسير (٤٩٣٦)، ومسلم في الفتن (١٣٤/٢٩٥١)، والترمذي في الفتن (٢٢١٤) وابن ماجه في الفتن (٤٠٤٠).

قامت، وقال الضحاك والحسن: أول أشراطها محمد -صلى الله عليه وسلم-، وروى موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال عليّ رضي الله عنه: من اقتراب الساعة ظهور البواسير وموت الفجاءة[1].

إن قيل: ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل جبريل عن الساعة فقال: ((**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**))، الحديث. فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم، ورويتم عنه أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وهذا يدل على أنه كان عالمًا فكيف يتألف الخبران؟ قيل له: قد نطق القرآن بقوله الحق: ﴿**قل إنما علمها عند ربي**﴾ [الأعراف: ١٨٧] الآية فلم يكن يعلمها هو ولا غيره، وأما قوله: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» فمعناه أنا النبي الأخير فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع أخرى، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها وهي مع ذلك كائنة لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال: ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾ أي دنت، وأولها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي ثم بين -صلى الله عليه وسلم- ما يليه من الأشراط، فقال: «**أن تلد الأمة ربتها**» إلى غير ذلك مما سنذكره ونبينه بحول الله تعالى في أبوابه إن شاء الله تعالى.

---

(١) ضعيف: فيه انقطاع لأن علي زين العابدين لم يدرك عليًّا رضي الله عنه.

أمور تكون بين يدي الساعة

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم ويكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني كنت مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين: ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها**»(١) .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة في حديث واحد، ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط في عموم إنذار النبي - صلى الله عليه وسلم- بفساد الزمان وتغيير الدين وذهاب الأمانة ما يغني عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة. من ذلك حديث ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أن في سنة مائتين يكون كذا وكذا، وفي العشر والمائتين يكون كذا وكذا. وفي العشرين كذا ، وفي

---

(١) صحيح: البخاري في الفتن (٧١٢١).

الأربعين كذا، وفي الخمسين كذا، وفي الستين والمائتين تعتكف الشمس ساعة فيموت نصف الجنة والإنس، فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة، وهذا شيء يعم وسائر الأمور التي ذكرت قد تكون في بلدة وتخلو منه أخرى، فهذا عكوف الشمس لا يخلو منه أحد في شرق ولا غرب، فإن كان المائتين من الهجرة فقد مضت، وإن كان من موت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد مضت وأيضًا دلالة أخرى على أنه مفتعل: أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإنما وضعوه على عهد عمر -رضي الله عنه- فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقال في سنة مائتين أو سنة عشرين ومائتين ولم يكن وضع الشيء من التاريخ؟

وكذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((إذا كانت سنة تسع وتسعين وخمسمائة يخرج المهدي في أمتي على خلاف من الناس يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلمًا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويفتح الله له كنوز الأرض، وتنزل السماء قطرها، وتخرج الأرض ثمرها، ويزرع الزارع في الأرض صاعًا فيصيب مائة صاع، ويذهب الغلاء والقحط والجوع عن الناس، ويجوز إلى الأندلس ويقيم فيها ويملكها تسع سنين، ويستفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم ويغنم رومية وكنيسة الذهب، فيجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى وعصا موسى عليها السلام، فيكسرون العصا على أربعة أجزاء، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم النصر والظفر، ويخرج عليهم ذو العرف في مائة ألف مقاتل ، بعد أن يتحالف الروم أنهم لا يرجعون أو يموتون، فينهزم المسلمون حتى يأتوا سرقسطة البيضاء، فيدخلوها بإذن الله تعالى ويكرم الله من فيها بالشهادة ولا يكون للمسلمين بعد خراب سرقسطة سكنة ولا قرار بالأندلس، وينتهون إلى قرطبة فلا يجدون فيها**

أحدًا لما أصاب الناس من شدة الفزع من الروم يهربون من الأندلس يريدون العدو، فإذا اجتمعوا على ساحل البحر ازدحموا على المراكب فيموت منهم خلق كثير، فينزل الله إليهم ملكًا في صورة إبل فينجو من نجا ويغرق من غرق)).

قلت: كل ما جاء في هذا الحديث فمذكور في حديث حذيفة وغيره، وإنما المنكر فيملك الروم والأندلس إلى خروج الدجال.

ومنه تعيين التاريخ وقد كان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ولم يكن شيء من ذلك، بل كان بالأندلس تلك السنة وقعة الأرك التي أهلك الله فيها الروم، ولم يزل المسلمون في نعمة وسرور إلى سنة تسع وستمائة فكانت فيها وقعة العقاب هلك فيها كثير من المسلمين، ولم يزل المسلمون في تلك الوقعة بالأندلس يرجعون القهقرى إلى أن استولى عليهم العدو وغلبهم بالفتن الواقعة بينهم والتفصيل يطول، ولم يبق الآن من الأندلس إلا اليسير، فنعوذ بالله من الفتن والخذلان والمخالفة والعصيان وكثرة الظلم والفساد والعدوان، والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب أن ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الفتن والكوائن أن ذلك يكون ، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أي سنة هي ولا أي شهر، إما أنها تكون في يوم جمعة في آخر ساعة منه وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام، ولكن أي جمعة لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يعلم، والله أعلم.

وقد سمعت من بعض أصحابنا: أن ما وقع في التاريخ في حديث أبي سعيد الخدري إنما ذلك بعد المائة التي قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إن يعش هذا الغلام فعسى أن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**»[1] .

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٥٣/١٣٧).

وفي رواية: قال أنس ذلك الغلام من أتراب البيت يومئذ[1]. خرجه مسلم.

وفي حديث جابر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما على الأرض نفس منفوسة -يعني مخلوقة- اليوم يأتي عليها مائة سنة**»[2] قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح.

ومعلوم أن أنس توفي في عشر المائة بالبصرة، فعلى هذا يكون سنة سبع وتسعين وستمائة وهذا لم يجئ بعد، فالله تعالى أعلم.

قال المؤلف رحمه الله: وبحديث أبي سعيد الخدري وابن عمر وجابر استدل بهز قال: إن الخضر ميت ليس بحي، وقال الثعالبي في كتاب العرائس: والخضر عليه السلام على جميع الأقوال نبي معمر محجوب عن الأبصار.

وذكر عن عمرو بن دينار قال : إن الخضر وإلياس لا يزالان يحييان في الأرض، فإذا رفع القرآن ماتا، وهذا هو الصحيح في الباب على ما بيناه في سورة الكهف من كتاب (جامع أحكام القرآن) والحمد لله[3].

وأما الثلاث عشرة خصلة، فقد ظهر أكثرها، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة**» يريد فيه معاوية وعليًا كرم الله وجهه بصفين، وقد تقدم الإشارة إليهما قال القاضي أبو بكر بن العربي وهذا أول خطب طرق في الإسلام.

قلت: بل أول أمر دهم الإسلام موت النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم بعده موت عمر، فبموت النبي -صلى الله عليه وسلم- انقطع الوحي وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه، قال أبو سعيد: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أنكرنا قلوبنا.

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٥٣/١٣٨).

(٢) صحيح: مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٨/٢٢٠) والترمذي في الفتن (٢٢٥٠).

(٣) هذا الكلام لا دليل عليه من الكتاب أو السنة الصحيحة، وهذه المعتقدات هي بعض شطحات الصوفية المغالين.

وقال أبو بكر الصديق في أبيات يرثى بها النبي -صلى الله عليه وسلم-:

فلتحدثن حوادث من بعده ... تعني بهن جوانح وصدور

وقالت صفية بنت عبد المطلب في أبيات ترثي بها النبي -صلى الله عليه وسلم-:

لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكن ما أخشى من الهرج آتيا

وبموت عمر سل سيف الفتنة وقتل عثمان، وكان من قضاء الله وقدره ما يكون، وكان على ما تقدم، وقوله: ((**حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين**)).

الدجال يطلق في اللغة على أوجه كثيرة يأتي ذكرها، أحدهما: الكذاب كما جاء في هذا الحديث.

وفي صحيح مسلم: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون**»[1]. الحديث. ولا يجمع ما كان على فعال جمع التكسير عند الجماهير من النحويين لئلا يذهب بناء المبالغة منه، فلا يقال إلا دجالون، كما قال عليه الصلاة والسلام، وإن كان قد جاء مكسرًا وهو شاذ أنشد سيبويه لابن مقبل:

إلا الإفادة فاستولت ركائبنا ... عند الجبابر بالبأساء والنقم

وقال مالك بن أنس في محمد بن إسحاق: إنما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة. قال عبد الله بن إدريس الأودي: وما عرفت أن دجالاً يجمع على دجلة حتى سمعنا من مالك بن أنس.

وقوله: (قريب من ثلاثين). قد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تكون في أمتي دجالون كذابون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي**»[2]

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (١٥٧/٨٤).

(٢) ضعيف: أبو نعيم في الحلية (١٧٩/٤) فيه أبو معشر وهو ضعيف.

خرجه أبو نعيم الحافظ وقال: هذا حديث غريب. تفرد به معاوية بن هشام ووجد في كتابه بخط أبيه: حدث به علي بن المديني أحمد بن حنبل عن علي بن المديني.

وقال القاضي عياض: هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبأ من زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته، لوجد هذا العدد فيهم ومن طالع كتاب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.

وقوله: (حتى يقبض العلم). فقد قبض العمل به ولم يبق إلا رسمه على ما يأتي بيانه، وقوله: وتكثر الزلازل. فقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي أنه وقع منها بعراق العجم كثير، وقد شاهدنا بعضها بالأندلس وسيأتي.

وقوله: ويتقارب الزمان قيل: المعنى يتقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، كما هو اليوم لغلبة الفسق وظهور أهله، وفي الحديث: «**لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فإذا تساووا هلكوا**» يعني: لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف الله - عز وجل- يلجأ إليهم عند الشدائد ويستسقى بآرائهم ويتبرك بدعائهم وآثارهم، وقيل غير هذا حسبما تقدم في باب: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه.

وقوله: (حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته) هذا مما لم يقع بل يكون على ما يأتي ورب مفعول به ومن يقبل فاعل يهم، يقال: أهمني ذلك الأمر أحزنني وأقلقني وهمه يهمه إذا بالغ في ذلك وقوله: حتى يتطاول الناس في البنيان هذا مشاهد في الوجود ومشاهدته تغني عن الكلام فيه.

وقوله: حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: (يا ليتني مكانه). ذلك لما يرى من عظيم البلاء وربح الأعداء وغبن الأولياء ورئاسة الجهلاء وخمول

العلماء واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم والجهر بالمعاصي واستيلاء الحرام على أموال الخلق والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حق، كما في هذا الزمان، وقد تقدم أول الكتاب حديث أبي عيسى الغفاري عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**بادروا بالأعمال ستًا**» الحديث.

وروى الأعمش سليمان بن مهران، عن عمرو بن مرة، عن أبي نضرة، عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر -رضي الله عنه-: يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ كما يغبط اليوم أبو عشرة، ويغبط الرجل باختفائه عن السلطان وجفائه عنه كما يغبط اليوم بمعرفته إياه وكرامته عليه ، وحتى تمر الجنازة في السوق على الجماعة فينظر إليها الرجل تهتز بهذا رأسه، فيقول يا ليتني مكان هذا، قال: قلت: يا أبا ذر، وإن ذلك من أمر عظيم؟ قال: يا بن أخي عظيم عظيم.

قلت: هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق، وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق، فباعوا الأحكام ورضي بذلك منهم الحكام فصار الحكم مكسًا، والحق مكسًا لا يوصل إليه ولا يقدر عليه، بدلوا دين الله وغيروا حكم الله ﴿**سماعون للكذب أكالون للسحت**﴾ ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[المائدة:٤٤] و﴿**الظالمون**﴾[المائدة: ٤٥] و﴿**الفاسقون**﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار خاصة كلها، وقيل عامة: فيمن بدل حكم الله وغيره، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»(١) .

ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات له:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   **وأحبار سوء ورهبانها**

---

(١) صحيح: البخاري في الاعتصام (٧٣٢٠) ومسلم في العلم (٦/٢٦٦٩).

وقوله: «**حتى تطلع الشمس من مغربها**» إلى آخره. يأتي القول فيه إن شاء الله تعالى. واللقحة: الناقة الغزيرة اللبن، ويليط: يصلح. يقال: لاط حوضه يليطه ويلوطه ليطًا ولوطًا، إذا لطخه بالطين وأصلحه ، والأكلة بضم الهمزة اللقمة، فإذا كانت بمعنى المرة الواحدة فهي بالفتح لأنها مصدر، وهي المرة الواحدة من الأكل كالضربة من الضرب، فأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه يعاجله من أمر الساعة ما يمنع من تمام فعله، واقترب من ذلك رفع الأكلة وهي اللقمة إلى فيه فتقوم الساعة دون بلوغها إليه، وكذلك القول في المتبايعين من نشر الثوب وطيه، فاعلمه.

روى أبو نعيم الحافظ عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**سيكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة**»[1].

هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف ابن عطية عن ثابت وهو قاض بصري في حديثه نكارة.

قلت: صحيح المعنى لما ظهر في الوجود من ذلك. وقال مكحول: يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة الحمار.

وقد خرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال: حدثنا أبي -رحمه الله- قال: حدثنا حوشب بن عبد الكريم : حدثنا حماد بن زيد عن أبان عن أنس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: «**يكون في آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الأنتنون، ثم تظهر قلانس البرد فلا يستحي يومئذ من الزنا، والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمرة والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين**» قالوا: منا أو منهم. قال: «**بل منكم**»[2] .

---

(١) ضعيف جدًا: الحاكم في المستدرك (٣١٥/٤) قال الذهبي: يوسف بن عطية هالك.

(٢) ضعيف جدًا: الحكيم الترمذي في النوادر (١٣٢/٢) فيه أبان بن أبي عياش

وأخرج الدارمي أبو محمد قال: أخبرنا محمد بن المبارك: حدثنا صدقة ابن خالد ، عن ابن جابر، عن شيخ يكنى أبا عمرو، عن معاذ بن جبل قال: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطهم خوف إن قصدوا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئًا[1] .

وقد تقدم في باب ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾ [البقرة: ٢٤، التحريم٦] حديث العباس بن عبد المطلب وفيه: «**ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن فإذا قرءوه قالوا: من أقرأ منا من أعلم منا** » ثم التفت إلى أصحابه فقال: «**هل ترون في أولئك من خير؟**» قالوا: لا، قال: «**أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار**» .

خروج نار من أرض الحجاز

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات دوس حول ذي الخلصة**»[2] وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية.

وعنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تذهب الليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه**»[3].

في غير مسلم : «**رجل من الموالي يقال له جهجاه**» فسقط في رواية الجلودي: من الموالي، وهو خطأ. وعنه أن رسول الله -صلى الله عليه

=

متروك.

(١) ضعيف: الدارمي في فضائل القرآن (٣٣٤٦).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠٦/٥١).

(٣) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩١١/٦١).

وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»[1] .

وخرج البخاري ومسلم عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[2] .

روى الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة**» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**عليكم بالشام**»[3] قال: حديث حسن غريب. صحيح من حديث ابن عمر.

روى البخاري عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»[4] .

روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم**»[5] .

قال: هذا حديث غريب خرجه ابن ماجه أيضًا.

وذكر عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن أشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فقعد الذئب على تل فأقعى واستقر وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني، فقال

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩١٠/٦٠).

(٢) صحيح: البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢).

(٣) صحيح: الترمذي في الفتن (٢٢١٧).

(٤) صحيح: البخاري في الأنبياء (٣٣٢٩).

(٥) ضعيف: الترمذي (٢١٧٠) وابن ماجه (٤٠٤٣).

الرجل: بالله إن رأيت اليوم، ذئب يتكلم!! فقال الذئب: أعجب من هذا الرجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، قال: فكان الرجل يهوديًا، فجاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبره وأسلم فصدقه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إنها أمارات بين يدي الساعة قد يوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده**»[1] .

ويروى هذا عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري وفيه: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**صدق الراعي، ألا إن من أشراط الساعة كلام السباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بحديث أهله بعده**»[2] .

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده**»[3] قال: هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون.

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: حكم أبو عيسى بصحته ونظرنا سنده دون أن نقلده فوجدنا له علة، قال أبو عيسى: حدثنا سفيان بن وكيع: حدثنا أبي، عن القاسم بن الفضل قال: حدثنا أبو نضرة العبدي، عن أبي سعيد الخدري فذكره.

قال ابن دحية: سفيان بن وكيع لم يخرج له البخاري ومسلم حرفًا

---

(١) حسن: عبد الرزاق (٢٠٨٠٨).

(٢) صحيح: أحمد في المسند (٣/٨٣، ٨٤).

(٣) صحيح: الترمذي في الفتن (٢١٨١).

واحدًا في صحيحيهما، وذلك بسبب وراق كان له يدخل عليه الحديث الموضوع، يقال له: قرطمة.

قال البخاري: يتكلمون في سفيان لأشياء لقنوه إياها.

وقال أبو محمد بن عدي: كان سفيان إذا لقن يتلقن، فهذه علة الحديث التي جهلها أبو عيسى الترمذي.

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض وحتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»**[1].

حول ذي الخُلصة والخَلَصة

ثبت حديث ذي الخلصة في الصحيحين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى هذا البيت قال جرير: فنفرت إليها مائة وخمسين من أحمس فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده.

قال أبو الخطاب بن دحية: وذو الخُلصة -بضم الخاء واللام- في قول أهل اللغة والسير وبفتحها قيدناه في الصحيحين، وكذا قال ابن هشام، وقيده الإمام أبو الوليد الكناني الوقشي -بفتح الخاء وسكون اللام-، وكذا قال ابن زيد، واختلف فيه فقيل: هو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب، وقيل: هو صنم كان عمرو بن لحي نصبه بأسفل مكة حتى نصبت الأصنام في مواضع شتى، وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وقيل: ذي الخلصة هي الكعبة اليمانية، فكان معناهم في تسميتها بذلك أن عبادته خالصة، والمعنى المراد بالحديث أنهم يرتدون ويردعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فترسل نساء دوس طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك في آخر الزمان، وذلك بعد موت

---

(١) صحيح: مسلم في الزكاة (١٥٧/٦٠).

جميع من في قلبه مثقال حبة من إيمان وهو كما جاء عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى**»[1] الحديث وسيأتي بكماله.

وقوله: يسوق الناس بعصاه، كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم، وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه كما تساق الإبل والماشية، وذلك لشدة عنفه وعدوانه ولعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يُقال له: الجهجاه، وأصل الجهجهة الصياح بالسبع، يقال: جهجهت بالسبع أي زجرته بالصياح ويقال: جهجه عني، أي انته. وهذه الصفة توافق ذكر العصا، والله أعلم.

وثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من رواية عائذ بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن شر الرعاة الحطمة**»[2] والرعاة في اللغة جمع راع، وضرب رسول الله بهذا مثلاً لوالي السوء؛ ولأن الحطمة هو الذي يعنف بالإبل في السوق والإيراد والإصدار، فيحطمها أي يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شيء، وسواق حطم كذلك يعنف في سوقه.

وقوله: حتى تخرج نار من أرض الحجاز، فقد خرجت نار عظيمة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة، وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربعة وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت وظهرت النار بقرطبة عند قاع التنعيم بطرف الحرة يحيط بها قرى في صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون البلدان، عليها سور يحيط بها عليه شرفات كشرفات الحصون وأبراج ومآذن، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٥٢/٢٩٠٧).

(٢) صحيح: مسلم في الإماة (٢٣/١٨٣٠).

إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور والجبال بين يديه، وينتهي إلى البحرة محط الركب العراقي، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة، وكان يلي المدينة ببركة النبي -صلى الله عليه وسلم- نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر ، وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها، قال لي بعض أصحابنا: ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة.

قلت: وسمعت أنها رئيت من مكة ومن جبال بصرى من بعد هذه النار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرقت جميع الحرم، حتى إنها أذابت الرصاص الذي على العمد، فوقعت ولم يبق غير السور واقفًا، ونشأ بعد ذلك أخذ بغداد بتغلب التتر عليها، فقتل من كان فيها وسباه وذلك عمود الإسلام وماؤه، فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن، فانتشر التتر في البلاد وبقي الناس حيارى سكارى بغير خليفة ولا إمام ولا قضاء فزادت المحنة وعظمت الفتنة لم يتدارك الله سبحانه بالعفو والفضل والمنة، أما قوله: وستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل القيامة فلعلها النار التي جاء ذكرها في حديث حذيفة ، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لتقصدنكم اليوم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برجوت ، يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بين الأرض والسماء دوي كدوي الرعد القاصف، هي من رءوس الخلائق أدنى من العرش**» قلت: يا رسول الله، هي يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: «**وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ هم شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول: مه مه**»[1] .

---

(١) ضعيف: أبو نعيم في الحلية (١٩٢/٥، ١٩٣) فيه يحيى بن سعيد وهو ضعيف.

كذا رواه أبو نعيم الحافظ في باب مكحول أبي عبد الله إمام أهل الشام عن أبي سلمة عنه عن حذيفة.

وقوله : «**عذبة سوطه**» يريد السير المعلق في طرف السوط. وفي هذا الحديث ما يرد على كفرة الأطباء والزنادقة الملحدين، وأن الكلام ليس مرتبطًا بالهيبة والبلة، وإنما الباري جلت قدرته متى شاء في أي شاء من جماد أو حيوان على ما قدره الخالق الرحمن فقد كان الحجر والشجر يسلمان عليه -صلى الله عليه وسلم- تسليم من نطق وتكلم. ثبت ذلك في غير ما حديث، وهو قول أهل أصول الدين في القديم والحديث، وثبت باتفاق حديث البقرة والذئب، وأنهما تكلما على ما أخبر عنهما -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين قاله ابن دحية.

وقوله: «**حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**» إخبار عن خروج عادتهم من إنتاج الكلأ ومواضع العشب بحفر الأنهار وغرس الأشجار وبناء الديار.

روى أبو عمر بن عبد البر، عن أبي مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة وفشو التجارة، حتى تعيب المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق**»(١).

قال أبو عمر بن عبد البر: أما قوله: «**وفشو القلم**» فإنه أراد ظهور الكتاب وكثرة الكتاب، خرجه أبو جعفر الطحاوي بلفظه ومعناه، إلا أنه قال: (حتى تعين المرأة) بدل: تعيب، ولم يذكر: (وقطع الأرحام). ذكره أبو محمد عبد الحق.

---

(١) صحيح: أحمد (١/٤٠٧) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٩): رجاله رجال الصحيح.

وخرج أبو داود الطيالسي قال: حدثنا ابن فضالة عن الحسن قال: قال عمرو بن ثعلبة سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا كأن وجوههم المجان المطرقة، وإن من أشراط الساعة أن تكثر التجارة، ويظهر القلم**»[1] .

وذكر ابن المبارك وبن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويفيض المال ويظهر القلم وتكثر التجارة**» .

قال الحسن: لقد أتى علينا زمان إنما يقال: تاجر بني فلان وكاتب بني فلان ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد.

وذكره أبو داود الطيالسي، عن عبد الله بن مسعود قال: كان يقال: إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة ، وأن يتجر الرجل وامرأته جميعًا ، وأن تغلو مهور النساء والخيل، ثم ترخص فلا تغلو إلى يوم القيامة.

---

(١) صحيح: أبو داود الطيالسي (١١٧١).

قلة العلم وظهور الجهل

روى البخاري عن معاوية قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**»[1] أخرجه مسلم من حديث أنس.

روى مسلم عن أبي موسى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب لا يجد أحداً يأخذها منه**» قال: «**ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء**»[2].

قوله: «**ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة**» يريد -والله أعلم- أن الرجال يقتلون في الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل، فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن، كما قال في الحديث الآخر قبله: (حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) الذي يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء، وقد كان هذا عندنا أو قريبًا منه بالأندلس. وقيل: إن لقلة الرجال وغلبة الشبق على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل امرأة تقول : أنكحني أنكحني، والأول أشبه، ويكون معنى يلذن يستترن ويتحرزن من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة.

ولقد أخبرني صاحبنا أبو القاسم - رحمه الله - أخو شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر -رحمه الله-: أنه ربط نحواً من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في حبل واحد مخافة سبي العدو حتى خرجوا من قرطبة أعادها الله، وأما ظهور الزنا فذلك مشهور في كثير من الديار المصرية ، من ذلك مأثور، ومن ذلك إظهار الخمر والماخور نعوذ بالله من الفتن وما ظهر منها وما

---

(١) صحيح: البخاري في العلم (٨١) ومسلم في العلم (٩/٢٦٧١).

(٢) صحيح: مسلم في الزكاة (٥٩/١٠١٢).

بطن، وأما قلة العلم، وكثرة الجهل، فذلك شائع في جميع البلاد ذائع -أعني برفع العلم قلة العلم به- كما قال عبد الله بن مسعود: ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه، ولكن إقامة حدوده. ذكره ابن المبارك وسيأتي هذا المعنى مبينًا مرفوعًا إن شاء الله تعالى.

كيف يقبض العلم

روى البخاري ومسلم -رحمهما الله- عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون**»(1) .

وفي رواية: «**حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(2).

انتزاعًا: مصدر من غير اللفظ، كما قال الله -عز وجل-: ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتًا**﴾ [نوح: ١٧].

روى أبو داود عن سلامة بن الحر، قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ومن أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدوا إمامًا يصلي بهم**»(3) .

روى الأئمة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**» .

وفي رواية: «**عن جبل من ذهب**»(4) . لفظ البخاري ومسلم.

---

(١) صحيح: البخاري في العلم (١٠٠).

(٢) صحيح: مسلم في العلم (١٣/٢٦٧٣).

(٣) ضعيف: أبو داود في الصلاة (٥٨١). فيه أم غراب مجهولة.

(٤) صحيح: البخاري في الفتن (٧١١٩) ومسلم في الفتن (٣٠/٢٨٩٤).

وقال مسلم في رواية: «**فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسع وتسعون ويقول كل واحد منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو**»[1].

وقال ابن ماجه: «**فيقتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة**»[2].

وخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه لا يأخذون منه شيئًا**»[3].

لم يذكر الترمذي السارق وقطع يده، وقال: حديث حسن غريب.

قال الحليمي -رحمه الله- في كتاب (منهاج الدين) له: وقال عليه الصلاة والسلام: «**يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**» فيشبه أن يكون في آخر الزمان، الذي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد، وذلك زمن عيسى عليه السلام، فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين، ويحتمل أن يكون نهيه عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراطه ، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار مع ذلك جهل واغترار، ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا، ويحتمل أن يكون لا يجري به مجرى المعدن، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه، فكان الانقباض عنه أولى.

قال المؤلف رحمه الله: التأويل الأوسط هو الذي يدل عليه الحديث، والله أعلم.

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٩٤/٢٩).

(٢) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٤٦).

(٣) صحيح: مسلم في الزكاة (١٠١٣/٦٢) والترمذي في الفتن (٢٢٠٨).

ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة

روى البخاري عن أبي هريرة: قال بينما نحن عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين السائل عن الساعة؟**» قال: هأنذا يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»(١) .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله: الرواية الصحيحة عند جميع رواة البخاري: «**إذا وسد**» ورواه الفقيه الإمام المحدث أبو الحسن القابسي: «**أسد**» قال: والذي أحفظ «**وسد**» وفي نسخة من البخاري إشكال بين وسد أو أسد على ما قيد له لأنه كان أعمى وهما بمعنى، قال أهل اللغة: يقال إساد ووساد واشتقاقهما واحد، يقال: إساد ووسادة ووساد فمعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله**» أي: أسند وجعل إليهم وقلدوه بمعنى الإمارة، كما في زماننا اليوم؛ لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(٢) فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر في أمور الأمة، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم.

وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال: أخبرنا عن الساعة قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في**

---

(١) صحيح: البخاري في العلم (٥٩).

(٢) صحيح: البخاري (٢٥٥٤) ومسلم (٤٦٤٣) وأحمد (٢/٥).

البنيان» .

وفي رواية: «**إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها**»[1] .

روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع**»[2] قال: حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو.

وخرج الغيلاني أبو طالب محمد: حدثنا أبو بكر والشافعي: حدثنا موسى بن سهل بن كثير، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عبدالملك ابن قدامة عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**» قيل: يا رسول الله، وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه ينطق في أمر العامة**»[3] .

وقال أبو عبيد: التافه: الرجل الخسيس الخامل من الناس، وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه قال : ومما يثبت حديث الرويبضة الحديث الآخر أنه قال: «**من أشراط الساعة أن ترى رعاء الشاه رءوس الناس، وأن العراة الحفاة يتبارون في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها**».

وذكر أبو عبيد في الغريب له في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين ويؤتمن**

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (٨/١).

(٢) حسن: الترمذي في الفتن (٩).

(٣) حسن لغيره: ابن ماجه في الفتن (٤٠٣٦) وأحمد (٢٩١/٢) والحاكم في المستدرك (٤٦٥/٤).

الخائن، ويهلك الوعول ويظهر التحوت» قالوا: يا رسول الله، وما الوعول وما التحوت؟ قال: «**الوعول وجوه الناس والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم**» .

وأسند أبو نعيم عن حذيفة مرفوعًا: «**من أشراط الساعة، علو أهل الفسق في المساجد، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف**» فقال أعرابي: فما تأمرني يا رسول الله؟ قال: «**دع وكن حلسًا من أحلاس بيتك**» وفي معناه أنشدوا:

أيا دهر أعملت فينا أذاكا ... ووليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رءوسا ... وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت عاديتنا ... فها قد صنعت بنا ما كفاكا

وقال آخر:

ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضًا ليدفع مغرور عن معور

قال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الباب وغيره مما تقدم ويأتي قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه، فوسد الأمر إلى غير أهله وصار رءوس الناس أسافلهم عبيدهم وجهالهم فيملكون البلاد والحكم في العباد، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان، فلا يسمعون موعظة ولا ينزحون عن معصية، فهم صم بكم عمي، قال قتادة: صم عن استماع الحق، بكم عن التكلم به، عمي عن الإبصار له ، وهذه صفة أهل البادية والجهالة.

والبهم: جمع بهيمة، وأصلها صغار الضأن والمعز، وقد فسروه في الرواية الأخرى في قوله (رعاء الشاه) وقوله: (وأن تلد الأمة ربها) وفي رواية: (ربتها) تأنيث رب أي سيدها، وقال وكيع: هو أن تلد العجم العرب، ذكره ابن ماجه في السنن.

قال علماؤنا: وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفر فيكثر

التسري فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلتـــه بأبيـــه، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة اســـتيلاء المســـلمين، واتســـاع خطتهم وكثرة الفتوح ، وهذا قد كان، وقيل: وهو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك، فيتداول الملاك المستولدة، فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربها وعلى هذا الذي يكون من أشراط الساعة غلبة الجهل بتحريـــم بيع أمهات الأولاد وهم الجمهور.

وقيل: المراد أن يكثر العقوق في الأولاد ، فيعامل الولد أمـــه معاملـــة السيد أمته من الإهانة والسب، ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي هريـــرة: المرأة مكان الأمة ، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**حتى يكون الولد غيظًـــا**» وسيأتي إن شاء الله تعالى.

قلت: وهذا ظاهر في الوجود من غير نكير مستفيض وشهير، وقيـــل: إنما كان سيدها وربها لأنه كان سبب عتقها، كما قـــال -عليـــه الصـــلاة والسلام- في مارية: «**أعتقها ولدها**»[1] .

وقول خامس: سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوي المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابن حجة يقوله غير مرة، وهو الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان التي قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرها مـــن البلـــدان، فتسبى المرأة وهي حبلى أو ولدها صغير فيفرق بينهما فيكبر الولـــد فربمـــا يجتمعان ويتزوجها كما قد وقع من ذلك كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويدل على هذا قوله: إذا ولدت المرأة بعلها، وهـــذا هـــو المطـــابق للأشراط مع قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض**»[2] والله أعلم.

---

(١) ضعيف: ابن ماجه في العتق (٢٥١٦) فيه الحسين بن عبد الله وهو ضعيف.

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٨٩٨/٣٥، ٣٦).

إذا فعلت هذه الأمة خمس عشرة خصلة حل بها البلاء

روى الترمذي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء**» قيل: وما هي يا رسول الله، قال: «**إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفًا أو مسخًا**»[1]. قال: هذا حديث غريب وفي إسناده فرج بن فضالة وضعف من قبل حفظه.

وخرج أيضًا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فساقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو زلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات متتابعات كنظام بالٍ قطع سلكه فتتابع**»[2]. قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

روى أبو نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير**» قيل: يا رسول الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ويصومون؟ قال: نعم، قيل: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: «**يتخذون المعازف والقينات**

---

(١) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢١٠).

(٢) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢١١).

والدفوف ويشربون الأشربة فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير»[1] .

ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يضرب على رءوسهم بالدفوف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»**[2] .

وخرجه أبو داود عن مالك بن أبي مريم قال: دخلنا على عبد الرحمن ابن غنم فتذاكرنا الطلاء قال: حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها»**[3] زاد ابن أبي شيبة: «**يضرب على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض»**[4] .

قال أبو محمد عبد الحق: رويناه جميعًا من حديث معاوية بن صالح الحمصي، وقد ضعفه قوم منهم يحيى بن معين ويحيى بن سعيد فيما ذكره ابن أبي حاتم وقال أبو حاتم فيه: حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به، ووثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة.

روى البخاري عن أبي مالك الأشعري أو عن أبي عامر سمع النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليكونن ناس من أمتي يستحلون الحر والحرير والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عالم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»**[5] .

---

(١) ضعيف: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/١١٩) فيه سليمان بن سالم وهو ضعيف.
(٢) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٢٠).
(٣) صحيح: أبو داود في الأشربة (٣٦٨٨).
(٤) صحيح: ابن أبي شيبة (٧/٤٦٥).
(٥) صحيح: البخاري في الأشربة (٥٥٩٠).

قال المؤلف رحمه الله: هذا يصحح ما قبله من الأحاديث، والحر: هو الزنا، قاله الباهلي، ويروى: الخز -بالخاء والزاي- والصواب ما تقدم.

قصة زرنب بن برثملا

ذكر الخطيب أبو بكر أحمد عن علي، عن عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي قال: أنبأنا مالك بن أنس، عن نافع بن عمر قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة أبا معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليغيروا على ضواحيها قال: فوجه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق، فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة وسبيًا فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقهم العصر وكادت الشمس أن تئوب، قال: فألجأ نضلة الغنيمة والسبي إلى سفح الجبل، ثم قال: فأذن فقال: الله أكبر، فإذا مجيب من الجبل يجيب كبرت تكبيرًا يا نضلة، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال: كلمة الإخلاص يا نضلة، قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: هذا النذير وهو الذي بشر به عيسى عليه السلام، وعلى رأس أمته تقوم الساعة ، قال: حي على الصلاة، قال: طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها، قال: حي على الفلاح، قال: أفلح من أجاب محمدًا -صلى الله عليه وسلم- وهو البقاء لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، قال: أخلصت الإخلاص كله يا نضلة فحرم الله بها جسدك على النار ، فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا له: من أنت يرحمك الله، أملك أنت أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله أسمعنا صوتك فأرنا شخصك فإنا وفد الله ووفد رسوله ووفد عمر بن الخطاب، قال : فانفلق الجبل عن هامة كالرحاء أبيض الرأس واللحية، وعليه طمران من صوف فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قلنا: وعليك السلام ورحمته وبركاته من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا زرنب بن برثملا وصى العبد الصالح عيسى بن مريم أسكنني هذا الجبل، ودعا لي بطول البقاء إلى

نزوله من السماء، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصارى، أما إذا فاتني لقاء محمد -صلى الله عليه وسلم- فاقرءوا عمر مني السلام، وقولوا له: يا عمر، سدد وقارب، فقد دنا الأمر وأخبره بهذه الخصال التي أخبركم بها إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فالهرب الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا في غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وترك المعروف فلم يؤمر به وترك المنكر فلم ينه عنه، وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدراهم والدنانير، وكان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وطولوا المنارات، وفضضوا المصاحف، وشيدوا البناء، واتبعوا الشهوات، وباعوا الدين بالدنيا ، واستخفوا بالدماء، وقطعت الأرحام، وبيع الحكم، وأكل الربا، وصار الغنى عزاً، وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه، وركبت النساء السروج، ثم غاب عنا، قال: فكتب بذلك نضلة إلى سعد فكتب سعد إلى عمر، وكتب عمر إلى سعد: يا سعد، لله أبوك سر أنت ومن معك من المهاجرين حتى تنزلوا هذا الجبل فإذا لقيته فاقرئه مني السلام، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا أن بعض أوصياء عيسى بن مريم ناحية العراق، قال: فخرج سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل ذلك الجبل، فأقام أربعين يومًا ينادي بالأذان في كل وقت صلاة فلا جواب.

قال الخطيب: تابع إبراهيم بن رجاء أبو موسى عبد الرحمن الراسبي على روايته عن مالك وليس بثابت من حديثه.

من علامات الساعة اثنتان وسبعون خصلة

خرج أبو نعيم من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام ، ويكون الحكم ضعفًا، والكذب صدقًا، والحرير لباسًا، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجاءة، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وفاض اللئام فيضًا، وغاض الكرام غيضًا، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، إذا لبسوا مسوح الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء -يعني الدنانير- وتطلب البيضاء -يعني الدراهم-، وتكثر الخطايا، وتغل الأمراء، وحليت المصاحف ، وصورت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمور ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكًا، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وحلف بالله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم للمعرفة، وتفقه لغير الدين، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولاً والأمانة مغنمًا والزكاة مغرمًا، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع زوجته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد ، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخرًا، وبيع الحكم، وكثر الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاقًا، والمساجد طرقًا، ولعن آخر هذه الأمة**

أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وخسفًا وقذفًا وآيات» [1] . غريب من حديث عبد الله بن عمير عن حذيفة لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة.

قال المؤلف رحمه الله: وهذه الخصال قد تقدم ذكرها في أحاديث متفرقة وكلها بينة المعنى إلا قوله وجلود السباع صفاقًا، قال الجوهري: الصفاق الجلد الرقيق تحت الجلد الذي عليه الشعر.

وخرج الدارقطن: عن عامر الشعبي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا فيقال: لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يظهر موت الفجاءة**» قال الجوهري: معنى قبلاً أن يرى ساعة يطلع لعظمه، ويوضحه حديث آخر من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة، ويقال: رأيت الهلال قبلاً، وقبلا أي معاينة.

التحذير من تبديل الحق باطلاً

روى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال: حدثنا عمر بن أبي عمر قال: حدثنا هشام بن خالد الدمشقى ، عن إسماعيل بن عياش ، عن ليث، عن ابن سابط، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير**»[2]

قال أبو عبد الله : فالمسخ تغيُّر الخلقة عن جهتها ، فإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته، وحرفوا الكلم عن مواضعه فمسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق، فمسخ الله صورهم وبدل خلقهم كما بدلوا الحق باطلاً.

---

(١) ضعيف: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٣٥٨،٣٥٩) فيه فرج بن فضالة ضعيف.

(٢) ضعيف: الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/٧) فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

رفع الأمانة والإيمان من القلوب

روى الأئمة البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم واللفظ لمسلم عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال**» قال ابن ماجه: قال الطنافسي يعني وسط قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**» ولقد أتى علي زمان ما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً ليردنه على دينه ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً[1].

الجذر: بالذال المعجمة ويقال بفتح الجيم وكسرها وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجر وغيره.

والوكت: بإسكان الكاف وهو الأثر اليسير يقال: أوكتت البسرة إذا ظهرت فيها نكتة من الإرطاب وهو مصدر وكته يكته وكتاً وهو أيضاً مثل نكتة في العين وغيرها.

والمجل: هو النفخ الذي يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو محذاف أو نحوه يحتوي على ماء ثم يصلب ويبقى عقداً.

---

(١) صحيح: البخاري في الرقاق (٦٤٩٧) ومسلم في الإيمان (١٤٣/٢٣٠) وابن ماجه في الفتن (٤٠٥٣).

قال ابن دحية: قيدناه في الحديث بسكون الجيم وأجاز أهـــل اللغــة والنحو فتح الجيم مصدر مجلت يده تمجل مجلاً بفتح الجيـــم في المصـــدر إذا غلظت من العمل.

وقوله: (فنفط) أي ارتفع جلدها وانتفخ، فتراه منتـــبرًا أي منتفضًـــا، ومعناه: مرتفعًا جلده من لحمه وهو افتعال من النبر وهو الرفع ، وكل شيء رفع شيئًا فقد نبره ومنه اشتق المنبر وأراد بذلك خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه (كجمر دحرجته) يعني أطلقته فينطلق ظهر اليدين من ذلك.

وقول حذيفة: لقد أتى عليّ زمان. الحديث. يعني: كـــانت الأمانـــة موجودة، ثم قلّت في ذلك الزمان، وقوله: (ليردنه على ساعيه) يعني من كان رئيسًا مقدمًا فيهم واليًا عليهم أن ينصفني منه وإن لم يكن له إسلام وكل من ولي على قوم ساع لهم، وقوله: (فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا) قال أبـــو عبيدة: هو من البيع والشراء لقلة الأمانة.

ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض أول عمل يرفع من الناس

روى ابن ماجه قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيـــع قال: حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد قال: ذكـــر النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئًا قال: «**ذاك عند أوان ذهـــاب العلـــم**» قلت: يا رسول الله، كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئـــه أبناءنـــا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء منهما**»[1] .

---

(١) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٤٨) وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وخرجه الترمذي عن جبير بن نفير، عن أبي الدرجاء: قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا على شيء منه**» فقال زياد بن لبيد الأنصاري : كيف يختلس منا ونحن قد قرأنا القرآن فوالله لنقرؤه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم**»[1].

قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلاً خاشعًا، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا أعلم أحدًا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان.

وروى بعضهم هذا الحديث، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك.

قال المؤلف -رحمه الله-: خرجه بهذا الإسناد الحافظ أبو محمد عبد الغني فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال: حدثنا يحيى بن أيوب: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث قال: حدثني إبراهيم بن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير قال: حدثني عوف بن مالك الأشجعي قال: نظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى السماء يومًا وقال: «**هذا أوان رفع العلم**» فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: يا رسول الله، وكيف يرفع العلم وقد كتب في الكتب ووعته الصدور؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ...**» وذكر اليهود والنصارى وضلالتهم على ما في أيديهم من كتاب

---

(١) صحيح: الترمذي في العلم (٢٦٥٣).

الله. فذكرت ذلك لشداد بن أوس فقال: صدق عوف بن مالك، ألا أخبرك بأول ذلك: يرفع الخشوع حتى لا ترى رجلاً خاشعًا. ذكره في باب تقييد الحديث بالكتابة، وهو حديث حسن.

قلت: وقد ذكرناه في مسند زياد بن لبيد بإسناد صحيح على ما ذكره ابن ماجه وهو يبين لك ما ذكرناه من أن المقصود برفع العلم العمل به، كما قال عبد الله بن مسعود: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده ، ثم بعد رفع العمل بالعلم يرفع الرقم والكتاب ولا يبقى في الأرض من القرآن آية تتلى على ما يأتي في الباب بعد هذا.

وقد خرج الدارقطني وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**تعلموا الفرائض وعلموها للناس فإنها نصف العلم، وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتي**»[1] لفظ الدارقطني.

ولا تعارض والحمد لله، فإن الخشوع من علم القلوب، والفرائض علم الظاهر فافترقا والحمد لله.

---

(١) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٢٧١٩) والدارقطني (٤/٦٧) فيه حفص بن عمرو وهو ضعيف.

دروس الإسلام وذهاب القرآن

روى ابن ماجه قال: أخبرنا علي بن محمد قال: أنبأنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي ، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرك ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى بكتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها**» قال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً[1] .

قلت: هذا إنما يكون بعد موت عيسى -عليه السلام- لا عند خروج يأجوج ومأجوج على ما تقدم من رواية مقاتل.

وذكر أبو حامد من رفعه، فإن عيسى -عليه السلام- إنما ينزل مجدداً لما درس من هذه الشريعة فإنه يحججه على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(١) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٤٩) وفي الزوائد : إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

العشر آيات التي تكون قبل الساعة وبيان قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر:١]

روي عن حذيفة أنه قال: كنا جلوسًا بالمدينة في ظل حائط وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غرفة فأشرف علينا وقال: «**ما يجلسكم؟**» فقلنا: نتحدث. فقال: «**في ماذا؟**» فقلنا: عن الساعة، فقال: «**إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : أولها طلوع الشمس من مغربها، ثم الدخان ثم الدجال، ثم الدابة، ثم ثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، ويكون آخر ذلك نارًا تخرج من اليمن من حفرة عدن لا تدع أحدًا خلفها إلا تسوقه إلى المحشر**» ذكره القتبي في كتاب عيون الأخبار له.

وخرجه مسلم بمعناه عن حذيفة قال: اطلع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: «**لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذ قالوا**» خرجه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن، وفي رواية: «**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، وثلاث خسوفات، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم**»[١] .

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠١/٣٩) والترمذي في الفتن (٢١٨٣) وابن ماجه في الفتن (٤٠٥٥).

وفي البخاري عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»[(١)] .

روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال: حفظت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فأخرى على أثرها قريبًا منها**»[(٢)] .

وفي حديث حذيفة مرفوعًا: ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**كأني أنظر إلى حبشي أحمش الساقين أزرق العينين أفطس الأنفس كبير البطن ، وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له وهم ينقضونها حجرًا حجرًا، ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها في البحر، فعند ذلك تكون علامات منكرات طلوع الشمس من مغربها، ثم الدجال، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدابة**» وذكر الحديث.

جاءت هذه الآيات في هذه الأحاديث مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولاً، فإن الترتيب فيه بثم وليس الأمر كذلك على ما نبينه، وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضًا : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال : «**ما تذكرون؟**» قلنا: الساعة. قال: «**إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس**» .

وقال بعض الرواة في العاشرة: «**ونزول عيسى بن مريم**» وقال بعضهم: «**وريح تلقي الناس في البحر**» أخرجه مسلم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (١١٨/٢٩٤١).

فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة، وقد وقع بعضها في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-. ذكره ابن وهب وقد تقدم. وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي أنه وقع بعراق العجم زلازل وخسوفات هائلة هلك بسببها خلق كثير.

قلت: وقد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعنا من بعض مشياخنا بقرية يقال لها (قطرطندة) من قطر دانية سقط عليها جبل هناك فأذهبها.

وأخبرني أيضًا بعض أصحابنا أن قرية من أعمال برقة يقال لها (ترسة) أصابها زلزلة شديدة هدت حيطانها وسقفها على أهلها فماتوا تحتها، ولم ينج منهم إلا قليل ، ووقع في هذا الحديث دابة الأرض قبل يأجوج ومأجوج وليس كذلك، فإن أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، فإذا قتلهم الله بالنغف في أعناقهم على ما يأتي ، وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام، وخلت الأرض منه، وتطاولت الأيام على الناس، وذهب معظم دين الإسلام أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق، كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ، ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون، فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبًا لأن الله تعالى يقول: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦] فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زمانًا طويلاً. هكذا ذكره بعض العلماء.

وأما الدخان: فروي من حديث حذيفة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إن من أشراط الساعة دخانًا يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يومًا**».

فأما المؤمن: فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر: فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره، وقيل: هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة.

وروي هذا عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن أبي مليكة، والحسن وهو معنى قوله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ [الدخان:١٠].

وقال ابن مسعود في هذه الآية: إنه ما أصاب قريشًا من القحط والجهد حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء كهيأة الدخان من الجهد حتى أكلوا العظام، وقد مضت البطشة والدخان، واللزام، والحديث عنه بهذا في كتابي مسلم والبخاري وغيرهما، وقد فسر البطشة بأنها وقعة بدر.

قال أبو الخطاب بن دحية: والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين: إحداهما وقعت وكانت الأخرى ستقع وستكون، فأما التي كانت فالتي كانوا يرون فيها كهيأة دخان وهي الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشراط والعلامات، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا: ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾ [الدخان:١٢] فيكشف عنهم ثم يعودون لقرب الساعة ، وقول ابن مسعود لم يسند إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما هو من تفسيره، وقد جاء النص عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخلافه.

قال المؤلف -رحمه الله-: قد روي عن ابن مسعود أنهما دخانان، قال مجاهد : كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر

فتثقب مسامعه فتبعث عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ويبقى شرار الناس.

واختلف في البطشة واللزام، فقال أبي: هو القتل بالسيف يوم بدر، وإليه نحا ابن مسعود وهو قول أكثر الناس، وعلى هذا تكون البطشة واللزام شيئًا واحدًا، قال ابن مسعود: البطشة الكبرى وقعة بدر، وقيل: هي يوم القيامة وأصل البطش الأخذ بشدة وقع الألم، واللزام في اللغة: الفصل في القضية، وفسره ابن مسعود بأن ذلك كان يوم بدر وهو يوم البطشة الكبرى في قوله أيضًا.

وقيل: إن اللزام هو المذكور في قوله: ﴿**فسوف يكون لزامًا**﴾ [الفرقان:٧٧] وهو العذاب الدائم، وأما الدجال فيأتي ذكره في أبواب أخرى، وأما الدابة فهي التي قال الله تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**﴾ [النمل: ٨٢].

وذكر أهل التفسير أنه خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد، فتسم المؤمن فتنير وجهه، ويكتب بين عينيه مؤمن، وتسم الكافر فيسود وجهه ويكتب بين عينيه كافر ، وروي عن عبد الله بن عمر -رضي الله- عنهما أن هذه الدابة هي الجساسة على ما يأتي ذكرها في خبر الدجال، وروي عن ابن عباس أنها الثعبان الذي كان ببئر الكعبة فاختطفه العقاب، وسيأتي بيانها.

وأما قوله: وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، وفي الرواية الأخرى: من قعر عدن، وفي الرواية الأخرى: من أرض الحجاز. قال القاضي عياض: فلعلهما ناران تجتمعان لحشر الناس أو يكون ابتداء خروجهما من اليمن فظهورهما من الحجاز.

قلت: أما النار التي تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على ما تقدم القول فيها، وبقيت النار التي تسوق الناس إلى المحشر وهي التي تخرج من

اليمن وقد مضى القول في الحشر، ويأتي القول في طلوع الشمس من مغربها.

فأما قول الله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ [القمر:١] فقد روي أن أهل مكة سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آية فأراهم القمر منشقًا نصفين والجبل بينهما فقال: «**اشهدوا**»[١]. ثبت هذا في الصحيحين وغيرهما.

ومن العلماء من قال: إنه ينشق كقوله تعالى: ﴿**أتى أمر الله**﴾ [النحل:١] أي يأتي، قال الحليمي أبو عبد الله في كتاب (منهاج الدين) له: فإن كان هذا فقد أتى. ورأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقًا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا كما كانا، ولكنهما في شكل واحد شكل أترجة، ولم أمل طرفي عنهما إلى أن غابت وكان معي ليلتئذ كتيبة من شريف وفقيه وغيرهما من طبقات الناس وكلهم رأى ما رأيت، وأخبرني من وثقت به أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقًا نصفين، قال الحليمي: فقد ظهر أن قول الله ﴿**وانشق القمر**﴾ إنما خرج على الانشقاق الذي هو من أشراط الساعة دون الانشقاق الذي جعله الله آية لرسوله -صلى الله عليه وسلم-.

ما جاء أن الآيات بعد المائتين

روى ابن ماجه عن أبي قتادة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**الآيات بعد المائتين**»[٢] . وعن يزيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أمتي على خمس طبقات فأربعون سنة**

---

(١) صحيح: البخاري في المناقب (٣٦٣٦) ومسلم في صفات المنافقين (٤٣/٢٨٠٠).

(٢) ضعيف جدًّا: ابن ماجه في الفتن (٤٠٥٧) فيه عون بن عمارة العبدي وهو ضعيف.

أهل بر وتقوى، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل، ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع، ثم الهرج الهرج النجا النجا»[1] .

وفي رواية عن أبي معن عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عامًا، فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان، وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى**» ثم ذكر نحوه[2].

ما جاء فيمن يخسف به أو يمسخ

روى أبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: «**يا أنس إن الناس يمصرون أمصارًا، وإن مصرًا منها يقال لها البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها، وسوقها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف ورجف، وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير**»[3] .

وخرج ابن ماجه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام فقال له : بلغني أنه قد أحدث فإن كان أحدث فلان فلا تقرئه السلام، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يكون في أمتي أو في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**»[4] ونحوه.

عن سهل بن سعد وقد تقدمت الأخبار والأحاديث في خسف الجيش الذي يقصد مكة لقتال المهدي، خرجهما مسلم وغيره.

وكذلك تقدم حديث البخاري وغيره في باب : إذا فعلت هذه الأمة

---

(١) ضعيف جدًّا: ابن ماجه في الفتن (٤٠٥٨) فيه يزيد الرقاشي ضعيف.

(٢) ضعيف جدًّا: ابن ماجه في الفتن (٤٠٥٨) مكرر وفي الزوائد: إسناده ضعيف.

(٣) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٠٧).

(٤) حسن: ابن ماجه في الفتن (٤٠٦١).

خمس عشرة خصلة.

وذكر الثعالبي في تفسيره من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والسراة يجتمع فيها جبابرة الأرض تجبى إليها الخزائن ويخسف بها**».

وفي رواية: «**يخسف بأهلها فلهي أسرع ذهابًا في الأرض من الوتد الجيد في الأرض الرخوة يقال إنها بغداد**» وقد تقدم والله أعلم.

ذكر الدجال وصفته ونعته، ومن أين يخرج، وما علامة خروجه وما معه إذا خرج وما ينجي منه، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى

قال ابن دحية: قال العلماء: الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه:

الأول: أن الدجال الكذاب قاله الخليل وغيره وأنها دجلة بسكون الجيم، ودجلة بفتحها كذبة لأنه يدجل الحق بالباطل، وجمعه دجالون ودجاجلة في التكسير وقد تقدم.

الوجه الثاني: أن الدجال مأخوذ من الدجل، وهو طلاء البعير بالقطران سمي بذلك لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه، كما يغطي الرجل جرب بعيره بالدجالة وهي القطران يهنأ به البعير واسمه إذا فعل به ذلك المدجل قاله الأصمعي.

الوجه الثالث: إنما سمي بذلك لضربه في نواحي الأرض وقطعه لها يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

الوجه الرابع: أنه من التغطية لأنه يغطي الأرض بمجموعه، والدجل التغطية.

قال ابن دريد: كل شيء غطيته فقد دجلته منه سميت دجلة لانتشارها

على الأرض وتغطية ما فاضت عليه.

الوجه الخامس: سمي دجالاً لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة، والدجالة الدفقة العظيمة.

وأنشد ابن فارس في المجمل:

دجالة من أعظم الرقاق

الوجه السادس: سمي دجالاً، لأنه يغر الناس بشره كما يقال : لطخني فلان بشره.

الوجه السابع: الدجال: المخرق.

الوجه الثامن: الدجال: المموه قاله ثعلب، ويقال: سيف مدجل إذا كان قد طلي بالذهب.

الوجه التاسع: الدجال، ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أو عود سمي الدجال بذلك، لأنه يحسن الباطل.

الوجه العاشر: الدجال: فرند السيف، والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال بالفاء والباء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم، فعربته العرب، ولذلك قال سيبويه: وهو عندهم خارج عن أمثلة العرب، والفرند أيضًا الحرير، وأنشد ثعلب:

بحلية الياقوت والفرندا مع الملاب وعبير أصردا

أي: خالصًا، قال ابن الأعرابي: يقال للزعفران الشعر والملاب والعبير والمردقوش والحشاد . ذكر هذه الأقوال العشرة الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله في كتاب (مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين).

روى مسلم عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**» وفي رواية: «**من آخر سورة الكهف**»(١) .

(١) صحيح: مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٩/٢٥٧).

روى أبو بكر بن أبي شيبة عن الفلتان بن عاصم، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنحر فيه اندفاء**»[1] قوله فيه: اندفاء أي انحناء.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار**».

وعنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض وليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد، وأن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[2] .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: كذا عند جماعة. رواه مسلم فإما أدركن قال ابن دحية: وهو وهم فإن لفظه هو لفظ الماضي ولم أسمع دخول نون التوكيد على لفظ الماضي إلا هاهنا، لأن هذه النون لا تدخل على الفعل وصوابه ما قيده العلماء في صحيح مسلم منهم التميمي أبو عبد الله: فإما أدركه أحد.

وعن عبد الله بن عمر قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال: «**إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»[3] .

قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال تضرب لمته**

---

(١) حسن: ابن أبي شيبة (١٥/١٢٩).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٣٤/١٠٤).

(٣) صحيح: البخاري في الأنبياء (٣٤٣٩) ومسلم في الإيمان (١٦٩/٢٧٣).

بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعًا يده على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هو المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلاً جعدًا قططًا أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعًا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فقلت: من هذا قالوا: هو المسيح الدجال»(١).

روى أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الدجال أعور جعد هجان أقمر كأن رأسه غصنه شجرة أشبه الناس بعبد العزى بن قطن الخزاعي فإما أهلك الهلك فإنه أعور وأن الله ليس بأعور**»(٢).

روى أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أما مسيح الضلالة فإنه أعور العين أجلى الجبهة عريض المنحر فيه اندفاء مثل قطن بن عبد العزى**» فقال له الرجل: أيضرني يا رسول الله شبهه؟ فقال: «**لا، أنت مسلم وهو كافر**».

وخرج عن أبي بن كعب قال: ذكر الدجال عند النبي -صلى الله عليه وسلم- أو قال ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم-: الدجال فقال: «**إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعوذ بالله من عذاب القبر**».

روى الترمذي، عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة**»(٣) إسناده صحيح.

وذكر عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أبي هانئ العبدي، عن أبي

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (٢٧٤/١٦٩).

(٢) حسن: ابن أبي شيبة (١٣٢/١٥).

(٣) صحيح: الترمذي في الفتن (٢٢٣٧).

سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفًا عليهم السيجان**»(١)

والسيجان: جمع الساج وهو طيلسان أخضر، وقال الأزهري: هو المطيليل المقور بنسج كذلك.

روى الطبراني، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكره عند الدجال فقال: «**إن قبل خروجه ثلاثة أعوام تمسك السماء في العام الأول ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والعام الثاني: تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والعام الثالث: تمسك السماء قطرها والأرض نباتها، حتى لا يبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف إلا مات**»(٢) وذكر الحديث.

خرجه أبو داود الطيالسي قال: حدثنا هشام عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء وعبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء.

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة، وفي بعض الروايات بعد قوله: «**وفي السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات فما ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتًا، حتى تكون الأرض كالنحاس والسماء كالزجاج ، فيبقى الناس يموتون جوعًا وجهدًا ، وتكثر الفتن والهرج، ويقتل الناس بعضهم بعضًا، ويخرج الناس بأنفسهم ويستولي البلاء على أهل الأرض، فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حمارًا أبتر يشبه البغل ما بين أذني حماره أربعون ذراعًا ومن نعت الدجال: أنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم قطط أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق، وعينه الأخرى**

---

(١) ضعيف: عبد الرزاق في المصنف (٢٠٨٢٢).

(٢) ضعيف: الطبراني في الكبير (١٥٨/٢٤) وأبو داود الطيالسي (١٦٣٣).

ممزوجة بالدم، وبين عينيه مكتوب: كافر يقرؤه كل مؤمن بالله فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات ليسمع أهل المشرق والمغرب»(١) .

ويروى: «**أنه إذا كان في آخر الزمان تخرج من البحر امـــراة ذات حسن وجمال بارع ، فتدعو الناس إلى نفسها، وتخترق البلاد فكـــل مـــن أتاها كفر بالله، فعند ذلك يخرج الله عليكم الدجال** » ومن علامة خروجه فتح القسطنطينية، لأن الخبر ورد أن بين خروجه وفتح القسطنطينية ســـبعة أشهر وقد تقدم هذا.

وذكر أبو داود الطيالسي قال: حدثنا الحشرج بن نباتة قال: حدثنـــا سعيد بن جمهان عن سفينة قال: خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**إنه لم يكن نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال، ألا وإنه أعـــور العـــين بالشمال، وباليمين ظفرة غليظة، بين عينيه كافر -يعني مكتوب كـــافر- يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار، فناره جنة وجنته نار فيقـــول الدجال للناس: ألست بربكم أحيي وأميت ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء إني لأعرف اسمهما واسم آبائهما لو شئت أن أسميهمـــا سميتهمـــا أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول: ألست بربكم أحيي وأميـــت؟ فيقول أحدهما: كذبت فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبـــه، ويقـــول الآخر: صدقت وذلك فتنة، ثم يسير حتى يأتي المدينة فيقول: هذه قريـــة ذاك الرجل فلا يؤذن له أن يدخلها، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق»**(٢) .

وخرجه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في الجـــزء العاشر من مختصر المعجم له بمعناه فقال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب قـــال: حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: قال رسول الله -صلـــى

---

(١) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٤٠٧٧).

(٢) صحيح: أبو داود الطيالسي (١١٠٦).

الله عليه وسلم-: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا أو قد حذر أمته الدجال إنه أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن بالله، معه واديان، أحدهما جنة والآخر نار، ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء، ولو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال: ألست بربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحد الملكين: كذبت فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه، فيقول له: صدقت، فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال فذلك فتنة، ثم يسير الدجال حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيقول هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق**» .

قال ابن برجان في كتاب (الإرشاد) له: والذي يغلب على ظني أن النبيين المشبه بهما أحدهما : المسيح ابن مريم والآخر محمد - صلى الله عليه وسلم-، ولذلك ما أنذرا بذلك ووصيا.

وخرج أبو داود في سننه، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إني كنت حدثتكم عن المسيح الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم عز وجل ليس بأعور**»[1] .

وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الدجال وصفًا لم يبق معه لذي لب إشكال، وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذي حاسة سليمة، لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة وحرم اتباع الحق ونور التلاوة، فقوله عليه الصلاة والسلام: إنه أعور وأن الله ليس بأعور. تبين للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصًا في ذاته عاجزًا عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهًا لعجزه وضعفه، ومن كان

---

(١) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٢٠).

عاجزاً عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته، وجاء في حديث حذيفة: أعور العين اليسرى، وفي حديث ابن عمر: أعور العين اليمنى، وقد أشكل الجمع بين الحديثين على كثير من العلماء، قال: وحتى إن أبا عمر بن عبد البر ذكر ذلك في كتاب التمهيد له.

وفي حديث سمرة بن جندب أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «**إن الدجال خارج وهو أعور العين الشمال عليها ظفرة غليظة وأنه يبرئ الأكمة والأبرص، ويحيي الموتى ويقول للناس: أنا ربكم فمن قال: أنت ربي فقد فتن، ومن قال: ربي الله عز وجل حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنته، ولا فتنة عليه ولا عذاب، فيلبث في الأرض ما شاء الله، ثم يجيء عيسى عليه السلام من قبل المغرب مصدقًا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى ملته فيقتل الدجال ثم إنما هو قيام الساعة**»[(1)].

قال أبو عمر بن عبد البر: ففي هذا الحديث أعور العين الشمال، وفي حديث مالك: أعور العين اليمنى، فالله أعلم.

وحديث مالك أصح من جهة الإسناد لم يزد على هذا.

قال أبو الخطاب بن دحية: ليس كما قال بل الطرق كلها صحيحة في العينين، وقال شيخنا أحمد بن عمر في كتاب المفهم له: وهذا اختلاف يصعب الجمع فيه بينهما، وقد تكلف القاضي عياض الجمع بينهما فقال: الجمع بين الروايتين عندي صحيح، وهو أن كل واحدة منهما عوراء من وجه ما، إذ العور حقيقة في كل شيء العيب والكلمة. العوراء هي المعيبة فالواحدة عوراء بالحقيقة وهي التي وصفت في الحديث بأنها ليست بجحراء ولا ناتئة وممسوحة ومطموسة وطافية على رواية الهمز، والأخرى: عوراء

---

(١) حسن: أحمد (٥/١٣) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٣٣٦) وقال: رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح.

لعيبها اللازم لها لكونها جاحظة أو كأنها كوكب دري أو كأنها عنبة طافية بغير همز، وكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال أو بمعنى العور الأصلي.

قال شيخنا: وحاصل كلامه: أن كل واحدة من عيني الدجال عوراء إحداهما بما أصابها حتى ذهب إدراكها، والثانية عوراء بأصل خلقتها معيبة، لكن يبعد هذا التأويل أن كل واحدة من عينيه قد جاء وصفها في الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى من العور، فتأمله.

قلت: ما قاله القاضي عياض وتأويله صحيح، وأن العور في العينين مختلف كما بيناه في الروايات، فإن قوله: كأنها لم تخلق هو معنى الرواية الأخرى مطموس العين ممسوخها ليست بناتئة ولا جحراء، ووصف الأخرى بالمزج بالدم، وذلك عيب عظيم لا سيما مع وصفها بالظفرة الغليظة التي هي عليها وهي جلدة غليظة تغشى العين، وعلى هذا فقد يكون العور في العينين سواء؛ لأن الظفرة مع غلظها تمنع من الإدراك فلا تبصر شيئًا فيكون الدجال على هذا أعمى أو قريبًا منه، إلا أنه جاء ذكر الظفرة في العين اليمنى في حديث سفينة وفي الشمال في حديث سمرة بن جندب. وقد يحتمل أن يكون كل عين عليها ظفرة غليظة، فإن في حديث حذيفة: (وإن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة) وإذا كانت الممسوخة المطموسة عليها ظفرة فالتي ليست كذلك أولى فتتفق الأحاديث. والله أعلم.

وقيل في الظفرة: إنها لحمة تنبت عند المآقي كالعلقة، وقيده بعض الرواة بضم الظاء وسكون الفاء وليس بشيء قاله ابن دحية رحمه الله.

الإيمان بخروج الدجال

الإيمان بالدجال وخروجه حق، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافًا لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على إثباته بعض الجهمية وغيرهم، لكن زعموا أن ما عنده مخاريق وحيل قالوا: لأنها لو كانت أمورًا صحيحة لكان ذلك إلباسًا للكاذب بالصادق، وحينئذ لا يكون فرق بين النبي والمتنبي وهذا هذيان لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه، فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدعي النبوة وليس كذلك فإنه إنما ادعى الإلهية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله ليس بأعور**» تنبيهًا للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيمًا في خلقه، ثم قال: «**مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن ومؤمنة كاتب أو غير كاتب**» وهذا الأمر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره.

وقد تأول بعض الناس: (مكتوب بين عينيه كافر) فقال: معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه قال: ولو كان على ظاهره وحقيقته لاستوى في إدراك ذلك المؤمن والكافر، وهذا عدول وتحريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك، وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر في قراءة ذلك لا يلزم لأن الله تعالى يمنع الكافر من إدراكه ليغتر باعتقاده التجسيم حتى يوردهم بذلك نار الجحيم. فالدجال فتنة ومحنة من نحو فتنة أهل المحشر بالصورة الهائلة التي تأتيهم فيقول لهم : أنا ربكم فيقول المؤمنون: نعوذ بالله منك. حسبما تقدم، لا سيما وذلك الزمان قد انخرقت فيه عوائد فليكن هذا منها، وقد نص على هذا بقوله: (يقرؤه كل مؤمن كاتب) وغير كاتب، وقراءة غير الكاتب خارقة للعادة، وأما الكافر فمصروف عن ذلك بغفلته وجهله وكما انصرف عن إدراك نقص عوره وشواهد عجزه، كذلك يصرف عن قراءة سطور كفره ورمزه.

وأما الفرق بين النبي والمتنبي، فالمعجزة لا تظهر على يد المتنبي؛ لأنه لزم

منه انقلاب دليل الصدق دليل الكذب وهو محال.

وقولهم: إن ما يأتي به الدجال حيل ومخاريق فقول معزول عن الحقائق؛ لأن ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من تلك الأمور حقائق والعقل لا يحيل شيئًا منها، فوجب إبقاؤها على حقائقها، وسيأتي تفصيلها بعون الله تعالى.

ما يُمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذا خرج

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة**»[1] وذكر الحديث.

وفي حديث فاطمة بنت قيس: «**فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليَّ كلتاهما**»[2] الحديث وسيأتي.

وذكر أبو جعفر الطبري من حديث عبد الله بن عمرو: إلا الكعبة وبيت المقدس، زاد أبو جعفر الطحاوي: ومسجد الطور. رواه من حديث جنادة بن أبي أمية عن بعض أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وفي بعض الروايات: فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع.

---

(١) صحيح: البخاري في فضائل المدينة (١٨٨١) ومسلم في الفتن (١٢٣/٢٩٤٣).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٤٢) /١١٩).

ما جاء أنه إذا خرج يزعم أنه الله ويحصر المؤمنين في بيت المقدس

روى أبو بكر بن أبي شيبة، عن سمرة بن جندب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر الدجال قال: «**وإنه متى يخرج فإنه يزعم أنه الله فمن آمن به واتبعه وصدقه فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمل سلف، وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس**»[(١)] .

قال: فيهزمه الله وجنوده حتى إن جدر الحائط وأصل الشجرة ينادي: يا مؤمن هذا كافر يستتر بي فقال: اقتله قال: ولن يكون قولك حتى تبدو أمور يتفاجأ شأنها في أنفسكم تتساءلون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرًا وحتى تزول جبال عن مراتبها على أثر ذلك القبض.

عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه وصفة حماره وسعة خطوه وفي حصره المسلمين في جبال الدخان وكم يمكث في الأرض وفي نزول عيسى عليه السلام وقت السحر لقتل الدجال ومن اتبعه

روى مسلم عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**» وفي رواية: امرؤ بدل خلق[(٢)].

وفي حديث تميم الداري قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير فإذا أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا وأشده وثاقًا، الحديث وسيأتي.

---

(١) حسن: ابن أبي شيبة (١٥/١٥١).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٤٦/١٢٦، ١٢٧).

وعن ابن عمر أنه لقي ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت : يرحمك الله ما أردت من ابن صياد أما علمت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**»(١) وسيأتي من أخبار ابن صياد ما يدل عليه أنه هو الدجال إن شاء الله تعالى وذكر قاسم ابن أصبغ.

وخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم -أي قلة من أهله-، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا، فيقول للناس: أنا ربكم، وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله تعالى عليه، وقامت الملائكة بأبوابهما ومعه جبال من خبز والناس في جهد إلا من اتبعه ، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول له: الجنة ونهر يقول له: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهي النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهي الجنة قال : وتبعث معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها فيما يرى الناس فيقول للناس : أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب فيفر الناس إلى جبل الدخان وهو بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدًا شديدًا، ثم ينزل عيسى -عليه السلام- فيأتي في السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن**

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٣٢/٩٨).

تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون: هذا رجل فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم -عليهما السلام- فيقام للصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله فيقول : ليتفضل إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادي : يا روح الله، هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحد إلا قتله»(١) .

قوله: (ينماث كما ينماث الملح في الماء) أي يذوب وينحل ويتلاشى.

وفي بعض الروايات: وذكر أن حماره حين يخطو من خطوة إلى خطوة ميل ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطؤه ولا يبقى موضع إلا يأخذه غير مكة والمدينة حسبما تقدم ويأتي الكلام في حكم أيامه.

وذكر عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن ابن خثيم، عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاضطرام السعفة في النار**»(٢) . والصحيح أنه يمكث أربعين يومًا كما في حديث جابر، وكذلك في صحيح مسلم على ما يأتي في الكتاب بعد هذا.

---

(١) حسن: أحمد في المسند (٣/٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) ضعيف: عبد الرزاق في المصنف (٢٠٨٢٢).

خروج الدجال وما يجيء به من الفتن والشبهات وسرعة سيره في الأرض وكم يلبث فيها وفي نزول عيسى عليه السلام ونعته وكم يكون في الأرض يومئذٍ من الصلحاء وفي قتله الدجال واليهود وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم وفي حج عيسى وتزويجه ومكثه في الأرض وأين يدفن إذا مات

وقد تقدم من حديث حذيفة -رضي الله عنه- أن له جنة ونارًا فجنته نار وناره جنة.

روى أبو داود عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات**»[1] .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج الدجال فيتوجه قبل رجال من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد، فيقول: أعمد إلى هذا الرجل الذي خرج، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا حقًّا، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض أليس ربكم قد نهاكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فيأمر به الدجال فيشج، فيقول: خذوه وشجوه فيوجع ظهره وبطنه ضربًا، قال:**

---

(١) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣١٩).

فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول أنت المسيح الكذاب، **فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول: قم فيستوي قائمًا، فيقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به في النار وإنما ألقي به في الجنة».**

قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**»[(١)] .

قال أبو إسحاق السبيعي يقال: إن هذا الرجل هو الخضر، وفي رواية: قال: «**يأتي وهو محرم عليه أن يدخل المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثه فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلطه الله عليه**»[(٢)] خرجه البخاري.

وعن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة صافين يحرسونها فينزل بالسبخة فترجف ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق**» وفي رواية: «**كل منافق ومنافقة**»[(٣)] خرجه البخاري.

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (١١٣/٢٩٣٨).

(٢) صحيح: البخاري في الفتن (٧١٣٢).

(٣) سبق تخريجه.

وسلم- الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «**ما غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج حلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وشمالاً، يا عباد الله فاثبتوا قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال: أربعون يومًا، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**» فقلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا ، اقدروا له قدره**» قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض ؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له**» قال: «**فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى -عليه السلام- قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى -عيسى عليه السلام-، إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي**

إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ [الأنبياء: ٩٦] فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرسل أي اللبن حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذ بهم تحت آباطهم فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»[1].

زاد في أخرى بعد قوله: «مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا»[2].

أخرجه الترمذي في جامعه. وذكر رمي يأجوج ومأجوج بنشابهم متصلة بالحديث. فقال: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (١١٠/٢٩٣٧).

(٢) صحيح: مسلم في الفتن (١١١/٢٩٣٧).

فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض فلنقتل من في السماء فيرمون بنشـــابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرًا دمًا ويحاصر عيسى بن مريم» الحديث.

وقال بدل قوله: (فيطرحهم حيث شاء الله قال: فتحملهم فتطرحهم بالمهبل، قال: «ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم سبع سنين»، قال: «ويرسل الله عليهم مطرًا»[1] . الحديث إلى آخره.

في غير الترمذي: «فيطرحهم في المهيل» والمهيل البحر الذي عند مطلع الشمس.

وخرجه ابن ماجه في سننه أيضًا، كما خرجه مسلم و لم يذكر الزيادة التي ذكرها مسلم متصلة، ولا الترمذي متصلة من حديث النواس بن سمعان، وإنما ذكرها من حديث أبي سعيد الخدري، وسيأتي، وذكـــر مـــا ذكـــره الترمذي، فقال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا يحيى بن حمـــزة قـــال: حدثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائي قال : حدثنا عبد الرحمن بن جبير ابن نفير ، عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يستوقد المسلمون من قسي يأجوج ومـــأجوج ونشـــابهم وأترستهم سبع سنين»[2] .

قال: وحدثنا علي بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن المحـــاربي، عـــن إسماعيل بن رافع أبي رافع، عن أبي عمر الشيباني زرعة عن أبـــي أمامـــة الباهلي، قال: خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله أن قال: «إنه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله تعالى آدم - صلى الله عليه وسلم - أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يبعث نبينًا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بـــين

---

(١) صحيح: الترمذي في الفتن (٢٢٤٠).

(٢) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٧٦).

ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من حلة بين الشـــام والعــراق، فيبعث يمينًا ويبعث شمالاً ، يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي: إنه يبدو فيقول: أنا نبي الله، ولا نبي بعــدي ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعـــور وإن ربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمـــن مـــن كاتب وغير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فمن ابتلي بنـــاره ، فليستعذ بالله وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن أحييت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول: نعم، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلط على نفـــس واحدة فيقتلها فينشرها بالمنشار حتى يلقى نصفين، ثم يقول: انظـــر إلى عبدي فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربًا غيري فيبعثه الله فيقـــول لـــه الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله مـــا كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم» .

قال أبو الحسين الطنافسي: فحدثنا المحاربي قال: حدثنا عبد الله بـــن الوليد الرصافي، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رســول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة** » قال: قال أبو سعيد: ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله.

قال المحاربي: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: «**وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبـــت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من بيوتهم ذلك أسمن ما كـــانت وأعظمـــه وأمده خواصر وأدره ضروعًا، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئـــه**

وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتي من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف المصلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فينفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص» .

فقالت أم شريك بنت أبي العسكر: يا رسول الله، فأين العرب؟ قال: «هم قليل وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم -عليه السلام-، فيرجع ذلك الإمام ينكص القهقرى ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى عليه السلام يده على كتفه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وسلاح، فإن نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربًا، ويقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيضربه فيقتله فيهزم الله اليهود ، ولا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله». قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «وأول أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامة كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي». فقيل: يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون في الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا».

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**فيكون عيسى عليه السلام في أمتي حكمًا وعدلاً وإمامًا مقسطًا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وترفع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتغز الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب مع الغنم كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة لا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاية الفضة تنبت نباتها بعهد آدم عليه السلام، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا وتكون الفرس بالدريهمات** » قيل: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال : « **لا يركب الحرب أبدًا**» فقيل له: يا رسول الله وما يغلي الثور؟ قال: «**تحرث الأرض كلها وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب بها الناس جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس نباتها، ثم يأمر الله السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تمطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها؛ فلا تنبت خضرًا ولا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس إلا هلك إلا ما شاء الله** » فقيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: «**التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجزي ذلك عنهم مجزى الطعام**» (١).

---

(١) ضعيف: ابن ماجه في الفتن (٧٧) فيه عبد الرحمن المحاربي كان يدلس.

قال ابن ماجه: سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول : ينبغي أن يرفع هذا الحديث للمؤدب حتى يعلمه للصبيان في المكتب.

وفي حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية قالوا: يا رسول الله ذكرت الدجال فوالله إن أحدنا ليعجن عجينة فما يخبز حتى يخشى أن يفتن وأنت تقول: «**الأطعمة تزوى إليه**» فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يكفي المؤمن يومئذ ما يكفي الملائكة**» فقالوا: فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولكنها تقدس، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**طعام المؤمنين يومئذ بالتسبيح**»(١) .

وذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيتي فذكر الدجال فقال: «**إن بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث مطرها والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت، وإن من أشد فتنته أنه يأتي لأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى فيمثل الشيطان له نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعًا وأعظمه سمنة قال: ويأتي الرجل مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أخاك وأحييت لك أباك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيتمثل الشيطان نحو أبيه وأخيه**»، قالت: ثم خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به، قالت: فأخذت بجنبتي الباب فقال: «**مهيم يا أسماء**» قلت: يا رسول الله، لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال: «**إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا**

---

(١) ضعيف: أحمد (٦/٤٥٤) فيه شهر بن حوشب كثير الإرسال.

فإن ربي خليفة على كل مؤمن» قالت أسماء: فقلت يا رسول الله، وإنا لنعجن عجيننا فلما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: «**يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس**» .

عيسى عليه السلام

يكسر الصليب ويقتل الخنزير

وخرج مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لينزلن ابن مريم حكمًا عدلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون الناس إلى المال فلا يقبله أحد**» (١) .

وعنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كيف أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم**» وفي رواية: «**فأمكم منكم**» قال ابن أبي ذئب : تدري ما إمامكم منكم؟ قلت : تخبرني؟ قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم -صلى الله عليه وسلم-(٢) .

قال: «**والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا ليثنينهما**»(٣) .

وجاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**ليدركن المسيح ابن مريم رجالاً من أمتي مثلكم أو خيرًا منكم**» يقول ذلك ثلاث مرات، ذكره ابن برجان في كتاب الإرشاد له.

وروي عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (١٥٥/٢٤٢) وابن ماجه في الفتن (٤٠٧٨).

(٢) صحيح: مسلم في الإيمان (١٥٥/٢٤٦).

(٣) صحيح: عبد الرزاق في المصنف (٢٠٨٤٢).

«ينزل عيسى بن مريم على ثمانمائة رجل وأربعمائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضى»[1] .

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«ينزل عيسى بن مريم فيكم ويولد له ولد ويمكث خمسًا وأربعين سنة ويدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر»**

ذكره الميانشي أبو حفص ويقال: إنه يتزوج من العرب بعدما يقتل الدجال وتلد له بنتًا فتموت ثم يموت هو بعدما يكون سنتين. ذكره أبو الليث السمرقندي وخالفه كعب في هذا وأنه يولد له ولد، وسيأتي.

عيسى يمكث في الأرض أربعين سنة

وفي حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«يمكث عيسى في الأرض بعد أن ينزل أربعين سنة ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه»**[2].

ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده قال: حدثنا هشام عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة، وبهذا السند عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل، وإنه يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويفيض المال حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، وحتى يهلك الله في زمانه رأس الضلالة الأعور الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم،**

---

(١) ضعيف: الديلمي في الفردوس (٨٩٣٥).

(٢) ضعيف: أبو داود الطيالسي (٢٥٤١).

ويلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضًا يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[1] وفي الروايات: إنه يمكث أربعًا وعشرين سنة.

وفي حديث عبد الله بن عمر: «**ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام**» الحديث خرجه مسلم وقد تقدم بكليته وهذا يدل على أنه يمكث في الأرض سبع سنين والله أعلم.

وقال كعب الأحبار: إن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة الخير على يديه، وتنزل البركات في الأرزاق حتى إن العنبة ليأكل منها الرجل حاجته ويفضل، والقطف من العنب يأكل منه الجمع الغفير والخلق الكثير ، حتى إن الرمانة لتثقل الجمل، وحتى إن الحي ليعبر بالميت فيقول: قم فانظر ما أنزله الله من البركة، وإن عيسى عليه السلام يتزوج بامرأة من آل فلان ويرزق منها ولدين فيسمي أحدهما محمدًا والآخر موسى ، ويكون الناس معه على خير وفي خير زمان وذلك أربعين سنة، ثم يقبض الله روح عيسى ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحجرة، ويموت خيار الأمة ويبقى شرارها في قلة من المؤمنين فذلك قوله عليه السلام: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[2] . وقيل: إنه يدفن بالأرض المقدسة مدفن الأنبياء.

---

(١) صحيح: أحمد (٢/٦).

(٢) صحيح: مسلم في الإيمان (١٤٥/٢٣٢).

عيسى عليه السلام

من أتباع النبي ﷺ

ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرنها من حديث أبي هريرة وبقوله تعالى: ﴿**وخاتم النبيين**﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا نبي بعدي**» وقوله: «**وأنا العاقب**» يريد آخر الأنبياء وخاتمهم، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيًّا بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا -صلى الله عليه وسلم-، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر -صلى الله عليه وسلم- حيث قال لعمر: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**»(١) .

وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله هذه الأمة**»(٢) .

خرجه مسلم في صحيحه وغيره، فعيسى عليه السلام إنما ينزل حكمًا مقسطًا، وإذا صار حكمًا فإنه سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي، قد قبض الله تعالى العلم وخلا الناس منه، فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه

---

(١) صحيح: أحمد (٣/٣٣٨، ٣٨٧).

(٢) صحيح: مسلم في الإمارة (١٩٢٣/١٧٣) وأحمد (٣/٣٨٤).

على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره، ولأن تعطيل الحكم غير جائز، وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى ألا يقال في الأرض الله الله على ما يأتي وهذا واضح.

الحكمة من نزول عيسى عليه السلام

فإن قيل: فما الحكمة في نزوله في ذلك الوقت دون غيره، فالجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها: يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمرهم من على ما بينه الله تعالى في كتابه، وهم أبدًا يدعون أنهم قتلوه وينسبونه في السحر وغيره إلى ما كان الله برأه ونزهه منه، ولقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقم لهم ما أعز الله الإسلام وأظهره راية، ولا كان لهم في بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة، ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فيظهر الدجال وهو أسحر السحر ويبايعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقدرين أنهم ينتقمون به من المسلمين، فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله تعالى الذي عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حيًّا ونصره على رئيسهم وكبيرهم المدعي الربوبية فقتله هو وجنده من اليهود بمن معه من المؤمنين فلا يجدون يومئذ مهربًا، وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه: يا روح الله هاهنا يهودي حتى يوقف عليه، فإما أن يسلم وإما أن يقتل، وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر.

والوجه الثاني: وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال؛ لأنه لا ينبغي لمخلوق من التراب أن يموت في السماء لكن أمره يجري على ما قال تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ [طه:٥٥] فينزله الله تعالى ليقبره في الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه ويسمع به نأي عنه، ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره ويصلون عليه

ويدفن حيث دفن الأناس الذين أمه مريم من نسلهم وهي الأرض المقدسة، فينشر إذا نشر معهم، فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق في تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد، هذا ما وردت به الأحاديث فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية، ولم ينتصب لقتله أحد من المؤمنين لقلتهم كان هو أحق بالتوجه إليه ويجري قتله على يديه إذ كان قد اصطفاه الله لرسالته، وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية، فعلى هذا الوجه يكون بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصدًا.

والوجه الثالث: أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- حسبما قال وقوله الحق: ﴿**ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**﴾ [الفتح:٢٩] فدعا الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فاستجاب الله تعالى دعاءه ورفعه إلى السماء أن ينزله آخر الزمان مجددًا لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام فوافق خروج الدجال فقتله.

ولا يبعد على هذا أن يقال: إن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث إنه حضر بين ظهراني الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره، فذلك يقوم به وذلك داخل في اتباع نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وبالله التوفيق.

واختلف حيث يدفن فقيل: بالأرض المقدسة ذكره الحليمي، وقيل: يدفن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما ذكرناه في الأخبار.

الاختلاف في لفظة المسيح

واختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه مجمع البحرين وقال: لم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال.

القول الأول: وهو مسيح -بسكون السين وكسر الياء على وزن مفعل- فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم الكسرة على الياء.

القول الثاني: قال ابن عباس: كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، ولا ميتًا إلا حيي فهو هنا من أبنية أسماء الفاعلين مسيح بمعنى ماسح.

القول الثالث: قال إبراهيم النخعي : المسيح: الصديق. وقاله الأصمعي وابن الأعرابي.

القول الرابع: قال أبو عبيد: أظن هذه الكلمة (هامًا شيحا) بالشين المعجمة فعربت إلى (مسيا) وكذلك تنطق به اليهود.

القول الخامس: قال ابن عباس أيضًا في رواية عطاء عنه: سمى مسيحًا لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص، والأخمص ما لا يمس الأرض من باطن الرجل، فإذا لم يكن للقدم أخمص قيل فيه قدم رحاء ورجل رحاء ورجل أرح وامرأة رحاء.

القول السادس: قيل سمي مسيحًا ؛ لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن.

القول السابع: قيل سمي مسيحًا؛ لأنه مسح عند ولادته بالدهن.

القول الثامن: قال الإمام أبو إسحاق الجواني في غريبه الكبير: هو اسم خصه الله تعالى به أو لمسح زكريا.

القول التاسع: قيل: سمي بذلك لحسن وجهه إذ المسيح في اللغة: الجميل الوجه، يقال على وجهه مسحة من جمال وحسن، ومنه ما يروى في

الحديث الغريب الضعيف: «**يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن كـأن على وجهه مسحة ملك**».

القول العاشر: المسيح في اللغة: قطع الفضة وكذلك المسيحة: القطعة من الفضة، وكذلك كان المسيح ابن مريم أبيض مشرب حمرة من الرجـال عريض الصدر جعداً والجعد هاهنا اجتماع الخلق وشدة الأسر.

القول الحادي عشر: المسيح في اللغة: عرق الخيل: وأنشد اللغويون:

إذا الجياد فضن بالمسيح

يعني: العرق.

ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب: فلما رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما قد غشيني ضرب في صدري ففصـدت عرقـا وكأني أنظر إلى الله عز وجل فرقًا[1] .

ذكره الخطابي في شرحه بالصاد والضاد، وأنشد العجاج:

إذا الجياد فضن بالمسيح

يعني: العرق.

القول الثاني عشر:المسيح: الجماع يقال مسحها إذا جامعها. قاله في المجمل لابن فارس.

القول الثالث العشر:المسيح: السيف. قاله أبو عمرو المطرز.

القول الرابع عشر: المسيح: المكاري.

القول الخامس عشر: المسيح : الذي يمسح الأرض أي: يقطعها، قاله الثقة اللغوي أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب، ولذلك سمي عيسى مسيحًا كان تارة بالشام وتارة بمصر وتارة على سواحل البحر وفي المهامه والقفار، والمسيح الدجال كذلك سميا بذلك لجولانهما في الأرض.

القول السادس عشر: ذكره بسنده إلى أبي الحسن القابسـي، وقـد

---

(١) صحيح: مسلم في صلاة المسافرين (٨٢٠/٢٧٣).

سأله الحافظ المقرئ أبو عمرو الداني: كيف يقرأ المسيح الدجال؟ فقال: بفتح الميم وتخفيف السين مثل المسيح ابن مريم؛ لأن عيسى عليه السلام مسح بالبركة وهذا مسح عينه.

قال أبو الحسن: ومن الناس من يقرؤه بكسر الميم وتثقيل السين فيعرف بذلك وهو وجه وأما أنا فلا أقرؤه إلا كما أخبرتك.

قال ابن دحية: وحكى الأزهري أنه يقال: مسيح بالتشديد على وزن فعيل قال: فرقا بينه وبين عيسى عليه السلام، ثم أسند عن شيخه أبا القاسم ابن بشكوال، عن أبي عمران.بن عبد الرحمن قال: سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول: ومنهم من قال ذلك -بالخاء يعني: المعجمة- كله عامة أهل العلم خطأ لا فرق بينهما وكذلك ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه نطق به وقال به الصحابة المبلغون عنه.

وأنشد في ذلك أهل اللغة قول عبد الله بن قيس الرقيات:

وقالوا: دع رقية واجتنبها فقلت له: إذا خرج المسيح

يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه ولذلك ذكرناه.

وقال الراجز:

إذا المسيح قتل المسيحا

يعني: عيسى بن مريم عليه السلام يقتل الدجال بنبزك.

القول السابع عشر: قيل: سمي الدجال مسيحًا، لأن المسيح الذي لا عين له ولا حاجب، قال ابن فارس: والمسيح أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب، ولذلك سمي الدجال مسيحًا، ثم أسند عن حذيفة مستدلاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة**» خرجه مسلم.

القول الثامن عشر: المسيح الكذاب، وهذا يختص به الدجال، لأنه يكذب فيقول: أنا الله، فهذا كذب البشر ولذلك خصه الله بالشوه والعار.

القول التاسع عشر: المسيح: المارد والخبيث وهو التمسيح أيضًا عن ابن فارس، ويقال: هو الكذاب وكذلك التماسح بألف.

القول العشرون : قيل: الدجال ، المسيح لسياحته وهو فعيل بمعنى فاعل ، والفرق بين هذا وبين ما تقدم في الخامس عشر أن ذلك يختص بقطع الأرض وهذا بقطع جميع البلاد في أربعين ليلة إلا مكة والمدينة.

القول الحادي والعشرون: المسيح: الدرهم الأطلس بلا نقش. قاله ابن فارس وذلك مطابق لصفة الأعور الدجال إذ أحد شقي وجهه ممسوح وهو أشوه الرجال.

القول الثاني والعشرون: قال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من تأليفه: سمي ابن مريم مسيحًا لأن الله مسح الذنوب عنه.

القول الثالث والعشرون: قال الحافظ أبو نعيم في الكتاب المذكور: وقيل: سمي ابن مريم مسيحًا لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة وهو قوله تعالى: ﴿**وجعلني مباركًا أينما كنت**﴾ [مريم:٣١].

بيان ما وقع في الحديث من الغريب

قوله: (فيشج) أي يمد، والميشار مفعال من أيشرت ووشرت أشرًا ووشرًا ، ويقال: منشار بالنون أيضًا وبالوجهين في الحديث وهو مفعال أيضًا من نشرت.

وقوله: فخفض فيه ورفع بتخفيف الفاء أي أكثر من الكلام فيه، فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد، وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان ، وهذه حالة المكثر في الكلام، وروي بتشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير.

وقوله: إنه خارج محلة، يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة قاله الهروي، والخلة موضع حزن وضجور والحلة ما بين البلدين.

وقال الحافظ ابن دحية: ورواه ابن هامان والحميدي حلة -بفتح الحاء المهملة وضم اللام- وكأنه يريد حلوله، قال: وقرأت في أصل القطيعي من

مسند الإمام أحمد بن حنبل: وأنه يخرج حيلة، ولا أعلم روى ذلك أحد غيره، وقد سقطت هذه اللفظة لأكثر رواة مسلم وبقي الكلام أنه خارج بين الشام والعراق. وجاء في حديث الترمذي أنه يخرج بخراسان، وفي الرواية الأخرى: من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية.

وفي حديث ابن ماجه ومسلم: بين الشام والعراق ووجه الجمع أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان ، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام، والله أعلم.

وعاث -بالعين المهملة والثاء المثلثة والتنوين- على أنه اسم فاعل، وروي بفتح الثاء علىأنه فعل ماض ، ووقع في حديث أبي أمامة على الفعل المستقبل والكل بمعنى الفساد : عاث يعيث عيثًا، فهو عاث يعثي، عثا يعثو لغتان، وفي التنزيل: ﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ [البقرة:٦٠].

وقوله: (يا عباد الله فاثبتوا) يعني على الإسلام يحذرهم من فتنته لأنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت.

وقوله: (فاقدروا له قدره) قال القاضي عياض: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عن الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

قلت: وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضًا ما حكمه صاحب الشرع، وحمل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها، وإنما هي محمولة على المعنى ، أي يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء وأيام البلاء طوال ، ثم يتناقص ذلك الغم في اليوم الثاني، ثم يتناقص في اليوم الثالث، ثم يعتاد البلاء كما يقول الرجل: اليوم عندي سنة ومنه قولهم:

(وليل المحب لا آخر)

وقال آخر:

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

وهذا القول يرده قولهم: أتكفينا فيه صلاة يـوم وليلـة؟ قـال: «**لا، اقدروا له قدره**» والمعنى قدروا الأوقات للصلوات، وكذلـك لا التفـات لطعنه في صحة هذه الألفاظ أعني قوله: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قـال: (لا، اقدروا له قدره). فقال: هذا عندنا من الدسائس التي كادنا بها ذوا الخلاف علينا، ولو كان صحيحًا لاشتهر على ألسنة الرواة كحديث الدجال، ولـو كان لقوي اشتهاره ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربهـا، والجواب : أن هذه الألفاظ صحيحة حسبما ذكره مسلم وحسبك به إمامًا، وقد ذكرها الترمذي من حديث النواس أيضًا، وقال: حديث حسن صحيح، وخرجها أبو داود أيضًا وابن ماجة من حديث أبي أمامة ، وقاسم بن ...[1] من حديث جابر ، وهؤلاء أئمة أجلة من أئمة أهل الحديث، وتطرق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز والثقة بعيد لا يلتفت إليه لأنه يؤدي إلى القدح في أخبار الآحاد، ثم إن ذلك في زمن خرق العادات وهذا منها.

وقوله: (ممحلين أي مجدبين) ويروى: أزلين والمحل والأزل والقحـط والجدب بمعنى واحد، ويعاسيب النحل فحولها، وأحدها يعسـوب، وقيـل أمراؤها، ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة مـن النحل فتراها جماعات في تفرقة فالكنوز تتبع الدجال كذلك.

وقوله: (بين مهرودتين) أي بين شقي ثوب، والشقة نصف الملاءة أو في حلتين مأخوذ من الهرد بفتح الهاء وسكون الراء وهو الشق والقطع.

قال ابن دريد: إنما سمي الشق هردًا للإفسـاد لا للإصـلاح، وقـال يعقوب: هرد القصار الثوب، وهردته بالتاء المثناة باثنين من فوق إذا أحرقـه وخرقه.

وقال أكثرهم: في ثوبين مصبوغين بالصفرة وكأنه الذي صبغ بالهرد، ووقع في بعض الروايات بدل مهرودتين ممصرتين كذلك، ذكره أبـو داود

---

(١) سقط من الأصل.

الطيالسي من حديث أبي هريرة، والممصرة من الثياب هي المصبوغة بالصفرة، والجمان ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيه واقع وليست بالمشبهة.

وقال ابن الأنباري: مهرودتان بدال مهملة وذال معجمة معًا أي ممصرتين كما جاء في الحديث الآخر.

وقال غيره: الهرود الذي يصبغ بالعروق التي يقال لها الهرد بضم الهاء.

وقال الهروي: هرد ثوبه بالهرد هو صبغ يقال له العروق.

وقال القتبي: إن كان المحفوظ بالدال فهو مأخوذ من الهرد، والهرد والهرت: الشق ومعناه بين شقين والشقة نصف الملاءة وقال: وهذا عندي خطأ من النقلة، وأراد مهرودتين أي صفراوين يقال: هرت العمامة ألبستها صفرًا وكان الثلاثي منه هروت.

فخالف الجماعة من أهل اللغة فيما قالوه، وقد خطأه ابن الأنباري وقال: إنما يقول العرب هريت الثوب لا هروت ولو كان من ذلك مهراة لا مهروة ، واللغة نقل ورواية لا قياس ، والعرب إنما تجوز ذلك في العمامة خاصة لا في الشقة ولا يجوز قياس الشقة على العمامة، وأما رواية الذال المعجمة فهو إبدال من الدال المهملة فإن الذال والدال قد يتعاقبان فيقال رجل مذل بالدال المهملة ومذل بالذال المعجمة إذا كان قليل اللحم خفي الشخص.

والجمان: ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر، وهو تشبيه حسن.

وقوله: فحرز عبادي إلى الطور. أي: ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم، والطور: الجبل بالسريانية.

قال الحافظ ابن دحية: قيدناه في صحيح مسلم جوز بالجيم والواو والزاي كذا في جامع الترمذي، وقيدناه أيضًا (حدر) بدال مهملة فأما حرز

فهو الذي رواه أكثرهم وصحح بعضهم رواية (حدر) وكلتاهما صحيح؛ لأن ما خير فقد أحرز وكذلك جوز بالجيم، وأما حدر بدال مهملة فمعناه أنزلهم إلى جهة الطور من حدرت الشيء فانحدر إذا أرسلته في صبب وحدر.

والنغف: جمع نغفة وهي الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم.

وفرسى أي : هلكى ، وهو جمع فريس يعني: مفروس مثل قتيل وقتلى وصريع وصرعى، وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أي قتلها كأن تلك النغف فرستهم.

ويروى فيصبحون موتى: والزهم: النتن، والبخت: إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام، والزلفة: المصفقة الممتلئة والجمع زلف.

قال ابن دحية: قيدناه في صحيح مسلم بالفاء والقاف وهو المرآة كذا فسره ابن عباس، وقاله اللغويان: أبو زيدس الأنصاري وأبو العباس الشيباني.

واللقحة: الناقة الحلوب، والفئام: الجماعة من الناس، والفخذ: دون القبيلة وفوق البطن، والفاثور بالفاء، الخوان يتخذ من الرخام ونحوه، قال الأغلب العجيلي:

إذا انجلى فاثور عين الشمس

يقال: هم على فاثور واحد أي على مائدة واحدة، ومنزلة واحدة والفاثور أيضًا: موضع. قاله الجوهري: والله أعلم.

ما جاء أن حواري عيسى عليه السلام إذا نزل هم أصحاب الكهف وفي حجهم معه

حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا ابن أبي أويس قال: حدثنا كثير ابن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده قال: غزونا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث وقد تقدم وفيه: «**ولا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله حاجًا أو معتمرًا ليجمعن الله ذلك له**» قال كثير:

فحدثت بهذا الحديث محمد بن كعب القرظي قال: ألا أرشدك في حديثك هذا؟ قلت: بلى ، فقال: كان رجل يقرأ التوراة والإنجيل فأسلم وحسن إسلامه فسمع هذا الحديث من نص بعض القوم فقال: أبشركم في هذا الحديث؟ فقالوا: بلى فقال: إني أشهد أنه لمكتوب في التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وأنه مكتوب في الإنجيل الذي أنزله علىعيسى بن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجًا أو معتمرًا أو يجمع الله ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرون حجاجًا فإنهم لم يحجوا و لم يموتوا.

الله تعالى منزه عن الولد

قال تعالى: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا**﴾ [مريم:٨٨،٨٩] شيئًا عظيمًا من القول وزورًا ﴿**تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا**﴾ [مريم: ٩٠- ٩٥].

فبين أنه تعالى لا ينبغي له الولد لأنه خالق كل شيء ومالكه، وكل شيء فقير إليه، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والأرض عبيده، هو ربهم لا إله إلا هو لا رب سواه كما قال تعالى: ﴿**وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠٣] .

فبين أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين، والله تعالى لا نظير له ولا شبيه ولا عديل له، لا صاحبة له، فلا يكون له ولد كما قال تعالى: ﴿**قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ [سورة الإخلاص] يقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ﴿**الصمد**﴾ وهو السيد الذي كمل علمه وحكمته ورحمته وبلغ جميع صفاته ﴿**لم يلد**﴾ أي لم يوجد منه ولد ﴿**ولم يولد**﴾ أي: ولم يتولد عن شيء قبله ﴿**ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ أي : وليس له عدل ولا مكافئ، ولا مساوٍ فقطع النظير المداني والأعلى والمساوي، فانتفى أن يكون له ولد، إذ لا يكون الولد إلا متولدًا

بين شيئين متعادلين أو متقاربين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا.

وقال تبارك وتعالى وتقدس: ﴿**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً * لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابًا أليمًا ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا**﴾ [النساء: ١٧١-١٧٣].

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء في الدين وهو مجاوزة الحد، فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد.

فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله وبأن أمته العذراء البتول التي أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها من أمر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام. والذي اتصل بها من الملك هو الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم، وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقول: بيت الله وناقة الله وعبد الله، وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفًا لها وتكريمًا، وسمي عيسى بها لأنه كان بها من غير أب، وهي الكلمة أيضًا التي منها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ [آل عمران:٥٩].

وقال تعالى: ﴿**وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون * بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما**

يقول له كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧].

وقال تعالى: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾** [التوبة: ٣٠].

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهما لعائن الله، كل من الفريقين ادعوا على الله شططًا، وزعموا أن له ولدًا، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما ائتفكوه، إلا مجرد القول ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم.

وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود الذي يعبرون عنه بعلة العلل والمبدأ الأول، وأنه صدر عن العقل الأول عقل ثان ونفس وفلك، ثم صدر عن الثاني كذلك حتى تناهت العقول إلى عشرة والنفوس إلى تسعة والأفلاك إلى تسعة، باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها. ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر.

وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله، وأنه صاهر سروات الجن فتولد منها الملائكة. تعالى الله عما يقولون وتنزه عما يشركون. كما قال تعالى: **﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾** [الزخرف:١٩] وقال تعالى: **﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إناثًا وهم شاهدون * ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * ما لكم كيف تحكمون * أفلا تذكرون * أم لكم سلطان مبين * فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين * وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين﴾** [الصافات: ١٤٩-١٦٠].

قال تعالى: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**﴾[الأنبياء:٢٦-٢٩].

وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية: ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا * ماكثين فيه أبدًا * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا**﴾ [الكهف:١-٥].

وقال تعالى: ﴿**قالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون**﴾ [يونس: ٦٨-٧٠].

فهذه الآيات الكريمات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن لله ولدًا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا.

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا في القرآن كثيرًا للرد عليهم ، وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت أقوالهم في كفرهم، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض.

وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب، قال الله تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾[النساء:٨٢]. فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب، فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا

أن المسيح هو الله تعالى. وطائفة قالوا: هو ابن الله -عز الله وجل- وطائفة قالوا: هو ثالث ثلاثة - جل الله-.

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير**﴾ [المائدة: ١٧] فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شيء وأنه رب كل شيء ومليكه وإلهه وقال في أواخرها: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون**﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥].

حكم تعالى بكفرهم شرعًا وقدرًا، فأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى ابن مريم، وقد بين لهم أنه عبد مربوب مخلوق مصور في الرحم داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزي في الدار الآخرة والهوان والعار، ولهذا قال: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾.

ثم قال: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد**﴾ قال ابن جرير وغيره: المراد بذلك قولهم بالأقانيم الثلاثة: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المبثقة من الأب والابن على اختلافهم في ذلك ما

بين الملكية واليعقوبية والنسطورية، عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطس، وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة.

ولهذا قال تعالى: ﴿**وما من إله إلا إله واحد**﴾ أي: وما من إله إلا الله وحده ولا شريك له ولا نظير له ولا كفؤ له ولا صاحبة له ولا ولد، ثم توعدهم وتهددهم فقال: ﴿**وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم**﴾ ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار والعظائم التي توجب النار فقال: ﴿**أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم**﴾.

ثم بين حال المسيح وأمه وأنه عبد رسول وأمه صديقة، أي ليست بفاجرة كما يقول اليهود لعنهم الله ، وفيهم دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا، وقوله: ﴿**كانا يأكلان الطعام**﴾ كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما، أي ومن كان بهذه المشابهة كيف يكون إلهًا؟! تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوًا كبيرًا.

وقال السدي وغيره، المراد بقوله: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾ زعمهم في عيسى وأمه أنهما الإلهان مع الله، يعني كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة: ﴿**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم عليه السلام يوم القيامة على سبيل

الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعباده ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله، أو أنه شريكه تعالى الله عما يقولون، فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه، ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له: ﴿**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك**﴾ أي تعاليت أن يكون معك شريك ﴿**ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق**﴾ أي ليس هذا يستحقه أحد سواك ﴿**إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**﴾ وهذا تأدب عظيم في الخطاب ﴿**ما قلت لهم إلا ما أمرتني به**﴾ أي : ما قلت غير ما أمرتني عليه حين أرسلتني إليهم وأنزلت عليّ الكتاب الذي كان يتلى عليهم. ثم فسر ما قاله لهم بقوله: ﴿**أن اعبدوا الله ربي وربكم**﴾ أي خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم ﴿**وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني**﴾ أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم وألقيت شبهي على أحدهم حتى انتقموا منه كان ذلك ﴿**كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾ .

ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك**﴾ أي وهم يستحقون ذلك ﴿**وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ولهذا قال: ﴿**فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ ولم يقل الغفور الرحيم.

وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح : ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ وقال: «**إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئًا**» . وقال: ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا**

أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون * وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ١٦-٢٠].

وقال تعالى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار * خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ [الزمر: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين * سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾[الزخرف: ٨١، ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد﴾ [الإخلاص].

وثبت في الصحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «يقول الله تعالى: شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، يزعم أن لي ولدًا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد» .

وفي الصحيح أيضًا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم» .

ولكن ثبت في الصحيح أيضًا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود:١٠٢].

وهكذا قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم

أخذتها وإلي المصير﴾ [الحج: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ [لقمان:٢٤]. وقال تعالى: ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ [يونس: ٦٩-٧٠]. وقال تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا﴾ [الطارق: ١٧].

ميلاد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا * فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكياً * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا * قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا * فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا * فكلي واشربي وقري عينًا فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا * وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا * وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون *

وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ [مريم: ١٦-٣٧].

وذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها، كما ذكر في سورة آل عمران، قرن بينهما في سياق واحد، وكما قال في سورة الأنبياء: **﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين * والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾** [الأنبياء: ٨٩-٩١].

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس، وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام، وأنه اتخذ لها محرابًا وهو المكان الشريف من المسجد، لا يدخله أحد عليها سواه، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام، وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولدًا زكيًا يكون نبيًا كريمًا طاهرًا مكرمًا مؤيدًا بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد، لأنها لا زوج لها، ولا هي ممن تتزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل.

وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء، فبينما هي يومًا قد خرجت لبعض شئونها و**﴿انتبذت﴾** أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى إذ بعث

إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام : ﴿**فتمثل لها بشرًا سويًا**﴾ فلما رأته ﴿**قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا**﴾ قال أبو العالية: علمت أن التقي ذو نهية ، وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه (تقي) فإن هذا قول باطل بلا دليل، وهو من أسخف الأقوال.

﴿**قال إنما أنا رسول ربك**﴾ أي خاطبها الملك ﴿**قال إنما أنا رسول ربك**﴾ لست ببشر ولكني ملك بعثني الله إليك ﴿**لأهب لك غلامًا زكيًا**﴾ أي: ولدًا زكيًا.

﴿**قالت أنَّى يكون لي غلام**﴾ أي: يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ﴿**ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا**﴾ أي: ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة ﴿**قال كذلك قال ربك هو على هين**﴾ أي: فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً: ﴿**قال كذلك قال ربك**﴾ أي وعد أنه سيخلق منك غلامًا ولست بذات بعل، ولا تكونين ممن تبغين، ﴿**هو علي هين**﴾ أي: وهذا سهل عليه ويسير لديه، فإنه على ما يشاء قدير.

وقوله: ﴿**ولنجعله آية للناس**﴾ أي: ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى، وقوله ﴿**ورحمة منا**﴾ أي: نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفوليته وكهوليته، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد.

وقوله: ﴿**وكان أمرًا مقضيا**﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها، يعني أن هذا أمر قضاه الله وحتمه وقدره وقرره، وهذا معنى

قول محمد بن إسحاق واختاره ابن جرير، ولم يحك سواه.. والله أعلم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿**وكان أمرًا مقضيًا**﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى: ﴿**ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**﴾ [التحريم: ١٢] .

فذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها، ومن قال إنه نفخ في فمها أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها، فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام، وأنه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه، كما قال تعالى: ﴿**فنفخنا فيه من روحنا**﴾ فدل على أن النفخة ولجت فيه لا في فمها، كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة.

ولهذا قال تعالى: ﴿**فحملته**﴾ أي فحملت ولدها ﴿**فانتبذت به مكانًا قصيًا**﴾ وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعًا، وعلمت أن كثيرًا من الناس سيكون منهم كلام في حقها، فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجبًا شديدًا، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها، وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال: يا مريم، هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم، فمن خلق الزرع الأول، ثم قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، قال لها: فأخبريني خبرك، فقالت: إن الله بشرني: ﴿**بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا في الدنيا**

والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصـــالحين﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦].

ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هـــذا . والله أعلم.

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة: أن مريم دخلت يومًا على أختها فقالت لها أختها: أشعرت أني حبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضًـــا أنـــي حبلى؟ فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى: إني أرى ما في بطني يســـجد لمـــا في بطنك وذلك قوله: ﴿**مصدقًا بكلمة من الله**﴾ [آل عمران: ٣٩] ومعنـــى السجود هاهنا الخضوع والتعظيم، كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم.

وقال أبو القاسم: قال مالك: بلغني أن عيسى بن مريم ويحيـــى بـــن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعًا معًا، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام، لأن الله تعالى جعله يحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص. رواه ابن أبي حاتم.

وروي عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثني وكلمني وإذا كنت بين الناس سبح[١] في بطني.

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر.

وعن ابن عباس وعكرمة: أنها حملت به ثمانية أشهر، وعن ابن عباس: ما هو إلا أن حملت به فوضعته، قال بعضهم: حملت بـــه تسع ســاعات واستأنسوا لذلك بقوله: ﴿**فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًـــا * فأجاءهـــا المخاض إلى جذع النخلة**﴾ .

---

(١) بفتح الباء مع التشديد من التسبيح لا السباحة.

والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه، كقوله: ﴿**فتصبح الأرض مخضرة**﴾ وكقوله: ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ [المؤمنون: ١٤] ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يومًا كما ثبت في الحديث المتفق عليه.

قال محمد بن إسحاق: شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا.

قال: واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد، وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكانًا قصيًا. وقوله: ﴿**فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة**﴾ أي: فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة، وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعًا والبيهقي بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعًا أيضًا ببيت لحم الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سنذكره هذا البناء المشاهد الهائل.

﴿**قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا**﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتن، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه، ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو ماتت قبل هذا الحال أو كانت ﴿**نسيًا منسيًا**﴾ أي لم تخلق بالكلية.

وقوله: ﴿**فناداها من تحتها**﴾ وقرئ ﴿**مِن تحتِها**﴾ على الخفض.

وفي المضمر قولان؛ أحدهما: أنه جبريل، قال العوفي عن ابن عباس قال: ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم، وبهذا قال سعيد بن جبير وعمر بن ميمون والضحاك والسدي وقتادة، وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن

جبير في رواية: هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿**ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا**﴾ قيل النهر وإليه ذهب الجمهور.

وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهم أنه ابنها، والصحيح الأول لقوله: ﴿**وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا**﴾ فذكر الطعام والشراب ولهذا قال: ﴿**فكلي واشربي وقري عينًا**﴾.

ثم قيل: كان جذع النخلة يابسًا وقيل كانت نخلة مثمرة...فالله أعلم. ويحتمل أنها كانت نخلة، لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان ﴿**تساقط عليك رطبًا جنيًا**﴾.

قال عمرو بن ميمون: ليس شيء أجود للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عروة ابن رويم عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها** » .

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أطعموا نساءكم الولد الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر، وليس من الشجرة شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران**» .

وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ، عن مسروق بن سعيد، وفي رواية مسروق بن سعد، والصحيح مسروق بن سعيد التميمي، أورد له ابن عدي هذا الحديث عن الأوزاعي به، ثم قال: وهو منكر الحديث

ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث.

وقال ابن حبان: يروي عن الأوزاعي المناكير التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها.

قوله: ﴿**فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا**﴾ وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال: ﴿**فكلي واشربي وقري عينًا فإما ترين من البشر أحدًا**﴾ [مريم: ٢٦]. أي فإن رأيت أحدًا من الناس ﴿**فقولي**﴾ له أي بلسان الحال والإشارة ﴿**إني نذرت للرحمن صومًا**﴾ أي صمتًا، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام، قاله قتادة والسدي وابن أسلم.

ويدل على ذلك قوله: ﴿**فلن أكلم اليوم إنسيًا**﴾ فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل.

وقوله تعالى: ﴿**فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا**﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨] ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها فمروا على محلتها والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها: ﴿**يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا**﴾ أي: أمرًا عظيمًا منكرًا. وفي هذا الذي قالوه، مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله.

قال ابن عباس: وذلك بعدما تعالت من نفاسها بعد أربعين يومًا.

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها قالوا: ﴿**يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا**﴾ والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال.

ثم قالوا لها: ﴿**يا أخت هارون**﴾ قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة، وكان اسمه هارون قاله سعيد بن جبير. وقيل:

أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة، وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسبًا فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع، وكأنه غره في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملأه، فاعتقد أن هذه هي هذه.

وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه في التفسير مطولاً ولله الحمد والمنة.

وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها.. والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن إدريس، سمعت أبي يذكره، عن سماك، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة، قال: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى نجران فقالوا: أرأيت ما تقرءون: ﴿**يا أخت هارون**﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم**» .

وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن إدريس، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه، وفي رواية: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم**» .

وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهارون حيث قيل إنه حضر بعض جنائزهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهارون أربعون ألفًا. فالله أعلم.

والمقصود أنهم قالوا: ﴿**يا أخت هارون**﴾ ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هارون، وكان مشهورًا بالتدين والصلاة والخير، ولهذا

قالوا: ﴿**ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا**﴾ أي: لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء.

فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف ردائه فنشره فيها كما قدمناه، ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار.

فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال، عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال ﴿**فأشارت إليه**﴾ أي: خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه، فعندها ﴿**قالوا**﴾ من كان منهم جبارًا شقيًا ﴿**كيف نكلم من كان في المهد صبيًا**﴾ أي: كيف تحيلينا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين محض وزبده، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والنقص لنا والازدراء، إذ لا تردين علينا قولاً نطقيًا، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيًا.

فعندها: ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا * وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا * وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا * والسلام علي يوم ولدت يوم أموت ويوم أبعث حيًا**﴾ [مريم: ٣٠-٣٢].

هذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم، فكان أول ما تكلم به أن ﴿**قال إني عبد الله**﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: ﴿**آتاني الكتاب وجعلني نبيًا**﴾ فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله

وقبحهم، وكما قال تعالى: ﴿**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانـا عظيمـا**﴾ [النساء: ١٥٦]. وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا: إنها حملت به من زنى في زمن الحيض، -لعنهم الله- فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبيًا مرسلاً أحد أولي العزم الخمسة الكبار ولهذا قال : ﴿**وجعلني مباركًا أين ما كنت**﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصحابة تعالى وتقدس ﴿**وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا**﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة، والإحسان إلى الخليقة بالزكاة، وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف وقرى الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات.

ثم قال: ﴿**وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا**﴾ أي: وجعلني برًا بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتحض جهتها إذ لا والد له سواها، فسبحان من خلق الخليقة وبرأها وأعطى كل نفس هداها ﴿**ولم يجعلني جبارًا شقيًا**﴾ أي: لست بفظ ولا غليظ، ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته.

﴿**والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا**﴾ وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام.

ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضحه وشرحه قال: ﴿**ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون**﴾[مريم: ٣٤، ٣٥] كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران : ﴿**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم * إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**

خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين﴾[آل عمران:٥٨-٦٢].

ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبًا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم، ويئول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك، وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله، وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه ، فلما رأوا عينيها وأذنيها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسائلة والموادعة، وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارى، لقد علمتم أن محمدًا لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيًا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فطلبوا ذلك من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أمينًا، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وقد بسطنا هذه القصة في السيرة النبوية.

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح فقال لرسوله: **﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾** يعني من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال: **﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾** أي: لا يعجزه شيء ولا يئوده بل هو القدير الفعال لما يشاء **﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾**

[يس: ٨٢] وقوله: ﴿**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾ [مريم: ٣٦] هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلههم، وأن هذا هو الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**﴾ [مريم:٣٧] أي: فاختلف أهل الزمان ومن بعدهم فيه.

فمن قائل من اليهود: إنه ولد زنية، واستمروا على كفرهم وعنادهم.

وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله.

وقال المؤمنون: هو عبد الله ورسوله، وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهؤلاء هم الناجون المثابون والمؤيدون المنصورون، ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون، وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله: ﴿**فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**﴾ .

روى البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» .

فضائل عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة**﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿**ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم**﴾ [الحديد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿**وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس**﴾ [البقرة: ٨٧-٢٥٣] والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

وقد ثبت في الصحيحين: «**ما من مولود إلا والشيطان يطعن في**

خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا إلا مريم وابنها، ذهب يطعن في الحجاب».

وتقدم حديث عمير بن هانئ عن جنادة، عن عبادة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» رواه البخاري وهذا لفظه، ومسلم.

وروى البخاري ومسلم من حديث الشعبي، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعيسى ابن مريم ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران**» هذا لفظ البخاري.

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**ليلة أسري بي ولقيت موسى**»، **قال**: فنعته فإذا رجل حسبته - قال: «**مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة**»، قال: «**ولقيت عيسى**» فنعته النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**ربعة**[1] **أحمر كأنما خرج من ديماس** -يعني الحمام- **ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به**» الحديث.

ثم قال: عن ابن عمر، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط**[2] **كأنه من رجال الزط**» تفرد به البخاري.

وحدثنا إبراهيم بن المنذر قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال: «**إن الله ليس**

---

(١) ربعة: أي متوسط الطول والقصر.

(٢) سبط: أي مسترسل الشعر.

بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعًا يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه جعدًا قططًا[1] أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعًا يده على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ فقالوا: المسيح الدجال»[2] .

فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين: مسيح الهدى، ومسيح الضلالة، ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون.

عيسى عليه السلام والسارق

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا الله، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني**». وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق.

وقال أحمد: حدثنا عفان: حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن الحسن وغيره، عن أبي هريرة قال: ولا أعلمه إلا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**رأى عيسى رجلاً يسرق فقال: يا فلان، أسرقت؟ فقال: لا والله ما سرقت. فقال: آمنت بالله وكذبت بصري**» .

وهذا يدل على سجية طاهرة، حيث قدم حلف الله الرجل فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كاذبًا على ما شاهده منه عيانًا، فقبل عذره ورجع

---

(١) الجعد: خلاف السبط، والقطط: شديد الجعودة.

(٢) رواه مسلم.

على نفسه فقال: آمنت بالله، أي: صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك.

وقال البخاري: عن ابن عباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾**[الأنبياء: ١٠٤] **فأول الخلق يكسى إبراهيم، ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال : إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم : ﴿وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾**[المائدة: ١١٧، ١١٨]» تفرد به دون مسلم من هذا الوجه.

وقال أيضًا: عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» .

الثلاثة الذين تكلموا في المهد

وروى البخاري: عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعة فعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقيل لها: ممن؟ قالت: من جريج فأتوه فوجدوه في صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: فلان الراعي فقالوا: أنبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابنًا لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني**

مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه» قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يمص أصبعه «**ثم مر بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذلك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل**» .

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة

قال البخاري حدثنا أبو اليمان: حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات**[1] **ليس بيني وبينه نبي**».

ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري، عن الثوري عن أبي الزناد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وروى أحمد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والأنبياء إخوة أولاد علات، وليس بيني وبين عيسى نبي**» .

قال أحمد: حدثنا يحيى، عن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن عبد الرحمن ابن آدم، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين مخصرتين**[2] **فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعًا، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان**

(١) علات: أي طرائز.

(٢) ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه.

بالحيات لا يضر بعضهم بعضًا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه» .

وروى هشام بن عروة، عن صالح مولى أبي هريرة عنه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**فيمكث في الأرض أربعين سنة**» وقد بينا نزوله عليه السلام في آخر الزمان في كتاب (الملاحم) كما بسطنا ذلك أيضًا في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا**﴾ [النساء:١٥٩] وقوله: ﴿**وإنه لعلم للساعة**﴾ [الزخرف: ٦١] الآية وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله فصل. فيقول : لا، بعضهم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة.

وفي رواية: فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي خلفه، ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة.

وذكرنا أنه قوي الرجاء حتى بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض ، وقد بنيت أيضًا من أموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها، فينزل عليها عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، وإنه يخرج من فج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو لثنتيهما، ويقيم أربعين سنة، ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصاحبيه.

وقد ورد ذلك في حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعًا، أنه يدفن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح إسناده.

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا زيد بن أخزم الطائي، حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة، حدثني أبو مودود المدني، حدثنا عثمان بن الضحاك، عن

محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه، عن جده قال: مكتوب في التوراة، صفة محمد وعيسى بن مريم عليهما السلام يدفن معه، قال أبو مودود: وقد بقي من البيت موضع قبر.

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن. كذا قال. والصواب: الضحاك ابن عثمان المدني.

وقال البخاري: هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

الفترة ما بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام

وروى البخاري عن يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: الفترة ما بين عيسى ومحمد -صلى الله عليه وسلم- ستمائة سنة.

وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقيل: خمسمائة وأربعون سنة، وعن الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة. والمشهور ستمائة سنة، ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية، ليكون ستمائة الشمسية. والله أعلم.

المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه

وقال ابن حبان في صحيحه: ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه.

حدثنا أبو يعلى، حدثنا أبو همام، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الهيثم ابن حميد، عن الوضين بن عطاء، عن نصر بن علقمة، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة**» .

وهذا حديث غريب جدًّا، وإن صححه ابن حبان.

عيسى كان يدعو إلى عبادة الله وحده

وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق، أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصى الحواريين بأن يدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب، فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم.

وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة: لوقا ومتى ومرقس ويوحنا. وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة ، وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى ، وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما متى ويوحنا، ومنهم اثنان من أصحابه وهما مرقس ولوقا.

وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق يقال له ضينا، وكان مختفيًا في مغارة داخل الباب الشرقي قريبًا من الكنيسة المصلبة خوفًا من بولس اليهودي. وكان ظالمًا غاشمًا مبغضًا للمسيح ولما جاء به، وكان قد حلق رأسه ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد ثم رجمه حتى مات رحمه الله.

ولما سمع بولس أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله، فتلقاه عند كوكبا ، فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه ، فلما رأى ذلك وقع في نفسه تصديق المسيح فجاء إليه واعتذر مما صنع، وآمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره ، فقال : اذهب إلى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء إليه فدعا فرد عليه بصره وحسن إيمان بولس بالمسيح عليه السلام، أنه عبد الله ورسوله وبنيت له كنيسته باسمه ، فهي كنيسة بولس المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة -رضي الله عنهم- حتى خربت[١].

---

(١) قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير رحمه الله.

معجزة المائدة

قال الله تعالى: ﴿**إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين**﴾ [المائدة: ١١٢- ١١٥].

ومضمون ذلك: أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يومًا، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى عليه السلام في ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل.

فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحًا من شعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا.

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركةِ وسلامة، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: باسم الله خير الرازقين. فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة، ويقال: وخل، ويقال: ورمان، وثمار، ولها رائحة عظيمة

جداً، قال الله: كوني فكانت.

ثم أمرهم بالأكل منها، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل، فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريبًا من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك، ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كانت يأكل منها نحو سبعة آلاف.

ثم كانت تنزل يومًا بعد يوم، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يومًا بعد يوم، ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء والمحاويج دون الأغنياء، فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك، فرفعت بالكلية ومُسِخ الذين تكلموا في ذلك خنازير.

وقد روى أبي حاتم وابن جرير جميعًا، حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن خلاس، عن عمار بن ياسر، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير**» .

وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري، أنهما قالا: لم تنزل وإنهم أبوا نزولها حين قال: ﴿**فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين**﴾ ولهذا قيل إن النصارى لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكوراً في كتابهم، مع أن خبرها مما تتوافر الدواعي على نقله. والله أعلم.

فضح كذب النصارى واليهود إلى حاخامات اليهود وقساوسة النصارى تعالوا إلى كلمة سواء، اسمعوا وعوا

قال الله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥].

وقال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩].

فأخبره تعالى أنه رافعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان.

قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق: كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصروه في دار ببيت المقدس، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة من ذلك البيت إلى السماء، وأهل البيت ينظرون، فدخلوا فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين

أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبينًا كثيرًا فاحشًا بعيدًا.

وأخبر تعالى بقوله: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**﴾ أي: بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، كما أوردنا ذلك مستقصى في كتاب (الفتن والملاحم) عند أخبار المسيح الدجال، فذكرنا ما ورد في نزول المسيح عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال.

وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًا فقال له : اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك ، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسًا حتى

بعث الله محمدًا -صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن عباس: وذلك قوله تعالى: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ [الصف: ١٤].

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن أبي كريب، عن أبي معاوية به نحوه، ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن أبي معاوية. وهكذا ذكر غير واحد من السلف، وممن ذكر ذلك مطولاً محمد بن إسحاق ابن يسار.

قال: وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر أجله، يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله قيل: وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلاً: بطرس ويعقوب بن زبدا، ويحنس أخو يعقوب وأندراوس، وفلييس، وأبرثلما، ومتى وتوماس، ويعقوب بن حليقيا، وتداوس، وفتياتيا، ويودس بن كريايوطا، وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى.

قال ابن إسحاق: وكان فهيم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي ألقي شبه المسيح عليه فصلب عنه، قال: وبعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح، وألقي عليه شبهه هو يودس بن كريايوطا. والله أعلم.

وقال الضحاك عن ابن عباس: استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقي عليه الشبه.

وقال أحمد بن مروان: حدثنا محمد بن الجهم، قال: سمعت الفراء يقول في قوله: ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾ قال: إن عيسى غاب عن خالته زمانًا فأتاها، فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره، فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى، ثم خرج إلى أصحابه فقال: لم أره، ومعه سيف مسلول، فقالوا: أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه، فقال جل ذكره: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد يعقوب القمي، عن هارون بن عنترة، عن وهب بن منبه ، قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعًا، فقال عيسى لأصحابه: من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة؟ فقال رجل: أنا، فخرج إليهم فقال : أنا عيسى، وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى ، فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى من يومه ذلك.

قال ابن جرير: وحدثنا المثنى حدثنا إسحاق، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبًا يقول: إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه، فدعا الحواريين وصنع لهم طعامًا فقال : احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة، فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال: من رد علي شيئًا الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه، فأقروه، حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة، فإنكم ترون أني خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض، وليبذل بعضكم لبعض نفسه ، كما بذلت نفسي لكم، وأما حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي.

فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله، أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينونني فيها؟ فقالوا: والله ما ندري ما لنا، والله لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرًا، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال: يذهب

بالراعي وتتفرق الغنم، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه.

ثم قال : الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني.

فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا: هذا من أصحابه، فجحد، وقال: ما أنا بصاحبه، فتركوه، ثم أخذه آخرون فجحد كذلك، ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه.

فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعًا.

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءها عيسى فقال: علام تبكيان؟ قالتا: عليك، قال: إني قد رفعني الله إليه ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، فأمروا الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا، فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه فقالوا: إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه، قال : لو تاب لتاب الله عليه، ثم سألهم عن غلام كان يتبعهم يقال له يحيى فقال: هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم.

وهذا إسناد غريب عجيب، وهو أصح مما ذكره النصارى لعنهم الله من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعة فأراها مكان المسامير من جسده، وأخبرها أن روحه رفعت وأن جسده صلب.

وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضى الدليل.

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب، فيما بلغه، أن مريم سألت من بيت الملك بعدما صلب المصلوب بسبعة أيام، وهي تحسب أنه ابنها ، أن ينزل جسده، فأجابهم إلى ذلك ودفن هنالك، فقالت مريم لأم يحيى : ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح؟. فذهبتا فلما دنتا من القبر قالت مريم لأم يحيى : ألا تستترين؟ قالت: وممن أستتر؟ فقالت: من هذا الرجل الذي هو عند القبر. فقالت أم يحيى: إني لا أرى أحداً فرجت مريم أن يكون جبريل ، وكان قد بعد عهدها به، فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته: يا مريم، أين تريدين؟ فقالت: أزور قبر المسيح، فأسلم عليه وأحدث عهداً به، فقال: يا مريم، إن هذا ليس المسيح، إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا، ولكن هذا الفتى الذي ألقي شبهه عليه وصلب وقتل مكانه ، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يبكون عليه، فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فإنك تلقين المسيح.

قال: فرجعت إلى أختها وصعد جبريل، فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة، فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل، وقال: يا أمه، إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك والموت يأتيك قريبًا فاصبري، واذكري الله كثيرًا، ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت.

قال: وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة رضي الله عنها وأرضاها.

وقال الحسن البصري: وكان عمر عيسى عليه السلام، يوم رفع أربعًا

وثلاثين سنة وفي الحديث: «**إن أهل الجنة يدخلونها جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين**» وفي الحديث الآخر: «**على ميلاد عيسى، وحُسن يوسف**» وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن يزيد، عن سعيد بن المسيب، أنه قال: رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه، عن سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن عمارة ابن غزية، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول: أخبرتني فاطمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله، وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس الستين، هذا لفظ الفسوي، فهو حديث غريب.

قال الحافظ ابن عساكر: والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر، وإنما أراد به مدة مقامه في أمته، كما روى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، قال: قالت فاطمة، قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة**» وهذا منقطع.

وقال جرير والثوري عن الأعمش، عن إبراهيم: مكث عيسى في قومه أربعين عامًا.

ويروى عن أمير المؤمنين عليّ أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان، وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام.

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فدنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع

وهي تنظر وألقى إليها عيسى بردًا له وقال: هذه علامة ما بيني وبينك يوم القيامة وألقى عمامته على شمعون، وجعلت أمه تودعه بأصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها، وكانت تحبه حبًا شديدًا، لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له، وكانت لا تفارقه سفرًا ولا حضرًا، وكانت كما قال بعض الشعراء:

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف ببين كان موعده الحشر

وذكر إسحاق بن بشر، عن مجاهد بن جبر أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك، تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان فقيل له: إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويفعل العجائب، فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم فبعث فجيء بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة، فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه، فبايعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم، وبعث إلى المصلوب فرصع عن جذعة وجيء بالجذع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصارى الصليب، ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم، وفي هذا نظر من وجوه:

أحدها: أن يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى، فإنه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق.

الثاني: أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة، وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن باني المدينة المنسوبة إليه على ما سنذكره.

الثالث: أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشبته جعلوا مكانه مطرحًا للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات، فلم يزل كذلك حتى

كان في زمان قسطنطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الحرانيـــة الفندقانيـة فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح، ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب، فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي، فالله أعلم أكـــان هـذا أملاً، وهل كان هذا لأن ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحًا أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصارى في ذلك اليوم ، حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللآلئ، ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتـــبركوا بشـــكلها وقبلوها، وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها كنســية هائلة مزخرفة بأنواع، فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقـــال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ، ويسمونها القيامة، يعنون التي يقوم جسد المسيح منها، ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناســته وقاذوراتــه على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس، فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخباث والأنجـــاس، و لم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله -صلـــى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء بالأنبياء وهو المسجد الأقصى.

نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض

١- قال الله تعالى: ﴿**وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا * بل رفعه الله إليـــه وكان الله عزيزًا حكيمًا**﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

والمقصود من السياق الإخبار بحياته الآن في السماء وليس كما يزعمه أهل الكتاب الجهلة أنهم صلبوه بل رفعه الله إليه ثم ينزل من السماء قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ومما سيأتي أيضًا والله المســـتعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم الذي لا إله إلا هو رب العرش الكريم.

٢- قال مسلم: عن عبد الله بن عمرو وقد جاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة إلى كذا وكذا فقال: سبحانه الله، أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها، لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمرًا أعظم يحزن ويكون، ثم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس، في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: بم تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور، فلا يبقى أحد إلا أصغى ليتًا**[1] **ورفع ليتًا، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه مرة أخرى، فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: أيها الناس، هلموا إلى ربكم ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون. فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق**»[2] .

٣- وقال الإمام أحمد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**سينزل ابن مريم إمامًا عادلاً وحكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيف مناجل ويذهب حمة**

---

(١) صفحة العنق.

(٢) صحيح الجامع برقم (٨٠٤٧).

كل ذات جمة وينزل من السماء رزقها وتخرج من الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره وترعى الغنم والذئاب ولا يضرها ويرعى الأسد والبقر ولا يضرها»[1].

٤- وقال البخاري: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا وإمامًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**[2] **وحتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها**» .

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا**﴾[3] .

٥- روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال: «**ليمكثن عيسى بن مريم بالروحاء فيقومن منها بالحج أو بالعمرة أو ثنتيهما جميعًا**» .

٦- وقال البخاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم عيسى بن مريم وإمامكم منكم**» .

٧- وروى أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الأنبياء إخوة علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممعران كأن رأسه يقطر ماء وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الأمم**

---

(١) تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي صالح.

(٢) صحيح الجامع برقم (٧٠٧٧).

(٣) وكذلك رواه مسلم.

كلها إلا أمة الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فيمكث أربعين ويتوفى ويصلي عليه المسلمون» .

٨- وروى البخاري عن أبي هريرة سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»[١] .

٩- روى البخاري ومسلم: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن رؤيا رآها قال: «**بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، وإذا رجل آدم سبط الشعر، بين رجلين ينطف رأسه ماء فقلت من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريم ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال وأقرب الناس به شبهاً ابن قطن**»[٢] .

قال الزهري: ابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية سوف يتقدم ذكر الدجال بعد ذلك. «**فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه**» .

والمفهوم من الحديث وهو الأشهر في موضع نزول سيدنا عيسى عليه السلام أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق جامع دمشق فلعل

---

(١) صحيح الجامع برقم (١٤٥٢).

(٢) صحيح الجامع برقم (٢٨٦٨).

هذا هو المحفوظ وهذا هو الأنسب والأليق لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له: يا إمام المسلمين يا روح الله، تقدم فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك.

وفي رواية: بعضكم على بعض أمراء (يكرم الله هذه الأمة) وقد جدد بناء المنارة في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، من حجارة بيض وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها ، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قدر الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى بن مريم عليها فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية ولكن من أسلم قبل منه إسلامه، وإلا قتل وكذلك حكم سائر كفار الأرض يومئذ وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك والتشريع له بذلك، فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة.

وقد ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر أنه يمكث في الأرض سبع سنين فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم.

وأيضًا ثبت في الصحيح أن يأجوج ومأجوج يخرجون في زمانه ويهلكهم الله ببركة دعائه في ليلة واحدة، كما وأنه يحج في مدة إقامته في الأرض بعد نزوله.

سلام عيسى على نفسه[1]

قال تعالى على لسان عيسى بن مريم: ﴿**والسلام علي يوم ولـــدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا**﴾ [مريم: ٣٣]. فما الحكمة في تخصيص عيسى بالسلام على نفسه؟

السلام على المؤمنين والمرسلين: للمؤمنين عامة مكانة عند الله، بهـــا يحفظهم ويرعاهم، وبها يؤمنهم من كل مكروه، ومن ذلك نـــرى القـــرآن الكريم يذكر تحية الله لهم، وتكريمه إياهم بالسلام عليهم.

وقد كان للأنبياء والرسل فوق ما للمؤمنين مـــن الحفـــظ والرعايـــة والتأمين، والتحية والتكريم، سلم عليهم بالوصف العام ﴿**وســـلام علـــى المرسلين**﴾ [الصافات: ١٨١]. وسلم عليهم بالعلم الخاص: ﴿**سلام علـــى نوح في العالمين**﴾[الصافات: ٧٩] ﴿**سلام على إبراهيم**﴾ [الصافات:١٠٩] ﴿**سلام على موسى وهارون**﴾[الصافـــات:١٢٠]. ﴿**إن الله وملائكتـــه يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾.

السلام على يحيى وعيسى: ولكن يحيى وعيسى عليهما السلام كان لهما شأن خاص في ولادتهما، فجاء السلام عليهمـــا بنحـــو خـــاص، لا يشاركهما فيه أحد من الأنبياء والمرسلين، فيحيى جاء أثـــرًا لدعـــوة أبيـــه زكريا، بعدأن صارت أمه عاقرًا، وبلغ أبوه من الكبر عتيًا ﴿**رب إني وهـــن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيًا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًا * يرثـــني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**﴾ [مريم: ٤-٦]. فأجـــاب الله دعوته، وحقق له على غير السنة المألوفة أمنيته، ومنحه يحيى وجعله رضيًـــا كما طلب، وصاغه بالخلال الطيبة التي تملأ قلب زكريا فرحًـــا وســـرورًا،

---

(١) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ص ٤٤٠.

وساق إليه البشرى: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًا * وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًا * وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًا**﴾ [مريم: ١٢ -١٤]. وقد توج تلك الخلال بسلام التكريم والحفظ على يحيى في العهود الثلاثة التي تمر بالإنسان، ويكون فيها أشد ما يكون حاجة إلى تكريم الله وحفظه، عهد الظهور في هذه الحياة التي يتعرض فيها للتكاليف والواجبات، وعهد الانتقال منها الذي يترقب فيه المحاسبة على ما قام به من عمل، وعهد الرجوع إلى ربه الذي يرى فيه صحيفة عمله وما أعد له من جزاء. ﴿**وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا**﴾[مريم:١٥] وكان كل ذلك زيادة في تطمين زكريا بإجابة دعوته على أحسن ما تكون الإجابة.

عيسى له شأن خاص:

أما عيسى فقد انفرد عن يحيى بشأن لم يشاركه فيه، فقد أحيطت ولادته من أم فقط - كما تحدث القرآن- من خصوم والدته، وخصوم فضل الله على عباده بما ملأ نفسها ببواعث القلق والاضطراب، ولا لشك في نفسها ، وإنما لتقدير ظنون الناس فيها حتى قالت حينما جاءها المخاض: ﴿**يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا**﴾ [مريم: ٢٣]، وقد كان ما قدرت من قومها ﴿**قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا**﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨] وما أحوجها في ذلك الوقت إلى رحمة خاصة ببرهان محس قاطع، يبدد على القوم أفكارهم بالنسبة إليها، وما هو إلا أن أشارت إليه بعد وضعه فأجابهم بقدرة الله تعالى الذي خلقه من أم فقط ، والذي أنطق كل شيء ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا * وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا**﴾[مريم: ٣٠-٣٣].

وبهذا النطق الإلهي، الذي جرى على لسان عيسى عليه السلام وهو

في المهد، قر الحق في نصابه، وظهر فضل الله تعالى عليه وعلى أمه، وما كان لولد يفتري، ولا لسيدة تفتري أن يحصلا على هذا الفضل وذلك التكريم.

وكما تبدد بهذا المنطق بهتان المفترين، تسجلت به على لسان عيسى عبوديته لله ، وأنه محل رحمته وبركته، وأنه قد صاغه على النحو الذي يريد: نبيًا مباركًا، برًا عطوفًا، رحيمًا، وأنه بعد ذلك كله في محل العناية والأمان من ربه في عهوده الثلاثة، وبه أيضًا تبددت شبهة الذين سموا به عن رتبة البشرية، وقالوا به على الله شيئًا إدًّا.

وإذا كان الله تحدث لزكريا بأوصاف ولده يحيى ، فقد اقتضت حكمته لظروف عيسى الخاصة أن تجري القدرة الإلهية أوصاف عيسى ومزاياه على لسان نفسه، لتكون حجة الحق في طهارة أمه وبشريته نابعة من نفسه وبصوته ، وعلى مسمع من المفرطين فيه المغالين والمفرطين المقصرين: ﴿**ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون**﴾ [مريم: ٣٤].

رأي الشيخ[1] في رفع المسيح

ورد إلى مشيخة الأزهر الجليلة من حضرة عبد الكريم خان بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه:

هل عيسى حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟

وقد حول هذا السؤال إلينا فأجبنا بالفتوى التالية التي نشرتها مجلة الرسالة في سنتها العاشرة بالعدد ٤٦٢.

القرآن الكريم ونهاية عيسى : أما بعد: فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور:

---

(١) فتاوى الإمام الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق ص ٥٩.

١- في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٥].

٢- في سورة النساء قوله تعالى: ﴿**وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا**﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٥].

٣- وفي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

هذه هي الآيات التي عرض القرآن فيها لنهاية شأن عيسى عليه السلام مع قومه. والآية الأخيرة آية المائدة تذكر لنا شأنًا أخرويًا يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا وقد سأله الله تعالى عنها، وهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به ﴿**اعبدوا الله ربي وربكم**﴾ وأنه كان شهيدًا عليهم مدة إقامته بينهم، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن توفاه الله.

معنى التوفي: وكلمة (توفي) قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر: ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم**﴾ [السجدة: ١١] ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**﴾ [النساء: ٩٧] ﴿**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة**﴾[الأنفال: ٥٠] ﴿**توفته رسلنا**﴾[الأنعام: ٦١] ﴿**ومنكم من يتوفى**﴾ [الحج: ٥]. ﴿**حتى يتوفاهن الموت**﴾[النساء: ١٥]. ﴿**توفني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾ [يوسف: ١٠١].

ومن حق كلمة توفيتني في الآية أن تحمل هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد، وإذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها في تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حي لم يمت.

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء، وأنه سينزل منها آخر الزمان، لأن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد -صلى الله عليه وسلم- باتفاق لا قوم عيسى عليه السلام.

معنى رفعه الله إليه، وهل هو إلى السماء؟

أما آية النساء فإنها تقول ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾ وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إن الله تعالى ألقى شبهه على غيره، ورفعه بجسده إلى السماء فهو حي فيها وسينزل منها آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويعتمدون في ذلك:

أولاً: على روايات تفيد نزول عيسى عليه السلام بعد الدجال، وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع

بيّنها، وقد نص على ذلك علماء الحديث ، وهي فوق ذلك من رواية وهب ابن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفت درجاتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

ثانيًا: على حديث مروي عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات [1].

ثالثًا: على ما جاء في حديث المعراج من أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية، ويكفينا في توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج وفي شأن اجتماع محمد - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء، وأنه كان اجتماعًا رُوحيًا لا جسمانيًا انظر فتح الباري وزاد المعاد وغيرهما [2].

---

(١) وهنا قول خاطئ ، حيث إن أحاديث الآحاد يجب الأخذ بها في مسائل الاعتقاد، وغيرها ما دام سندها قد صح إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم- وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد في الاعتقاد هو من آراء المعتزلة الفاسدة، وللعلامة الألباني - رحمه الله- رسالة نفيسة بعنوان «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الاعتقاد وغيره» فهي تناقش هذا الرأي بصورة علمية متزنة، وتنقض آراء القائلين به.

(٢) وهذا القول مرجوح ؛ بل الراجح في المسألة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إسراؤه ومعراجه بالروح والجسد، ولوكان بالروح دون الجسد لما كان لهذا الحدث ما قوبل به من الكفار حيث إنهم ما صدقوا به، واعترضوا على النبي - صلى الله عليه وسلم- في قوله أنه أسرى به في ليلة واحدة إلى بيت المقدس، ولو قال لهم : إن هذا كان منامًا وبالروح فقط لما عارضوه أو حاولوا اختباره بطلبهم وصف المسجد الأقصى.

وهذا هو المقرر في معتقد أهل السنة والجماعة -نسأل الله الهداية والثبات على الحق- وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي في هذه المسألة.

ومن الظريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع في الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج، بينما نرى فريقًا منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى عليه السلام في المعراج كان اجتماعًا جسديًا بقوله تعالى: ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾ وهكذا يتخذون الآية دليلاً على ما يفهمونه من الحديث حيث يكونون في تفسير الحديث ويتخذون دليلاً على ما يفهمونه من الآية حيث يكونون في تفسير الآية.

الرفع في آية آل عمران: ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى: ﴿**إني متوفيك ورافعك إلي**﴾ في آيات آل عمران مع قوله: ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾ في آيات النساء وجدنا الثانية إخبارًا عن تحقيق الوعد الذي تضمنته الأولى، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير ، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر في الأولى جمعًا بين الآيتين.

والمعنى أن الله توفى عيسى عليه السلام ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا.

وقد فسر الألوسي قوله تعالى: ﴿**إني متوفيك**﴾ بوجوه منها، وهو أظهرها ، إني متوفي أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك، وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام، لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك.

وظاهر أن الرفع الذي يكون بعد التوفية، هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصًا وقد جاء بجانبه قوله: ﴿**ومطهرك من الذين كفروا**﴾ مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم.

وقد جاء الرفع في القرآن كثيرًا بهذا المعنى، ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع**﴾[النور:٣٦]. ﴿**نرفع درجات من نشاء**﴾[يوسف:٧٦] ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾[الشرح:٤] ﴿**ورفعناه مكانًا عليًا**﴾[مريم: ٥٧] ﴿**يرفع الله الذين**

آمنوا﴾ [المجادلة: ١١]...إلخ.

وإذن فالتعبير بقوله: ﴿**ورافعك إلي**﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله: ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾ [النساء: ١٥٨] كالتعبير في قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى وفي ﴿**إن الله معنا**﴾، و﴿**عند مليك مقتدر**﴾ [القمر:٥٥] وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس.

فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة إليه؟ اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح خضوعًا لقصص وروايات لم يقم على الظن بها ، فضلاً عن اليقين برهان ولا شبه برهان[1].

الفهم المتبادر من الآيات : وبعد: فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العداء، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، فالتجأ إلى الله شأن الأنبياء والمرسلين فأنقذه الله تعالى بعزته وحكمته وخيب مكر أعدائه ، وهذا هو ما تضمنته الآيات ﴿**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله**﴾ إلى آخرها. بين الله فيها قوة مكره بالنسبة إلى مكرهم ، وأن مكرهم في اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله في حفظه وعصمته إذ قال: ﴿**يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا**﴾ فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم في نحورهم، وأنه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه.

وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة في شأن نهاية عيسى مع قومه متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تحكم في القرآن، ولست أدري

(١) لقد اعتمد الشيخ -رحمه الله- في تأويله على تفسير الآلوسي الذي لم يحقق المسألة بالطريقة العلمية وهو يعتمد كثيرا على التأويل، ومتكلّم في مخالفته للكثير من أهل السنة، والجماعة، وإذا أردت التحقيق -أيها القارئ- في المسألة فعليك بالرجوع إلى التفاسير العلمية المعتمدة على الآثار السلفية في المسألة بعيداً عن الفلسفة والكلام، فعليك بتفسير الطبري وابن كثير -رحمهما الله تعالى-.

كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ، ورفعه بجسده إلى السماء مكرًا؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شيء ليس في استطاعتهم أن يقاوموه شيء ليس في قدرة البشر؟

إلا أنه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جاريًا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه، وقد جاء مثل هذا في شأن محمد -صلى الله عليه وسلم-: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ [الأنفال: ٣٠].

ما جاء أن عيسى إذا نزل يجد في أمة محمد ﷺ خلقًا من حوارييه

ذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول في الأصل الثالث والعشرين والمائة قال: حدثنا الفضل بن محمد الواسطي قال: حدثنا إبراهيم ابن الوليد الدمشقي قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبد الملك بن عقبة الأفريقي، عن أبي يونس مولى أبي هريرة، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثني خالد بن الوليد بشيرًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم مؤتة فلما دخلت عليه قلت: يا رسول الله فقال: «**على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل رحم الله زيدًا، ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل حتى قتل رحم الله جعفر، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، رحم الله عبد الله بن رواحة، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد فخالد سيف من سيوف الله**» فبكى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم حوله فقال: «**ما يبكيكم؟**» قالوا: وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال : «**لا تبكوا فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتب رواكبها وهيأ مساكبها وحلق سعفها فأطعمت عامًا فوجًا، ثم عامًا فوجًا فلعل آخرها عامًا طعمًا يكون**

أجودها قنوانا وأطولها شمراخًا، والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمتي خلقًا من حوارييه»[1].

حدثنا علي بن سعيد بن مروزق الكندي قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن صفوان بن عمرو السكسكي، عن عبد الرحمن بن حسين، عن جبير بن نفير الحضري قال: لما اشتد جزع أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على من أصيب مع زيد بن حارثة يوم مؤتة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ليدركن المسيح من هذه الأمة أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**»[2]. والله أعلم.

ما جاء أن الدجال لا يضر مسلمًا

البزار عن حذيفة قال: كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر الدجال فقال: «**لفتنة من بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها والله لا يضر مسلمًا، مكتوب بين عينيه: كافر**»[3].

قلت: إن قيل: كيف قال في هذا الحديث لا يضر مسلمًا، وقد قتل الرجل الذي خرج إليه من المدينة ونشره بالمنشار وذلك أعظم الضرر؟ قلنا: ليس المراد ذلك وإنما المعنى أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيرده عن دينه لما يرى عليه من سيماء الحدث، ومن لم يكن بهذه الصفة فقد يفتنه ويتبعه لما يرى من الشبهات كما في الحديث المذكور في الباب قبل هذا، ويحتمل أن يكون عمومًا يخصه ذلك الحديث وغيره، والله أعلم.

---

(١) ضعيف جدًّا: الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/٦١٦، ٦١٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: ذكره الهيثمي بمعناه في المجمع (٧/٣٣٥) وقال: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

ما ذكر من أن ابن صياد الدجال واسمه صاف ويكنى أبا يوسف وسبب خروجه وصفة أبويه وأنه على دين اليهود

روى مسلم عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد: الدجال فقلت له: أتحلف على ذلك؟! قال: سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم ينكره النبي -صلى الله عليه وسلم-[1] وأخرجه أبو داود في سننه.

وعن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد[2] أخرجه أبو داود أيضًا وإسناده صحيح.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا حجاجًا أو عمارًا ومعنا ابن صياد قال : فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه قال: وجاء بمتاعه فوضعه على متاعي فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال ففعل فرفعت لنا غنم فانطلق بعس فقال: اشرب أبا سعيد فقلت: إن الحر شديد واللبن حار ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده أو قال: أخذه عن يده، فقال: أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما خفي عليكم معشر الأنصار ألست من أعلم أصحاب رسول الله، أليس قد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هو كافر وأنا مسلم**» أو ليس قد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يدخل المدينة ولا مكة فقد أقبلت من المدينة وأنا بمكة**» وفي رواية: «**وقد حججت**» قال أبو سعيد: حتى كدت أني أعذره ثم قال: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن،

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٢٩/٩٤) وأبو داود في الملاحم (٤٣٣١).

(٢) صحيح: أبو داود في الملاحم (٤٣٣٠).

قال: قلت له: تبًّا لك سائر اليوم، وفي رواية: قال أبو سعيد: وقيل له أيسرك أنك ذاك الرجل -أي: الدجال- قال: فقال: لو عرض عليّ ما كرهت[1] .

وعن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد مرتين، فقلت لبعضهم هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا والله، قال: قلت كذبتني والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولدًا ، فكذلك هو كما زعموا اليوم، قال: فتحدثنا ثم فارقته قال: فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه قال: فقلت متى فعلت عينك ما أرى ؟ قال: لا أدري. قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك، قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت قال : وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت: ما تريد إليه ألم تعلم أنه قد قال : إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه، وعنه قال: انطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يحتال أن يسمع من ابن صياد شيئًا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت: لابن صياد: يا صاف هو اسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لو تركته بين**»[2] .

وفي رواية: ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إني قد خبأت لك خبئًا**» فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**» فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٢٧/٩٠، ٩١).

(٢) صحيح: البخاري في الأدب (٦١٧٤) ومسلم في الفتن (٢٩٣١).

رسول الله أضرب عنقه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير في قتله**»(١) .

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة.

روى الترمذي عن أبي بكر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما ولد أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه**» ثم نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبويه فقال : «**أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاخية طويلة اليدين**» قال أبو بكر: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهما فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عامًا لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عندها فهو منجدل في الشمس في قطيفة وله همهمة فكشف عن رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم، تنام عيناي ولا ينام قلبي(٢) . قال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

قلت: خرجه أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي ابن زيد عن عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه(٣) .

وروي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن يهوديًا أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث بطوله. وفي آخره: فأخبرني عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد إبليس؟ قال: «**هو من ولد آدم لا أنه من ولد**

---

(١) صحيح: البخاري في الأدب (٦١٧٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٣٠/٩٥) وأبو داود (٤٣٢٩).

(٢) ضعيف: الترمذي في الفتن (٢٢٤٨) فيه علي بن زيد هو ضعيف.

(٣) ضعيف: أبو داود الطيالسي (٨٦٥).

إبليس، وأنه على دينكم معشر اليهود» وذكر الحديث.

وقيل: إنه لم يولد بعد، وسيولد في آخر الزمان، والأول أصح لما ذكرنا، وبالله توفيقنا.

وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أن الدجال ابن صياد، والله أعلم.

اختلاف الناس في ابن صياد

قال أبو سليمان الخطابي: وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول وقد يسأل عن هذا فيقال : كيف يقارن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من يدعي النبوة كاذبًا ويتركه بالمدينة يساكنه في داره ويجاوره فيها وما وجه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**» .

قال أبو سليمان: والذي عندي أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليهود وحلفاءهم ، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتابًا وصالحهم فيه على أن يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً في جملتهم وكان يبلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنه بذلك ليرى آية أمره، فلما كلمه علم أنه معطل وأنه من جملة السحرة والكهنة يأتيه رييب من الجنة أو يتعاهده شيطان فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به ، فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال: «**اخسأ ولن تعدو قدرك**» يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها ويخطئ في بعض وذلك معنى قوله: «**يأتي صادق وكاذب**» فقال له عند ذلك خلط عليك.

والحكمة في أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده المؤمنين ليهلك من

هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وقد امتحن الله قوم موسى في زمانه بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا ونجا من هداه الله وعصمه منهم، وقد اختلفت الروايات في أمر ابن صياد فيما كان من شأنه بعد كبره ، فروي أنه تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عـــن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا.

قال الشيخ: الصحيح خلاف هذا لحلف جابر وعمر أن ابـــن صيـــاد الدجال، وروي أن أبا ذر كان يقول: هو الدجال، وروي ذلك عـــن ابـــن عمر، وقال ابن جابر: فقدناه يوم الحرة، هذا ولما كان مثله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة، والله أعلم.

وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أن الدجال ابن صياد عند كلامنا على خبر الجساسة إن شاء الله تعالى.

ما جاء في نقب يأجوج ومأجوج السد وخروجهم وصفتهم وفي لبساهم وطعامهم وبيان قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾ [الكهف: ٩٨]

روى ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليـــه وسلم-: «**إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كـــادوا يـــرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على النـــاس حفـــروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال: ارجعوا فستحفرونه غـــداً إن شاء الله، فيرجعون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينسفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم في السماء فيرجع إليها الدم، الذي أحفظ فيقولون: قهرنا أهـــل الأرض، وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم، فيقتلون**» قال رسول الله

-صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تسمن وتشكر شكرًا من كثرة ما تأكل من لحومهم**»(١) .

قال الجوهري: شكرت الناقة تشكر شكرًا فهي شاكرة واشتكر الضرع امتلأ.

قال كعب الأحبار: إن يأجوج ومأجوج ينقرون بمناقرهم السد حتى إذا كادوا أن يخرجوا قالوا: نرجع إليه غداً وقد عاد كما كان، فإذا بلغ الأمر ألقي على بعض أن يقولوا: نرجع إن شاء الله فنفرغ منه، قال: فيرجعون إليه وهو كما تركوه فيخرقونه، ويخرجون ، فيأتي أولهم البحيرة فيشربون ما فيها من ماء ، ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من طين، ويأتي آخرهم فيقولون: قد كان هاهنا ماء ثم يرموا بنبالهم نحو السماء فيقولون: قد قهرنا من في الأرض وظهرنا على من في السماء قال : فيصب الله عليهم دواب يقال له النغف، فيأخذ في أقفائهم فيقتلهم النغف حتى تنتن الأرض من ريحهم ، ثم يبعث الله عليهم طيرًا فتنقل أبدانهم إلى البحر فيرسل الله السماء أربعين، فتنبت الأرض حتى إن الرمانة لتشبع السكن، قيل لكعب: وما السكن؟ قال: أهل البيت، قال : ثم يسمعون الصيحة.

وخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الله عليه وسلم- قال: «**يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ [الأنبياء:٩٦] فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون، حتى يصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربون حتى ما يذروا فيه شيئًا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء، ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، لننازلن أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى**

(١) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٨٠) وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون: قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضًا، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسًا، فيقولون : هل من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا، فينزل إليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى ، فيناديهم: ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط»(١) .

وخرج ابن ماجه أيضًا وأبو بكر بن أبي شيبة واللفظ لابن ماجه، عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان ليلة أسري برسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهما السلام فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده علم منها، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده علم منها فردوا الحديث إلى عيسى قال: قد عهد إلي فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكروا خروج الدجال، قال: فأنزل إليه فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج. ﴿**وهم من كل حدب ينسلون**﴾ فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا شيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى الله فأدعوا الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعو الله فيرسل السماء فتحملهم فتلقيهم في البحر، ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد إليّ إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدري أهلها متى تعجلهم بولادتها. قال ابن أبي شيبة: ليلاً أو نهارًا(٢) .

قال العوام: ووجه تصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾ [الأنبياء: ٩٦] فلا

---

(١) حسن: ابن ماجه في الفتن (٤٠٧٩).

(٢) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٤٠٨١) وفي الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

يمرون بماء إلا شربوه ولا شيء إلا أفسدوه زاد ابن أبي شيبة: ﴿**واقترب الوعد الحق**﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وروي عن عمرو بن العاص قال: إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم ليس فيهم حريق، هم على ثلاثة أصناف: على طول الشبر، وعلى طول الشبرين، وثلث منهم طوله وعرضه سواء، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام.

وروي عن عطية بن حسان أنه قال: يأجوج ومأجوج أمتان في كل أمة أربعمائة ألف ليس منها أمة تشبه بعضها بعضاً.

وروي عن الأوزاعي أنه قال: الأرض سبعة أجزاء، فستة أجزاء منها: يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق.

وروي عن قتادة أنه قال: الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ يعني الجزء الذي فيه سائر الخلق غير يأجوج ومأجوج، فاثنا عشر للهند والسند، وثمانية آلاف للصين وثلاثة آلاف للروم وألف فرسخ للعرب.

وذكر علي بن معبد ، عن أشعث، عن شعبة، عن أرطاة بن المنذر قال: إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجت خلقًا من خلقي لا يطيقهم أحد غيري فمر بمن معك إلى جبل الطور ومعه من الذراري اثنا عشر ألفًا، قال: يأجوج ومأجوج ذرء في جهنم، وهم على ثلاثة أثلاث: ثلث على طول الأرز وثلث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد، وثلث يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، وهم من ولد يافث بن نوح.

ويروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**يأجوج أمة لها أربعمائة أمير، وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده، صنف منهم كالأرز، وصنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعًا، وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا خنزير**

إلا أكلوه، ويأكلون من مات منهم، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ، فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس»[1] .

ويروي أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمي كنمائهم في العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم، يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، صح أصله في كتاب القصد والأمم في أنساب العرب والعجم، قال: ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة.

وقال كعب الأحبار: خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاث أصناف: صنف أجسامهم كالأرز، وصنف: أربعة أذرع طولاً وأربعة أذرع عرضًا، وصنف: يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى فيأكلون مشائم نسائهم، ذكره أبو نعيم الحافظ، وذكره عبد الملك بن حبيب أنه قال في قول الله عز وجل في صفة ذي القرنين ﴿**فأتبع سببًا**﴾[الكهف: ٨٥] يعني: منازل الأرض ومعاليها وطرقها ﴿**حتى إذا بلغ بين السدين**﴾ يعني الجبلين اللذين خلفهما يأجوج ومأجوج ﴿**وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولاً**﴾ أي: كلامًا: ﴿**قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض**﴾ [الكهف:٩٤].

قال عبد الملك: وهما أمتان من ولد يافث بن نوح مد الله لهما في العمر وأكثر لهما في النسل، حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء: يأجوج ومأجوج، منهم تسعة أجزاء، وسائر ولده كلهم جزء واحد.

قال عبد الملك، كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القوم الذين هم

---

(١) موضوع: ابن عدي في الكامل (٦/١٦٩) وقال: حديث منكر.

قريب منهم فلا يدعون لهم شيئًا إذا كان أخضر إلا أكلوه، ولا يابسًا إلا حملوه، فقال أهل تلك الأرض لذي القرنين: هل لك أن نجعل لك خرجًا، يعني: جعلاً. ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا﴾ [الكهف: ٩٤] قال: ما مكني فيه ربي خير من جعلكم ولكن ﴿فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا﴾ قالوا له: وما تريد؟ قال: ﴿آتوني زبر الحديد﴾ [الكهف:٩٦] أي: قطع الحديد فوضع بعضها على بعض كهيئة البناء فيما بين السدين وهما جبلان: ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ [الكهف:٩٦] يعني: جانبي الجبلين: ﴿قال انفخوا﴾ أي: أوقدوا ﴿حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا﴾ أي من تحته، وقال عبد الملك في قوله: ﴿أفرغ عليه قطرًا﴾ يعني نحاسًا ليلتصق فأفرغه عليه فدخل بعضه في بعض قال: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾ [الكهف:٩٨].

وفي تفسير الحوفي أبي الحسن: أن ذا القرنين لما عاين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو في منقطع الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بُعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسًا حتى إذا بلغ الماء جعل عرضه خمسين فرسخًا، وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلافه عرقًا من نحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عائدًا إلى جماعة الإنس والجن. انتهى كلام الحوفي.

وعن علي -رضي الله عنه- قال: وصنف منهم في طول شبر لهم مخالب وأنياب كالسباع، وتداعي الحمام، وتسافد البهائم، وعواء الذئب، وشعور تقيهم الحر والبرد، وآذان عظام إحداهما وبرة يشتون فيها، والأخرى جلدة يصيفون فيها.

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: الأرض ستة أجزاء، فخمسة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق.

وقال كعب الأحبار: احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك. قال علماؤنا: وهذا فيه نظر؛ لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يحتلمون.

وقال الضحاك: هم من الترك.

وقال مقاتل: هم من ولد يافث بن نوح وهذا أشبه كما تقدم. والله أعلم.

وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمزة فيهما. وكذلك في الأنبياء على أنهما مشتقان من أجة الحر، وهي شدته وتوقده، ومنه أجيج النار، ومن قولهم: ملح أجاج فيكونان عربيين من أج ومج ولم يصرفا لأنهما جعلا اسمين فهما مؤنثتان معرفتان، والباقون بغير همز جعلوها لقبيلتين أعجميتين ولم يصرفا للعجمة والتعريف.

الدابة وصفتها ومتى تخرج ومن أين تخرج، وكم لها من خرجة وصفة خروجها وما معها إذا خرجت وحديث الجساسة وما فيها من ذكر الدجال قال الله تعالى ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ [النمل: ٨٢]

وذكر أبو بكر البزار قال: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا عبد المجيد ابن عبد العزيز، عن موسى بن عبيدة، عن صفوان بن سليم ، عن ابن لعبد الله بن مسعود ، عن أبيه -رضي الله عنه- قال : أكثروا من زيارة هذا البيت من قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه، وأكثروا من تلاوة القرآن من قبل أن يرفع. قالوا: يا أبا عبد الرحمن ما هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يصبحون فيقولون: قد كنا نتكلم بكلام ونقول قولاً فيرجعون إلى شعر الجاهلية وأحاديث الجاهلية وذلك حين يقع القول عليهم.

قال المؤلف رحمه الله: ولا يبعد أن تظهر السمة وتتبين بالنفخ فتجمع عليه الأمرين وعلى هذا لا تعارض والله أعلم.

وذكر البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا علي ابن الجعد ، عن فضيل بن مرزوق الرقاشي : وسئل عنه يحيى بن معين فقال: ثقة.

عن عطية العوفي عن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة أيام لا يخرج مثلها.

وذكر الميانشي عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«دابة الأرض تخرج من جياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات وبر وقوائم»**[1] .

---

(١) ضعيف: ابن أبي شيبة (١٥/٦٧).

هذه الأحاديث وما تقدم من ذكر العلماء في الدابة وما يأتي يرد قول من قال من المفسرين المتأخرين: إن الدابة إنما هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم ليتقطعوا، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال شيخنا أبو العباس: وعلى هذا لا يكون فيها آية خاصة خارقة للعادة، ولا يكون من جملة العشر آيات المذكورة في الحديث، لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير فلا آية خاصة ينبغي أن تذكر مع العشر.

قلت: فساد ما قاله هذا المتأخر واضح وأقوال المفسرين بخلافه.

وروي من حديث هشام بن يوسف القاضي أبي عبد الرحمن الصنعاني، عن رباح بن عبيد الله بن عمر، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بئس الشعب جياد**» قالوا: وفيم ذلك يا رسول الله؟ قال: «**تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين**»[(١)].

لم يتابع رباح على هذا أخرج الحديث أبو أحمد بن عدي الجرجاني رحمه الله.

وعن عمرو بن العاص قال: «**تخرج الدابة من مكة من شجرة وذلك في أيام الحج فيبلغ رأسها السحاب، وما خرجت رجلاها بعد من التراب**» ذكره القتبي في عيون الأخبار له.

وأصح أقوال المفسرين بخلاف ما قال. وأنها خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد فتسم المؤمن فينير وجهه، وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر فيسود وجهه وتكتب بين عينيه: كافر.

وقال عبد الله بن عمر: تخرج الدابة من جبل الصفا بمكة ينصدع

---

(١) ضعيف: ذكره الهيثمي في المجمع (٧/٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه رباح بن عبيد الله بن عمر وهو ضعيف.

فتخرج منه.

وقال عبد الله بن عمر ونحوه، وقال: لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت.

وروي عن قتادة أنها تخرج من تهامة. وروي أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث نار تنور نوح، وقيل: من أرض الطائف، وروي عن ابن عمر أنها على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوائمها في الأرض.

وروي عن ابن الزبير: أنها جمعت من خلق كل حيوان، فرأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعًا، ذكره الثعلبي والماوردي وغيرهما.

وحكى النقاش عن ابن عباس: أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة، ويروى أنها دابة مزغبة شعرًا ذات قوائم طولها ستون ذراعًا، ويقال إنها الجساسة في حديث فاطمة بنت قيس الحديث الطويل، وخرجه مسلم وذكره الترمذي وأبو داود مختصرًا والسياق لمسلم وفيه: ثم قال رسول الله: «**أتدرون لم جمعتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة، ولا لرهبة ولكني جمعتكم؛ لأن تميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًا فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حيث مغرب الشمس، قال: فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره، من كثرة الشعر**»[1] .

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (١١٩/٢٩٤٢).

وقال الترمذي: إن ناسًا من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر فجالت بهم حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر، فإذا هم بدابة لباسة ناشرة شعرها، فقالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة[1] وذكر الحديث.

راجع سياق مسلم فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إليّ خبركم بالأشواق، قال لما: سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير فإذا هو أعظم إنسان رأيناه خلقًا وأشد وثاقًا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، وقال الترمذي: فإذا رجل موثق بسلسلة.

قال أبو داود: فإذا الرجل يجر شعره مسلسلاً في الأغلال ينزو فيها بين السماء والأرض. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم فلعب الموج بنا شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة فقلنا وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إليّ خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها وما نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان وقال الترمذي: الذي بين الأردن وفلسطين. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا: له: نعم، قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم، هي

---

(١) صحيح: الترمذي في الفتن (٢٢٥٣).

كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك هو خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني أنا المسيح الدجال، وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف مصلتًا يصدني عنها وأن على كل ثقب منها ملائكة يحرسونها.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطعن بمخصرته في المنبر: «**هذه طيبة**» يعني المدينة «**ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟**» فقال الناس: نعم، قال: «**فإنه أعجبني حديث تميم الداري فإنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا إنه في بحر الشام وبحر اليمن لا بل من قبل المشرق وما هو من قبل المشرق، وأومأ بيده إلى المشرق**» قال: حفظت هذا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-(١).

وقد خرج ابن ماجه حديث فاطمة بنت قيس: قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه مثل ذلك اليوم إلا يوم الجمعة، فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس فأشار إليهم بيده أن «**اقعدوا، فوالله ما قمت مقامي إلا لأمر ينفعكم لا رغبة ولا رهبة، ولكن تميمًا الداري أتاني فأخبرني خبرًا منعني القيلولة من الفرح وقرة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم -صلى الله عليه وسلم- إلا إن ابن عم لتميم الداري أخبرني أن الريح ألجأتهم إلى جزيرة لا يعرفونها،**

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٤٢/١١٩)، والترمذي في الفتن (٢٢٥٣) وأبو داود (٤٣٢٦).

فقعدوا في قوارب السفينة فخرجوا بها فإذا هم بشيء أهدب أسود كثير الشعر. قالوا لها: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: أخبرينا قالت: ما أنا مخبرتكم شيئًا ولا سائلتكم، ولكن هذا الدير قد رهقتموه فأتوه فإن فيه رجلاً بالأشواق إلى أن تخبروه ويخبركم فأتوه فدخلوا عليه، فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق مظهر الحزن شديد التشكي، قال لهم: من أين؟ فقالوا: من الشام. فقال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قوم من العرب علام تسأل؟ قال: ما فعل الرجل الذي خرج فيكم؟ قالوا: خيرًا أتى قومًا فأظهره عليهم، فأمرهم اليوم جميع إلههم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد. قال: ما فعلت عين زغر؟ قالوا: خيرًا يسقون منها لزروعهم ويستقون منها لشعبهم، قال: ما فعل نخل بين عمان وبيسان؟ قالوا: يطعم ثمره كل عام. قال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قالوا: تدفق بجنباتها من كثرة الماء فزفر ثلاث زفرات ثم قال: لو انفلت من وثاقي هذا لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجلي هاتين إلا طيبة ليس لي عليها سبيل».

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إلى هذا انتهي وحيي هذه طيبة والذي نفسي بيده ما فيه طريق ضيق ولا واسع ولا سهل ولا جبل إلا عليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة**»(١) .

قال المؤلف رحمه الله: هذا حديث صحيح، وقد خرجه مسلم والترمذي وأبو داود وغيرهم -رضي الله عنهم-.

وقد قيل: إن الدابة التي تخرج هي الفصيل الذي كان لناقة صالح عليه السلام فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل فيه ثم انغلق عليه، فهو فيه إلى وقت خروجه حتى يخرج بإذن الله تعالى.

قلت: ويدل على هذا القول حديث حذيفة المذكور في هذا الباب وفيه: ترغو والرغال إنما هل للإبل والله أعلم.

---

(١) صحيح: ابن ماجه في الفتن (٧٠٧٤).

ولقد أحسن من قال:

واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والإيمان

وقد استدل من قال من العلماء: إن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان في معناه، والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم وما يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة، وفي كتاب أبي داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: شهد جابر أنه هو ابن صياد قلت: فإنه قد مات قال: وإن مات، قلت: فإنه قد أسلم قال : وإن أسلم، قلت: فإنه قد دخل المدينة، قال: وإن دخل المدينة[1] .

وذكر سيف بن عمر في كتاب الفتوح والردة: ولما نزل أبو سبرة في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم الشهربان أخو الهرمزان ناوشوهم القتال، كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين، فأشرف عليهم يوماً الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان فيكم الدجال، فستفتحونها وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا أنفسكم بالحصار. قال وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جند فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقال: انفتح فطار فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون، وقصته مع أبي سعيد، وقوله: والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن. وقال الترمذي: وأين هو الساعة من الأرض، وأعرف والده كالنص في أنه هو، واحتجاجه بأنه مسلم، وولد له، ودخل المدينة وهو يريد مكة تلبس منه، وأنه سيكفر إذا خرج، وحينئذ لا يولد ولا يدخل مكة والمدينة، والله أعلم.

وقوله: أرفأوا أي ألجأوا إلى جزيرة لجأوا مرفأ السفينة حيث ترسى،

---

(١) حسن: أبو داود في الملاحم (٤٣٢٨).

يقال: أرفأت السفينة إذا قربتها من الشط، وذلك الموضع مرفأ، وأرفأت إليه لجأت إليه، وأقرب السفينة هي القوارب الصغار يتصرب بها ركاب السفينة والواحد قارب على غير قياس.

قال الخطابي والمازري: والمهلب: الشعر الغليظ، وقال: أهلب على معنى الحيوان أو الشخص، ولو راعى اللفظ لقال هلبًا كأحمر وحمر، والأهلب أيضًا عند بعض أهل اللغة: الذي لا شعر عليه وهو من الأضداد، واستفهامهم منها: ظنًا منهم أنها ممن لا تعقل، فلما كلمتهم، فرقوا: أي فزعوا، واغتلام البحر: هيجانه وتلاطم أمواجه، وبيسان وزغر: موضعان بالشام بين الأردن وفلسطين، كما في حديث الترمذي.

قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية: كانت بيسان مدينة وفيها سوق كبيرة وعين تسمى عين (فلوس) يسقى منها، وبحيرة طبرية هي بحيرة عظيمة طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال وموجها في سور قلعتها، وهي عميقة تجرى فيها السفن ويصاد منها السمك، وماؤها حلو فرات، وبين بحيرة طبرية وبيت المقدس نحو من مائة ميل، وهي من الأردن، وهي تصغيربحيرة لا بحر، لأن البحر مذكر وتصغيره بحير، وعين زغر -بضم الزاي وفتح العين- وامتناع صرفه للعلمية والعدل لأنه معدول عن زاغر كعمر معدول عن عامر، وزعم الكلبي أن زغر اسم امرأة نسبت هذه العين إليها، فإن كان ما قاله حقًّا فلأن هذه المرأة استنبطتها واتخذت أرضها دارً لها، فنسبت إليها. ذكره ابن دحية في كتاب البشارات والإنذارات له من تأليفه.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن**» شك أو ظن ما قاله عليه الصلاة والسلام أو قصد الإيهام على السامع، ثم نفى ذلك وأغرب عليّ بالتحقيق فقال: لا بل من قبل المشرق، ثم أكد ذلك بما الزائدة وبالتكرار اللفظي فما زائدة لا نافية، فاعلم ذلك.

طلوع الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة

وكم يمكث الناس بعد ذلك؟

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها والدجال، ودابة الأرض**»(١) .

وخرج الترمذي والدارقطني: عن صفوان بن عسال المرادي قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تغرب الشمس من نحوه**»(٢) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال سفيان: قبل الشام، خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض يعني: باب التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه(٣) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي وغيره من المفسرين في حديث فيه طول، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما معناه: «**إن الشمس تحبس على الناس حتى تكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت واستأذنت ربها عز وجل من أين تطلع لم يحر إليها جواب، حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يحر إليه جواب، حتى يجلسا مقدار ثلاث ليالي للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف ما طول تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض، وهم يومئذ عصابة قليلة في كل**

---

(١) صحيح: مسلم في الإيمان (١٥٨/٢٤٩).

(٢) صحيح: الترمذي في الدعوات (٣٥٣٦) والدارقطني (١/١٩٧).

(٣) صحيح: الترمذي في الدعوات (٣٥٣٥).

بلدة من بلاد المسلمين، فإذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى إليهما جبريل عليه السلام، فيقول: إن الرب سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيطلعان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى : ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ وقوله: ﴿إذا الشمس كورت ﴾ فيرتفعان كذلك مثل البعيرين والفرسين ، فإذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي نصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما وردهما إلى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما، ولكن يغربهما من باب التوبة، ثم يرد المصراعين ثم يلتئم بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع ، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها من كان قبل ذلك محسناً، فإنه يجري عليه ما كان عليه قبل ذلك اليوم، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾» .

ثم الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك الضوء والنور، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كان قبل ذلك يطلعان ويغربان وذكر الميانشي وقال عبد الله ابن عمرو عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**ويبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة**»[1] .

قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

---

(١) سبق تخريجه.

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١). أي: تبلغ روحه رأس حلقه وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله. وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أن كان كالمشاهد له مردودة ما عاش؛ لأن علمه بالله تعالى وبنبيه -صلى الله عليه وسلم- وبوعده قد صار ضرورة، فإن امتدت أيام الدنيا إلا أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان وهم يتحدثون عنه إلا قليلاً، فيصير الخبر عنه خاصًا وينقطع التواتر عنه، فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قُبل منه، والله أعلم.

وقد قيل: إن الحكم في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود: ﴿**فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر**﴾ [البقرة: ٢٥٨] وإن الملحدين والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون: هو غير كائن فيطلعها الله تعالى يومًا من المغرب ليُرى المنكرين لذلك قدرته من أن الشمس في قدرته، إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من المغرب، وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن ، وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبي -صلى الله عليه وسلم -، فأما المصدق فإنه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك، والله أعلم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لا يقبل من كافر عمل ولا توبة إذا أسلم حين يرى إلا من كان صغيرًا يومئذ فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل منه ومن كان مؤمنًا مذنبًا فتاب من الذنب قبل منه.

وروي عن عمران بن حصين أنه قال: إنما لم تقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحة فيهلك فيها كثير من الناس، فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت ثم هلك لم تقبل توبته، ومن تاب بعد ذلك قبلت توبته، ذكره أبو الليث

---

(١) سبق تخريجه.

السمرقندي في تفسيره.

واختلفت الروايات في أول الآيات، فروي أن طلوع الشمس من مغربها أولها ما وقع في حديث مسلم في هذا الباب ، وقيل: خروج الدجال، وهذا القول أصح القولين لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الدجال خارج فيكم لا محالة**» الحديث بطوله.

فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عليه السلام، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منه.

وقد تقدم القول مبيناً في هذا، وأن أول الآيات الخسوفات، فإذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجاً إلى مكة، فإذا قضى حجه انصرف إلى زيارة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإذا وصل إلى قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أرسل الله عند ذلك ريحاً عنبرية فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين ، فيموت عيسى عليه السلام، ويدفن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في روضته، ثم يبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة ويستولي أهل الكفر على من بقى من أهل الإسلام، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ثم أتي الحبشة إلى بيت فينقضونه حجراً حجراً، ويرمون بالحجارة في البحر، ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم، ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحاً من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها المسك، فتقبض روح المؤمن والمؤمنة، وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لا يشبعون من النساء والنساء لا يشبعن من الرجال، ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم في البحر، هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في

الأشراط وفيه بعض اختلاف، وقد تقدمت الإشارة إليه فيما تقدم، والله أعلم.

وقيل: إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن لتسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل معهم حتى يجتمع الخلق بالمحشر الإنس والجن والدواب والوحوش والسباع والطير والهوام وخشاش الأرض وكل من له روح، فبينما الناس قيام في أسواقهم يتبايعون وهم مشتغلون بالبيع والشراء إذا هم بهدة عظيمة من السماء يصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين قيامًا على أرجلهم وهو قوله تعالى: ﴿**وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق**﴾ [ص: ١٥] فبينما هم كذلك إذ هدة أخرى أعظم من الأولى غليظة فظيعة كالرعد القاصف، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات، كما قال ربنا جل وعلا ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾ [الزمر:٦٨] فتبقى الدنيا بلا آدمي ولا جني ولا شيطان، ويموت جميع من في الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شيء له روح، وهو الوقت المعلوم الذي كان بين الله تعالى وبين إبليس الملعون.

ما جاء في خراب الأرض والبلاد قبل الشام، ومدة بقاء المدينة خرابًا قبل يوم القيامة، وفي علامة ذهاب الدنيا ومثالها وفي أول ما يخرب منها

روى من حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**ويبدأ الخراب في أطراف الأرض حتى تخرب مصر، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة، وخراب البصرة من العراق، وخراب مصر من جفاف النيل، وخراب مكة من الحبشة، وخراب المدينة من الجوع ، وخراب اليمن من الجراد، وخراب الأيلة من الحصار، وخراب فارس من الصعاليك، وخراب الترك من الديلم، وخراب الديلم من الأرمن، وخراب الأرمن من الخزر، وخراب الخزر من الترك، وخراب الترك من الصواعق، وخراب السند من الهند، وخراب الهند من الصين، وخراب الصين من الرمل، وخراب الحبشة من الرجفة، وخراب الزوراء من السفياني، وخراب الروحاء من الخسف، وخراب العراق من القحط**»(١) .

ذكره أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في كتاب (روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق) وسمعت أن خراب الأندلس من الريح العقيم، والله أعلم.

وذكر أبو نعيم الحافظ، عن أبي عمران الجوني وأبي هارون العبدي أنهما سمعا نوفًا البكالي يقول: إن الدنيا مثلت على طير، فإذا انقطع جناحاه وقع وإن جناح الأرض مصر والبصرة، فإذا خربتا ذهبت الدنيا، وذكر أبو زيد عمر بن شبة، حدثنا موسى بن إسماعيل قال:

حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير قال: ذكر لي عن عوف بن مالك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أما والله يا أهل المدينة لتتركنها**

---

(١) ضعيف جدًّا: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٣٥١) وعزاه إلى الديلمي بسند ضعيف.

قبل يوم القيامة أربعين»[1] .

وقال كعب: ستخرب الأرض قبل الساعة بأربعين سنة، وليهاجرن الرعد والبرق إلى الشام حتى لا تكون رعدة ولا برقة إلا ما بين العريش والفرات.

ويروى عن علي -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**قال الله تعالى: إني إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فأخربه، ثم أخرب الدنيا على أثره**»[2] . وقد تقدم الذي يخربه ذو السُويقتين على ما تقدم، والله أعلم.

لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله

روى مسلم عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**» .

وفي رواية أخرى: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله**»[3] .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قيد الله برفع الهاء ونصبها فمن رفعها فمعناه ذات التوحيد، ومن نصبها فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي: لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتق الله.

قال المؤلف رحمه الله: ويدل على صحة هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام حديث حذيفة: «**لتقصدنكم نار هي خامدة**» الحديث وفيه هم شر من يتسافدون تسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول: مه مه، وقد قيل: إن هذا أجراه الله على ألسنة الأمم من لدن آدم عليه السلام ولم تنكره أمة بل هو دائر على ألسنتهم من عهد أبيهم إلى انقضاء الدنيا، وقد قال قوم نوح: ﴿**ولو شاء الله لأنزل ملائكة**﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآية وقال قوم هود:

---

(١) حسن: أحمد (٦/٢٣) وصححه الحاكم في المستدرك (٤/٤٢٥، ٤٢٦) ووافقه الذهبي.

(٢) موضوع: قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/٢٤٣) ليس له أصل.

(٣) صحيح: مسلم في الإيمان (١٤٨/٢٣٤).

﴿أجئتنا لنعبد الله وحده﴾ [الأعراف: ٧٠] ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا﴾ [المؤمنون: ٣٨] إلى غير ذلك، وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان:٢٥] فإذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع الاسم من ألسنة الجاحدين وفجأهم عند ذلك الحق اليقين، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول الله**» .

وفي الخبر: إن الله تعالى يقول لإسرافيل عليه السلام: إذا سمعت قائلاً يقول: لا إله إلا الله فأخر النفخة أربعين سنة إكرامًا لقائلها. والله أعلم.

على من تقوم الساعة؟

روى مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال: كنت عند مسلمة ابن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لا يدعو الله بشيء إلا رده عليهم، فبينما هم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له ابن شماسة يا عقبة: اسمع ما يقول عبد الله ، فقال عقبة: هو أعلم. وأما أنا فسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**» فقال عبد الله : أجل. «**ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك مسها كمس الحرير لا تترك نفسًا في قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضتها ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة**»(١) .

وفي حديث عبد الله بن مسعود: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس من لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا يتهارجون كما تتهارج الحمر**»(٢)

(١) صحيح: مسلم في الإمارة (١٩٢٤/١٧٦).
(٢) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٤٩/١٣١) مختصراً.

قال الأصمعي: قوله يتهارجون يقول: يتسافدون ويقال: بات فلان يهرج والهرج في غير هذا: الاختلاط والقتل.

وخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى**» فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ [التوبة:٣٣] أن ذلك عام، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحًا طيبة فتتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم**»(١) والله أعلم.

ذكر أبو الحسن بن بطال رحمه الله في هذا الحديث في شرح البخاري له مبينًا لحديث البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**» الحديث وقد تقدم.

وقال: هذه الأحاديث وما جاء فيها معناها الخصوص وليس المراد بها أن الدين كله ينقطع في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريبًا كما بدأ.

روى حماد بن سلمة ، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**» وكان مطرف يقول: هم أهل الشام.

قلت: ما ذكره من أن الدين لا ينقطع وأن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة يرده حديث عائشة وعبد الله بن عمر، وما ذكره من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال، ويخرج يأجوج

---

(١) صحيح: مسلم في الفتن (٢٩٠٧/٥٢).

ومأجوج ويموتون ويبقى عيسى عليه السلام ودين الإسلام لا يعبد في الأرض غير الله كما تقدم، وأنه يحج ويحج معه أصحاب الكهف فيما ذكره المفسرون، وقد تقدم أنهم حواريوه إذا نزل، فإذا توفي عيسى عليه السلام بعث الله تعالى عند ذلك ريحًا باردة من قبل الشام، فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة كذا في حديث النواس بن سمعان الطويل، وقد تقدم، وفي حديث عبد الله بن عمرو: ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو دخل أحدكم في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه. قال: سمعتها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وذكر الحديث. وقد تقدم بكماله، وفي ذكر النفخ والصعق والبعث، فهذا غاية في البيان في كيفية انقراض هذا الخلق وهذه الأزمان، فلا تقوم الساعة وفي الأرض من يعرف الله ولا من يقول: الله الله.

وذكر أبو نعيم عن أبي الزاهرية، عن كعب الأحبار قال: يمكث الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج في الرخاء والخصب والدعة عشر سنين ، حتى إن الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة بينهما ويحملان العنقود الواحد من العنب، فيمكثون على ذلك عشر سنين، ثم يبعث الله ريحًا طيبة فلا تدع مؤمنًا إلا قبضت روحه، ثم يبقي الله الكفار بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر في المروج حتى يتأتيهم أمر الله والساعة وهم على ذلك.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبته خالصًا لوجهه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لصاحب هذا الكتاب ولوالديه، ولسائر المسلمين أجمعين. آمين يا رب العالمين.

الفصل الثالث

الفتن وعلامات يوم الدين

أخذناه من كتاب

شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله

٤٢١٥/١- أخبرنا أبو حامد، أحمد بن عبد الله بن أحمد الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي ، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار الأصفهاني ، نا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة قال : لقد قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقامًا ما ترك شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، فإني قد أرى الشيء قد كنت نسيته، فأراه فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه، فرآه فعرفه.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[1] عن إسحاق الحنظلي، عن جرير، عن الأعمش.

وروى عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر يقول: قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه[2].

٤٢١٦/٢- أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد القاضي

---

(١) (٢٨٩١) (٢٣) في الفتن: باب إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٢) علقه البخاري في الصحيح (٢٠٧/٦) في أول بدء الخلق، ووصله الطبراني، ورجال إسناده ثقات.

وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا: أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني، نا محمد بن يحيى، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن عروة. عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبي -صلى الله عليه وسلم- على أطم من آطام المدينة، فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر**».

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه محمد عن محمود، وأخرجه مسلم عن عبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق.

والأطم: بناء مرفوع من الحجارة كالقصر، وآطام المدينة: حصونها، وكذلك آجامها واحدها: أجم.

٤٢١٧/٣- أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي ابن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، نا أحمد بن منصور الرمادي، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الأعمش عن زيد ابن وهب.

عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ونزل القرآن فقرءوا من القرآن وعملوا من السنة، ثم حدثنا عن رفعها ، قال: «**ترفع الأمانة، فينام الرجل، ثم يستيقظ، وقد رفعت الأمانة من قلبه، ويبقى أثرها كالوكت، أو كالمجل كجمر دحرجته على رجلك،**

---

(١) البخاري (١٠/١٣) في الفتن : باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ويل للعرب من شر قد اقترب) وفي فضائل المدينة: باب آطام المدينة، وفي المظالم: باب في الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، وفي الأنبياء: باب علامات النبوة في الإسلام ، وأخرجه مسلم (٢٨٨٥) في الفتن: باب نزول الفتن كمواقع القطر.

فهو يرى أن فيه شيئًا وليس فيه شيء، وترفع الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، ولقد رأيتني حديثًا، وما أبالي أيكم أبايع لئن كان مسلماً ليردنه علي إسلامه، ولئن كان معاهدًا ليردنه عليّ ساعيه، فأما اليوم، فإني لم أكن لأبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه محمد عن محمد بن كثير، عن سفيان، وأخرجه مسلم، عن أبي كريب وأبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، وقالا فيه : «**فتُقبضُ الأمانة، فيبقى أثرها مثل أثر المجل دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه، وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**».

قوله: في جذر قلوب الرجال. الجذر: الأصل من كل شيء، الوكت: جمع وكتة، وهي الأثر اليسير، ومنه قيل للبسر إذا وقعت فيه نكتة من الإرطاب: قد وكت، والمجل من قولهم: مجلت يده مجلاً: إذا خرج منها شيء يشبه البثر من العمل، ويغلظ جلدها. وقوله: فتراه منتبراً، المنتبر: المنتفط، يقال: انتبرت يده، أي: انتفطت.

وقوله: ليردنه على ساعيه، يعني رئيسهم الذي يصدرون عن رأيه، ولا يمضون أمرًا دونه، ويقال : أراد بالساعي الوالي عليه، يقول: ينصفني منه وإن لم يكن مسلمًا، وكل من ولي شيئًا على قوم، فهو ساع عليهم، ومنه يقال لعامل الصدقة: ساع وتأوله بعضهم على بيعة الخلافة، وقال الخطابي رحمه الله ، وهو خطأ لأنه قال: وإن كان معاهداً رد على ساعيه، ولا يبايع المعاهد

---

(١) البخاري (١١/٢٨٦) في الرقاق: باب رفع الأمانة، وفي الفتن: باب إذا بقي في حثالة الناس، وفي الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ومسلم (١٤٣) في الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب.

إنما أراد مبايعة البيع والشراء يريد ذهبت الأمانة من الناس، فلست أثق اليوم بأحد أئتمنه على بيع أو شراء إلا فلانًا وفلانًا لقلة الأمانة في الناس، وقبل هذا كنت لا أبالي من بايعته، فإن بايعت مسلمًا قلت: لا يظلمني لأنه مسلم، وإن بايعت نصرانيًا، قلت: إن لم ينصفني، أعانني عليه ساعيه، وقد فسد اليوم الأمر.

٤/٤٢١٨- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد ابن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا محمد بن عبد الله بن نمير، نا أبو خالد يعني سليمان بن حيان، عن سعد بن طارق، عن ربعي بن خراش.

عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يذكر الفتن ؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله وجاره؟ قالوا: أجل: قال: تلك يكفرها الصلاة والصيام، والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا فقال: أنت لله أبوك. قال حذيفة: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عود عود فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه**» قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر، قال عمر: اكسرا لا أبا لك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قال: لا بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثًا ليس بالأغاليط قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك ما أسود مربادًا؟ قال: شدة البياض في سواد، قال: قلت: فما الكوز مجخيًا؟ قال: منكوسًا.

هذا حديث صحيح[1] وروى بعضهم، مربدًا، قال أبو عبيد: الربدة: لون بين السواد والغبرة.

وروى شقيق عن حذيفة بعض هذا الحديث، وقال: إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: يعني عمر أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر قال: إذًا لا يغلق أبدًا، قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقًا فسأله، فقال: الباب عمر[2] .

قوله: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير) قال بعضهم: أي: تحيط بالقلوب، يقال: حصر به القوم، أي، أطافوا به، وقال الليث: حصير الجنب: عرق يمتد معترضًا على جنب الدابة إلى ناحية بطنها شبهها بذلك، ويقال الحصير: السجن، والمجخي: المائل.

٤٢١٩/٥- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن نصر ابن عاصم الليثي.

عن خالد بن خالد اليشكري قال: خرجت زمن فتحت تستر حتى قدمت الكوفة، فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال، حسن الثغر يعرف فيه أنه رجل من أهل الحجاز، فقال: فقلت: من الرجل؟ فقال القوم: أو ما تعرفه؟ قلت: لا ، قالوا: هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: فقعدت وحدث القوم، فقال: إن

---

(١) رواه مسلم (١٤٤) في الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وإنه يأرز بين المسجدين.

(٢) أخرج هذه الرواية مسلم في صحيحه (٢٢١٨/٤) في الفتن: باب في الفتنة التي تموج كموج البحر.

الناس كانوا يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلك القوم عليه، فقال لهم: إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك: جاء الإسلام حين جاء، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية، فكنت قد أعطيت في القرآن فهمًا فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأله عن الشر، قلت : يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ قال: «**نعم**»، قلت : فما العصمة يا رسول الله؟ قال: «**السيف**»، قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال : «**نعم تكون إمارة على أقذاء، وهدنة على دخن**»، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «**ثم ينشأ دعاة الضلالة، فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهرك، وأخذ مالك، فالزمه وإلا قمت وأنت عاض على جذل شجرة**»، قال: قلت : ثم ماذا؟ قال: «**ثم يخرج الدجال بعد ذلك معه نهر ونار، فمن وقع في ناره، وجب أجره، وحط وزره، ومن وقع في نهره، وجب وزره، وحط أجره**»، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «**ثم تنتج المهر، فلا يركب حتى تقوم الساعة**»(١).

روى أبو داود هذا الحديث عن مسدد وقتيبة عن أبي عوانة عن قتادة عن نصر بن عاصم، وقال: عن سُبيع بن خالد، قال: أتيت الكوفة.

والصدع مفتوحة الدال من الرجال، الشاب المعتدل، ويقال: الصدع الربعة في خلقه، رجل بين الرجلين، وكذلك الصدع من الوعول وعل بين الوعلين.

وقوله: فما العصمة؟ قال: «**السيف**». كان قتادة يضعه على أهل الردة كانت في زمن الصديق -رضي الله عنه-.

وقوله: «**هدنة على دخن**» معناه: صلح على بقايا من الضغن، وذلك

---

(١) ورواه أحمد (٥/٣٨٦، ٤٠٣) وأبو داود (٤٢٤٤) في أوائل كتاب الفتن، وخالد ابن خالد ويقال: سبيع بن خالد لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وصححه الحاكم (٤/٤٢٣) ووافقه الذهبي.

أن الدخان أثر من النار يدل على بقية منها، الدليل عليه قوله: «**إمارة على أقذاء**».

وقال أبو عبيد: أصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب أو غير ذلك كدورة إلى سواد، وفي بعض الروايات: قلت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: لا يرجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه.

ويروى: جماعة على أقذاء(١) يقول: يكون اجتماعهم على فساد من القلوب، شبهه بأقذاء العين، يقال: قذاة وجمعها قذى، ثم أقذاء جمع الجمع.

٦/٤٢٢٠- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز ، أنا محمد بن زكريا الغذافري، أنا إسحاق ابن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت وهو ابن أخي أبي ذر، عن أبي ذر قال: كنت رديفًا خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا على حمار، فلما جاوزنا بيوت المدينة، قال: فكيف بك يا أبا ذر إذا كان في المدينة جوع تقوم عن فراشك فلا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع.؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: تعفف يا أبا ذر، ثم قال: «**كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد حتى إنه يباع القبر بالعبد**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**تصبر يا أبا ذر**» قال: «**كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل يغمر الدماء حجارة الزيت؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**تأتي من أنت منه**» قال: قلت: وألبس السلاح، قال: «**شاركت القوم إذًا**» قلت: فكيف أصنع يا رسول الله، قال: «**إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٤٦) وأحمد في المسند.

(٢) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (١٤٩/٥، ١٦٣) وأبو داود (٤٢٦١) في الفتن والملاحم. باب النهي عن السعي في الفتنة، وابن ماجه (٣٩٥٨) في الفتن: باب =

هكذا رواه معمر، وروى حماد بن زيد هذا المعنى عن أبي عمران الجوني، عن المنبعث[1] بن طريف، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر.

وقوله: (يبلغ البيت العبد) أراد بالبيت القبر، قيل: معناه إن الناس يشغلون عن دفن موتاهم حتى لا يوجد منهم من يحفر قبر الميت فيدفنه إلا أن يعطى عبدًا أو قيمة عبد، وقيل: معناه أن مواضع القبور تضيق عنهم، فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بعبد، قوله: (يبهرك شعاع السيف) أي: يغلبك ضوؤه وبريقه.

ومنبعث بن طريف كان قاضي هراة.

٤٢٢١/٧- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، نا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر عن غير واحد منهم قتادة.

عن الحسن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعبد الله بن عمرو: «**يا عبد الله بن عمرو كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا**» وشبك بين أصابعه، قال: فبم تأمرني؟ قال: «**عليك بما يعرف ودع ما يُنكر وعليك بخاصة نفسك وإياك وعوامهم**»[2].

ويروى هذا الحديث من طرق عن عكرمة عن عبد الله بن عمرو بن

=

التثبت في الفتنة، وصححه ابن حبان (١٨٦٢).

(١) في التهذيب مشعث بن طريف قاضي هراة، ويقال: منبعث، روى عن عبد الله بن الصامت، وعنه أبو عمران الجوني، قال صالح بن محمد: كان قاضي هراة، ولا نعرف بخراسان أجل منه، وذكره ابن حبان في الثقات، قال أبو داود: لم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد، وقال الحافظ: وقد رواه جعفر بن سليمان وغير واحد عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت نفسه.

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٠٨) وغيره، وسنده حسن. وقد تقدم تخريجه.

العاص.

قوله: حثالة أي: رذالة، والحثالة: الردي من الشيء، ومثله الحفالة، وكذلك الجفالة.

قوله: مرجت عهودهم أي: اختلطت، ومنه قوله عز وجل ﴿**فهم في أمر مريج**﴾[ق: ٥] أي: مختلط مرة يقولون: شاعر، ومرة: ساحر، ومرة: كاهن، ومرة: مجنون.

٤٢٢٢/٨- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا محمد بن المثنى، نا الوليد بن مسلم، نا ابن جابر، حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**» قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**» فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه مسلم أيضًا عن محمد بن مثنى

---

(١) البخاري (١٣/٣٠، ٣١) في الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، وفي الأنبياء: باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٨٤٧) في الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال.

وابن جابر: هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر.

قوله: (وفيه دخن) أي: لا يكون الخير محضًا، بل فيه كدر وظلمة، وأصل الدخن: أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد.

٤٢٢٣/٩- أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، نا أحمد بن علي الكشميهني، نا علي بن حجر، نا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه .

عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[1] عن قتيبة وابن حجر ويحيى بن أيوب جميعًا عن إسماعيل بن جعفر، وروي عن الحسن أنه قال في هذا الحديث : (يصبح الرجل مؤمنًا) يعني: محرمًا لدم أخيه وعرضه وماله، ويمسي مستحلاً.

وعن ابن مسعود أنه ذكر الفتنة فقال: أي أهل ذلك الزمان شر؟ قال: «**كل خطيب مسقع، وكل راكب موضع**» .

٤٢٢٤/١٠- أنا أبو طيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي، نا أبو معمر المفضل بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ، نا جدي أبو بكر ابن إبراهيم الإسماعيلي ، أنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، نا عبد الرحمن ابن إبراهيم الدمشقي، نا بشر بن بكر، وعمرو بن عبد الواحد، قالا: نا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني أبو عبد السلام.

---

(١) (١١٨) في الإيمان : باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ، وأخرجه أحمد (٣/٣٠٤، ٣٧٢) والترمذي (٢١٩٦) في الفتن: باب ما جاء (ستكون فتن كقطع الليل المظلم).

عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» قال قائل: يا رسول الله ، ومن قلة يومئذ؟ قال: «**لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولتعرفن[1] في قلوبكم الوهن**» قال قائل: يا رسول الله ، وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[2].

والغثاء: ما يبس من النبت، فحمله الماء، فألقاه في الجوانب، يقال: غثاء السيل المرتع: إذا جمع بعضه على بعض، وأذهب حلاوته، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فجعله غثاء أحوى**﴾ [الأعلى: ٥] أي: جعله غثاء بعد أن كان أحوى، وهو الذي اشتدت خضرته[3] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿**فجعلناهم غثاء**﴾ [المؤمنون: ٤١] أي: أهلكناهم فذهبنا بهم، كما يذهب السيل بالغثاء.

٤٢٢٥/١١- أخبرنا محمد بن الحسن، أنا أبو سهل محمد بن عمر بن محمد بن طرفة السجزي، أنا أبو سليمان الخطابي، أنا أبو بكر بن داسة التمار، نا أبو داود (ح) وأجاز لي أبو الفتح نصر بن علي الطوسي، وكتب إليّ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، من نيسابور قالا: أنا أبو علي الحسين

---

(١) في أبي داود : وليقذفن الله. وفي المسند : ينزع المهابة من قلوبكم ويجعل في قلوبكم الوهن.

(٢) وأخرجه أبو داود (٤٢٩٧) في الملاحم: باب تداعي الأمم على الإسلام، وأبو عبد السلام مجهول، وباقي رجاله ثقات، لكن رواه أحمد في المسند (٥/٢٧٨) بنحوه من طريق آخر، وسنده قوي، فصح به.

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن كما في اللسان، وهو من المؤخر الذي معناه التقديم، وهو خلاف ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله في تفسيره، فإنه قال: أحوى: أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس أسود، وهو موافق لما ذهب إليه أهل التأويل.

ابن محمد الروذباري ، أنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة، نا أبو داود (ح) وأجاز لي أبو طاهر عمر بن عبد العزيز الفاشاني، وكتب إليّ أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن سكروية الأصفهاني من أصفهان قالا: أنا الشريف ابن عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، نا أبو داود سليمان بن الأشعث، نا محمد بن سليمان الأنباري، نا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن ربعي بن خراش، عن البراء بن ناجية.

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم، يقم سبعين عامًا**» ، قال: قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: «**مما مضى**»[1] .

قال أبو سليمان الخطابي: دوران الرحى: كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدوارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس.

قال صعصعة جد الفرزدق: أتيت علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حين رفع يده من رحى الجمل يريد حرب الجمل.

قوله: (وإن يقم لهم دينهم) يريد بالدين: المسلك. قال أبو سليمان: ويشبه أن يكون أريد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس وكان ما بين أن استقر الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان، وضعف أمر بني أمية، ودخل الوهن فيه نحو من سبعين سنة[2] ، وبهذا الإسناد عن أبي

---

(١) هو في سنن أبي داود (٤٢٥٤)، وأخرجه أحمد (١/٣٩٠، ٣٩١) وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (٤/١٢٥)، ووافقه الذهبي.

(٢) قال التوربشتي بعد نقل قول الخطابي : يرحم الله أبا سليمان فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه، لعلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يرد =

داود.

٤٢٢٦/١٢- يحيى بن عثمان بن سعيد الحمصي، نا أبو المغيرة، حدثني عبد الله بن سالم ، حدثني علاء بن عتبة، عن عمير بن هانئ، العبسي قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: كنا قعودًا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله، ما فتنة الأحلاس؟ قال: «**هي هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخنًا من تحت قدم رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت، تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسى كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان**

=

بذلك ملك بني أمية دون غيرهم من الأمة، بل أراد أن استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة، وإقامة الحدود والأحكام، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمسًا وثلاثين أو ستا وثلاثين أو سبعًا وثلاثين، ثم يشقون عصا الخلاف، فتفرق كلمتهم فإن هلكوا فسبيل من قد هلك قبلهم، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين، هذا مقتضى اللفظ، ولو اقتضى اللفظ أيضًا غير ذلك، لم يستقم لهم ذلك القول، فإن الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية ، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحوًا من تسع وثمانين سنة ، والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا . وهي قول ابن مسعود: أمما بقي أو مما مضى؟ يريدان السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين ، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها قال: مما مضى ، يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دولة الإسلام، لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين.

فيه، فإذا كان ذلكم، فانتظروا الدجال من يومه أو من غد»[1] .

قال الخطابي: قوله: (فتنة الأحلاس) إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس، لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح: هو حلس بيته، وقد يحتمل أن يكون شبهه بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها، والحرب: ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل، فهو حريب: إذا سُلب ماله وأهله، والدخن: الدخان يريدأنها تثور كالدخان من تحت قدميه، وقوله: (كورك على ضلع) مثلٌ ومعناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم، وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله، وإنما يقال في باب الملاءمة والموافقة إذا وصفوا: هو ككف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به، والدهيماء: تصغير الدهماء صغرها على مذهب المذمة لها.

الاعتزال في الفتنة

٤٢٢٧/١٣- أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو إسحاق بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع المطر، يفر بدينه من الفتن**» .

هذا حديث صحيح[2] أخرجه محمد عن عبد الله بن يوسف عن مالك.

---

(١) هو في سنن أبي داود (٤٢٤٢) وأخرجه أحمد (٢/١٣٣)، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (٤/٤٦٦) ووافقه الذهبي.

(٢) الموطأ (٢/٩٧٠) في الاستئذان : باب ما جاء في أمر الغنم، والبخاري (١٣/٣٦) في الفتن: باب التعرب، وفي الإيمان: باب من الدين الفرار من الفتن، وفي بدء الخلق، باب قول الله تعالى: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ وفي الأنبياء: باب علامات =

شعف الجبال: أعاليها، واحدها شعفة.

٤٢٢٨/١٤- أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، نا عبد الرحمن بن منيب، نا أبو بكر الحنفي، نا بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبل له وغنم، فأتاه فلما انتهى إليه، قال: يا أبت أرضيت أن تكون أعرابيًا في أهلك وغنمك، والناس بالمدينة يتنازعون في الملك، قال: فضرب صدره بيده وقال: اسكت يا بني إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**» .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[1] عن إسحاق الحنظلي، عن أبي بكر الحنفي.

٤٢٢٩/١٥- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، نا شعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ستكون فتن: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذًا، فليعذ به**» .

هذا حديث متفق على صحته[2] وأخرجه مسلم عن عمرو الناقد

=

النبوة في الإسلام، وهو في المسند (٦/٣، ٣٠، ٤٣، ٥٧) وسنن أبي داود (٤٢٢٧) والنسائي (١٢٣/٨، ١٢٤) وابن ماجه (٣٩٨).

(١) (٢٩٦٥) في أول كتاب الزهد.

(٢) البخاري (٢٦/١٣) في الفتن: باب تكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم، وفي الأنبياء: باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٢٨٨٦) في الفتن : باب نزول الفتن كمواقع القطر، وهو في المسند (٢٨٢/٢).

وغيره عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، وأبي سلمة قوله: «**من تشرف لها تستشرفه**» أي: من طلع لها بشخصه، طالعته، يقال: استشرفت الشيء: إذا رفعت رأسك ونظرت إليه.

وقال رجل لابن عمر في فتنة ابن الزبير: إن الناس قد صنعوا وأنت ابن عمر، وصاحب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله قد حرم دم أخي، قال: ألم يقل الله ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ [الحجرات: ٩] قال: لأن اغتر بهذه الآية، ولا أقاتل أحب إليّ من أن لا أغتر بالآية التي تقول: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمداً**﴾ الآية [النساء: ٩٣] قال: ألم يقل الله: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ [البقرة:١٩٣] قال: قاتلنا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله.

وقال سعيد بن جبير: خرج علينا ابن عمر، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة والله يقول: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ قال: هل تدري ما الفتنة؟ إنما كان محمد يقاتل المشركين ، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس بقتالكم على الملك.

وروي أن رجالاً من أهل بدر لما قتل عثمان، لزموا بيوتهم، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم.

١٦/٤٢٣٠- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا يحيى بن يحيى ، أنا حماد بن زيد، عن معلى بن زياد، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**» . هذا حديث صحيح[1] .

---

(١) هو في صحيح مسلم (٢٩٤٨) في الفتن : باب فضل العبادة في الهرج، أخرجه =

أشراط الساعة

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**﴾ [محمد:١٨]. يقول: فكيف لهم إذا جاءتهم الساعة بذكراهم.

١٧/٤٢٣١- أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، نا عبد الرحمن بن منيب، نا سليمان بن داود، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثنكم حديثًا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يحدثكم أحد أنه سمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعدي سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من شرط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنى، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون في خمسين امرأة القيم الواحد**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه محمد عن حفص بن عمر، عن هشام، وأخرجه مسلم عن محمد بن مثنى، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن قتادة.

قوله: (من شرط الساعة) أي: من علامتها، ويروى من أشراط الساعة، أي: من علاماتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾ [محمد:١٨].

=

أحمد في المسند (٢٥/٥) والترمذي (٢٢٠٢) وابن ماجه (٣٩٨٥).

(١) البخاري (٢٨٨/٩، ٢٨٩) في النكاح: باب يقل الرجال ويكثر النساء، وفي العلم: باب رفع العلم وظهور الجهل، وفي الأشربة في فاتحته، وفي المحاربين: باب إثم الزناة، ومسلم (٢٦٧١) (٩) في العلم: باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، وأخرجه الترمذي (٢٢٠٦) وابن ماجه (٤٠٤٥) وهو في المسند (٩٨/٣، ١٥١، ١٧٦، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٧٣، ٢٨٩).

١٨/٤٢٣٢- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا محمد بن سنان، حدثنا فليح ، حدثني هلال بن علي، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال: بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- في مجلس يحدث القوم ، جاءه أعرابي قال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**» . هذا حديث صحيح[1] .

١٩/٤٢٣٣- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا أبو اليمان، أنا شعيب، نا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج. عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن**

---

(١) هو في صحيح البخاري (١/١٣١، ١٣٢) في العلم: باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ، ثم أجاب السائل، وفي الرقاق: باب رفع الأمانة، وهو في المسند (٢/٣٦١).

الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها». هذا كله متفق على صحته[1].

قوله: (دجالون كذابون) وكل كذاب دجال، يقال: دجل فلان الحق بباطله، أي: غطاه، وبعير مدجل: إذا كان مطليًا بالقطران، ومنه أخذ الدجال، ودجله سحره وكذبه، وقيل سمي الدجال دجالاً لتمويهه على الناس وتلبيسه، يقال: دجل: إذا موه ولبس، وقيل: سمي به لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها، يقال: دجل الرجل: إذا فعل ذلك.

قوله: (يتقارب الزمان) قيل: هو دنو زمان الساعة، وقيل: معناه قصر الأعمار، وقلة البركة فيها، وقيل: قصر مدة الأيام والليالي كما يروى: **«الزمان يتقارب حتى يكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة»**[2].

قال حماد بن سلمة : سألت أبا سنان عن قوله: (**يتقارب الزمان حتى يكون السنة كالشهر**) فقال: ذلك من استلذاذ العيش، قال الخطابي -والله أعلم-: زمان خروج المهدي، ووقوع الأمنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها، فيستلذ العيش عند ذلك ، وتستقصر مدته، ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدت، ويستطيلون أيام المكروه وإن قصرت وقلت، والعرب تقول في مثل هذا: مر بنا يوم كعرقوب القطاة قصرًا.

وقوله: يليط حوضه ويلوط، أي: يمدره، ويطينه، ويصلحه لئلا يتشرب الماء، وأصل اللوط: اللصوق، يقال: لاط به يلوط لوطًا، ويليط ليطًا.

٤٢٣٤/٢٠- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم

---

(١) البخاري (٧٢/١٣، ٧٨) في الفتن.

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٨/٢) من حديث أبي هريرة، وإسناده صحيح.

الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أبان عن الحسن، عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أخاف عليكم الهرج**» قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل**» قالوا: أكثر مما نقتل اليوم، إنا لنقتل من المشركين كذا وكذا، قال: «**ليس قتل المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا**» قالوا: وفينا كتاب الله؟ قال: «**وفيكم كتاب الله**» قالوا: ومعنا عقولنا؟ قال: «**إنه ينزع عقول عامة أهل ذلك الزمان، وتخلف له هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء، وليسوا على شيء**»(١) .

٢١/٤٢٣٥- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري ، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن كرز بن علقمة الخزاعي قال: قال أعرابي يا رسول الله هل للإسلام منتهى؟ قال: «**نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا، أدخل الله عليهم الإسلام**» قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «**ثم تقع الفتن كأنها الظلل**» قال: فقال أعرابي: كلا، يا رسول الله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**بلى والذي نفسي بيده، ثم لتعودن فيها أساود صبًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٢) .

قوله: (أساود) أي: حيات، قال أبو عبيد: الأسود: العظيم من الحيات، وفيه سواد، قال شمر: هو أخبث الحيات، وربما عراض الرفقة، وتبع الصوت، وقيل في تفسيره: يعني جماعات، وهي جمع سواد من الناء، أي:

---

(١) رجاله ثقات إلا أنه منقطع، وأخرجه أحمد في المسند (٤١٤/٤) من طريق حماد ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن أبي موسى، وعلي بن زيد ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٥٩) من حديث عون عن الحسن، ثنا أسيد بن المتشمس، قال: ثنا أبو موسى، وأسيد بن المتشمس وثقه ابن حبان، ونقل في التهذيب عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن معين قال: إذا روى الحسن البصري عن رجل فسماه، فهو ثقة يحتج بحديثه.

(٢) وأخرجه أحمد ٤٧٧/٣) وإسناده صحيح.

جماعة ثم أسودة، ثم أساود.

وقوله: (صبا) قيل: هو جمع صاب مثل غاز وغزى، وقيل: هو صباء على وزن فعال جمع صابئ، وصبا: إذا مال من دين إلى دين، وقيل: هي الحية السوداء إذا أرادت أن تنهس، ارتفعت ثم انصبت.

٤٢٣٦/٢٢- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا علي بن الجعد، نا زهير هو ابن معاوية، عن زياد بن خيثمة، عن الأسود، عن سعيد الهمداني.

سمعت جابر بن سمرة يقول.: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**» ثم رجعت إلى منزلي، فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «**ثم يكون الهرج**» . هذا حديث صحيح.

٤٢٣٧/٢٣- أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا محمد بن المثنى، حدثني غندر، نا شعبة، عن عبد الملك يعني ابن عمر، قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يكون اثنا عشر أميرًا**» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «**كلهم من قريش**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه مسلم عن ابن أبي عمر، عن سفيان، عن عبد الملك. قال سماك بن حرب عن جابر بن سمرة: يعني لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش.

---

(١) البخاري (١٨١/١٣) في الأحكام : باب الاستخلاف، ومسلم (١٨٢١) (٦٩) في الإمارة باب الناس تبع لقريش، وأخرجه أبو داود (٤٢٨١) والترمذي (٢٢٢٤) وأحمد (٣٢/٥، ٩٣، ٩٨).

ما يكون من كثرة المال والفتوح

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ [الزلزلة:٢] قيل: ما فيها من الكنوز، وقيل: موتاها.

٤٢٣٨/٢٤- أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا محمد بن الحكم، أنا النضر، أنا إسرائيل ، أنا سعيد الطائي ، نا محل بن خليفة، عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عدي هل رأيت الحيرة؟**» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: «**فإن طالت بك حياة، فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله**» قلت: فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد، «**ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**» قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «**كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولاً، فيبلغك، فيقول: بلى فيقول: ألم أعطك مالاً، وأفضل عليك، فيقول: بلى، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم**» قال عدي: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة**» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم- يخرج ملء كفه. هذا حديث صحيح[1] .

---

(١) هو في صحيح البخاري (٦/٤٥٠) في المناقب ، باب: علامات النبوة وفي الزكاة: =

وقال الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربهِ ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»[1] .

الدعار جمع داعر: وهو الخبيث من الرجال، سعروا البلاد: أي أوقدوا نيران الفتن ، وعدي بن حاتم بن عبد الله الطائي كنيته أبو طريف عاش مائة وعشرين سنة، ومات بالكوفة في زمن المختار وأوصى أن لا يصلي عليه المختار.

٤٢٣٩/٢٥- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، حدثني عبد الله بن سعيد الكندي، نا عقبة بن خالد، نا عبيد الله، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن جده حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضر، فلا يأخذ منه شيئًا**» .

هذا حديث متفق على صحته[2] أخرجه مسلم، عن سهل بن عثمان، عن عقبة بن خالد السكوني.

٤٢٤٠/٢٦- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي

=

باب الصدقة قبل الرد ، وباب : اتقوا النار ولو بشق تمرة. وفي الأدب: باب طيب الكلام، وفي الرقاق: باب من نوقش الحساب عذب، وباب صفة النار، وفي التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وباب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، وأخرجه أحمد (٢٥٧/٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠/١١، ٣٥١) ومسلم (١٠١٦) (٦٧).

(٢) البخاري (١٠/١٣) في الفتن: باب خروج النار، ومسلم (٢٨٩٤) (٣١) في الفتن : باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، وأخرجه أبو داود (٤٣١٣) والترمذي (٢٥٧٣) وابن ماجه (٤٠٤٦)، وأحمد (٢٦١/٢، ٣٠٦، ٣٣٢).

عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز ، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق ابن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فيقتتل الناس عليه، فيقتل من مائة تسعون**» أو قال: تسعة وتسعون، كل يرى أنه ينجو.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[(١)] ، عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن سهيل وقال: من كل مائة تسعة وتسعون.

٤٢٤١/٢٧- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا واصل بن عبد الأعلى، نا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق، فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه، فلا يأخذون منه شيئًا**»[(٢)] هذا حديث صحيح.

قوله: (**أفلاذ كبدها**) أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها كما قال جل ذكره ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾[الزلزلة:٢]. والفلذة لا تكون إلا للبعير، وهي قطعة من كبد، ويجمع فلذًا وأفلاذًا ، وهي القطع المقطوعة، وقيؤها: إخراجها، شبه بالكبد الذي في بطن البعير؛ لأنه من أطاليب الجزور، وقيل: تخرج ما في باطنها من معادن الذهب والفضة.

---

(١) (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٢) في الزكاة : باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، وأخرجه الترمذي (٢٢٠٩).

قتال الترك وقتال اليهود

٤٢٤٢/٢٨- أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، نا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة ، وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن سفيان، عن أبي الزناد.

٤٢٤٣/٢٩- أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، نا محمد بن يحيى، نا أبو صالح، حدثني الليث، حدثني جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك حمر الوجوه، صغار العيون، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة**» .

وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، وحتى يختبئ اليهودي وراء الحجر، فيقول**

---

(١) البخاري (٦/٤٤٧) في المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، وفي الجهاد: باب قتال الذين ينتعلون الشعر، وباب قتال الترك، ومسلم (٢٩١٢) (٦٤) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل يتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، وأخرجه أبو داود (٤٣٠٣) والترمذي (٢٢١٦) وابن ماجه (٤٠٩٧) وأحمد (٢/٥٣٠).

الحجر: يا عبد الله، يا مسلم تعال هذا ورائي يهودي فاقتله» .

وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت من المغرب، آمن الناس كلهم، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**» .

وهذه الأحاديث متفق على صحتها[1] أخرجاها من طرق عن أبي هريرة.

قوله: (كأن وجوههم المجان المطرقة) المجان: جمع المجن، وهو الترس، والمطرقة: هي التي أطرقت، أي: ألبست بطراق وهو الجلد الذي يغشاه، ويقال: طارق النعل: إذا صير خصفًا على خصف، شبه وجوههم في عرضها ونتو وجناتها بالترسة قد ألبست الأطرقة، الذلف: قصر الأنف وانبطاحه.

٣٠/٤٢٤٠٤- أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا أحمد بن يوسف السلمي، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر أحاديث منها قال : وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيهم المال فيفيض فيقول: حتى يهم رب المال من يتقبل منه صدقته قال: ويقبض العلم ، ويقترب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: الهرج أيم هو يا رسول الله؟ قال: القتل القتل**»[2] .

قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى**

---

(١) الأول أخرجه البخاري (٦/٧٥)، والثاني أخرجه البخاري (٦/٧٥)، ومسلم (٢٩٢٢) والثالث أخرجه البخاري (٨/٢٢٣)، ومسلم (١٥٧).

(٢) البخاري (٢/٤٣٢) و (٣/٢٢٣) ومسلم (١٥٧).

تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة»[1] .

قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»**[2] .

قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان قومًا من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة»**[3].

قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر»** .

قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»** .

هذه الأحاديث متفق على صحتها أخرجاها من طرق عن عبد الرزاق وطرق أخر عن أبي هريرة.

٣٠م/٤٢٤٥- وأخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، نا عبد الرحيم بن منيب، نا محمد بن يحيى، نا يزيد بن هارون، نا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالاً، كلهم يكذب على الله وعلى رسوله»** .

٤٢٤٦/٣١- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز

---

(١) البخاري (١٣/٧٢)، ومسلم (٢٢١٤).

(٢) البخاري ومسلم (٤/٢٢٤٠).

(٣) البخاري (٦/٤٤٧).

أنا محمد بن زكريا العذافري ، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري ، عن سالم، عن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه محمد عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، وأخرجه مسلم عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب.

قتال الروم

٣٢/٤٢٤٧- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبدالرحمن البزاز ، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري ، نا عبد الرزاق ، أنا معمر، عن أيوب، عن حميد بن هلال العدوي، عن رجل سماه، عن ابن مسعود قال: إنا لجلوس عنده بالكوفة إذ هاجت ريح حمراء ، فجعل الناس يقولون: قامت الساعة حتى جاء رجل له هجيراء يقول: قامت الساعة يابن مسعود، قامت الساعة يابن مسعود، فاستوى جالسًا وغضب وكان متكئًا، فقال: والله لا تقوم الساعة حتى لا يقتسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة وقال: إنها ستكون بينكم وبين هؤلاء مدة قال حميد: فقلت للرجل: الروم يعني؟ قال: نعم، ويستمد المؤمنون بعضهم بعضًا، فيقتتلون فتشرط شرطة للموت ألا يرجعوا إلا غالبين، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء ويفيء هؤلاء، وكل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم اليوم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك، ثم اليوم الرابع ينهد إليهم بقية المسلمين، فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها حتى إن بني الأب كانوا يتعادون على

---

(١) البخاري (٦/٤٤٩، ٤٥٠) في المناقب: باب علامات النبوة، وفي الجهاد: باب قتال اليهود، ومسلم (٢٩٢١) (٨١) في الفتن، وهو في المسند (٢/١٢٢) وعند الترمذي ٢٢٣٧).

مائة لا يبقى إلا الرجل، قال ابن مسعود: أفيقتسم هاهنا ميراث؟ قال معمر: وكان قتادة يصل هذا الحديث، قال: فينطلقون حتى يدخلوا قسطنطينية، فيجدون فيها من الصفراء والبيضاء ما إن الرجل ليحجل حجلاً، فبينا هم كذلك إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفكم في ذراريكم ، فيرفضون ما في أيديهم، قال ابن مسعود: أفيفرح هاهنا بغنيمة فيبعثون منهم طليعة عشرة فوارس أو اثني عشر ، قال ابن مسعود: قال النبي عليه السلام: «**إني لأعرف أسماءهم وقبائلهم وألوان خيولهم، هم يومئذ خير فوارس في الأرض، فيقاتلهم الدجال، فيستشهدون**» .

هكذا رواه معمر منقطعًا، وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم[1] عن علي بن حجر، عن إسماعيل بن علي، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة العدوي، عن يسير بن جابر، عن ابن مسعود، قوله: تشرط شرطة للموت، الشرطة: أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة، قوله: ينهد إليهم، يقال: نهد القوم لعدوهم: إذا صمدوا له.

ما يكون من العلامات بين يدي الساعة

٤٢٤٨/٣٣- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا الحميدي، نا الوليد بن مسلم، نا عبد الله بن العلاء بن زبر، قال: سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك وهو في قبة أدم، فقال: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار، فيظل ساخطًا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر،**

---

(١) (٢٨٩٩) في الفتن: باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، وهو في المسند (١/٤٣٥).

فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا». هذا حديث صحيح[1] .

الموتان -بضم الميم- هو الموت، وبالفتح: هو الأرض التي لم تحيي. وقوله: (كقعاص الغنم) القعاص: داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت، ومنه أخذ الإقعاص وهو القتل على المكان، يقال: ضربه فأقعصه، وفي الحديث: من قتل قعصًا فقد استوجب المآب[2] أي: حسن المآب.

واستفاضة المال: كثرته، وأصله التفرق والانتشار، يقال: استفاض الحديث: إذا انتشر، والهدنة: الصلح بعد القتال، وأصل الهدنة: السكون، يقال: هدنت أهدن هدونًا ومهدنة، ومنه قول سلمان: ملغاة أول الليل مهدنة لآخره يقول: إذا لغا في أول الليل فسهر، لم يستيقظ في آخره للتهجد والصلاة . وبنو الأصفر: الروم. والغاية: الراية، ويروى بالباء ومعناها: الأجمة شبه كثرة رماح أهل العسكر بها.

٤٢٤٩/٣٤- أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، نا أحمد بن علي الكشميهني، نا علي بن حجر، نا إسماعيل بن جعفر، نا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة، وخاصة أحدكم، وأمر العامة**» .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[3] عن ابن حجر.

---

(١) البخاري (٦/١٩٨، ١٩٩) في الجزية، باب ما يحذر من الغدر..، وهو في المسند (٦/٢٥، ٢٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/٣٦) من حديث عبد الله بن عتيك، وفيه عنعنة ابن إسحاق، وواحد رواته لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) (٢٩٤٧) في الفتن : باب بقية من أحاديث الدجال، وهو في المسند (٢/٣٠٤، ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١) وعند ابن ماجه (٤٠٥٦).

قوله: (خاصة أحدكم) يعني: الموت.

٤٢٥٠/٣٥- أخبرنا ابن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج ، نا أبو خيثمة زهير بن حرب، نا سفيان بن عيينة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي -صلى الله عليه وسلم- علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**». هذا حديث صحيح[1] .

٤٢٥١/٣٦- أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري قال: قال سعيد بن المسيب: أخبرني أبو هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيئ أعناق الإبل ببصرى**» .

هذا حديث متفق على صحته[2] أخرجه مسلم عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب.

٤٢٥٢/٣٧- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز

---

(١) هو في صحيح مسلم (٢٩٠١) في الفتن: باب الآيات التي تكون قبل الساعة، وأخرجه أحمد (٦/٤)، وأبو داود (٤٣١١)، وابن ماجه (٤-٥٥).

(٢) البخاري: (٦٨/١٣، ٦٩) في الفتن: باب خروج النار، ومسلم (٢٩٠٢) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

البغوي، نا علي بن الجعد، أنا ابن ثوبان، وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه أنه سمع مكحولاً يحدث عن جبير بن نفير، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال، ثم ضرب على فخذي**» الذي حدثه -يعني معاذًا- أو على منكبيه، ثم قال: «**إن هذا لحق كما أنت هاهنا أو كما أنت قاعد**».

وروي عن أبي بحرية، عن معاذ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر**»[(١)].

ويروى عن عبد الله بن بسر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج الدجال في السابعة**»[(٢)] قال أبو داود: هذا أصح.

٤٢٥٣/٣٨- أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنيفي، نا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، نا أبو العباس الأصم، نا أبو عتبة، نا بقية، نا

---

(١) وأخرجه أحمد (٥/٢٣٢، ٢٤٥) وأبو داود (٤٢٩٤) في الملاحم: باب أمارات الملاحم والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/٢٢٣) وعبد الرحمن بن ثابت مختلف فيه، وترجمه الذهبي في الميزان، وأورد له هذا الحديث وغيره من جملة مناكيره، ومع ذلك فقد قال الحافظ ابن كثير في النهاية (١/٥٩) بعد أن رواه عن الإمام أحمد: وهذا إسناد جيد، وحديث حسن عليه نور الصدق وجلال النبوة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٣٤)، وأبو داود (٤٢٩٥) وابن ماجه (٤٠٥٢)، والترمذي (٢٢٣٩) في الفتن : باب ما جاء في علامات خروج الدجال ، وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن أبي بلال، عن عبد الله بن بسر، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج الدجال في السابعة**»[1] .

٣٩/٤٢٥٤- أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**» .

وبهذا الإسناد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**» .

هذان حديثان متفق على صحتهما[2] أخرج مسلم الحديثين عن قتيبة بن سعيد، عن عبد العزيز بن محمد، عن ثور.

---

(١) وأخرجه أبو داود (٤٢٩٦) وابن ماجه (٤٠٩٣) وابن أبي بلال واسمه عبد الله، لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) البخاري (٦٧/١٣) في الفتن: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، و(٣٤٠/١١، ٣٤١) في الرقاق: باب قول الله تعالى: ﴿**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ ومسلم (٢٩١٠) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... و(٢٨٦٣) في الجنة: باب صفة يوم القيامة.

الدجال لعنه الله

٤٢٥٥/٤٠- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز ، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق ابن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال : قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذر قومه لقد أنذره نوح قومه، ولكني سأقول لكم قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**» .

هذا حديث صحيح أخرجه محمد[1] عن عبدان، عن عبد الله بن يونس، عن ابن شهاب.

٤٢٥٦/٤٠م- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا موسى بن إسماعيل، نا جويرية ، عن نافع، عن عبد الله قال: ذكر الدجال عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**» .

هذا حديث متفق على صحته[2] أخرجه مسلم عن ابن نمير، عن محمد ابن بسر، عن عبيد الله، عن نافع.

الطافية من العنب: الحبة الخارجة عن أخواتها، ومنه الطافي من

---

(١) هو في صحيحه (٦/٢٦٤) في الأنبياء: باب قول الله عز وجل : ﴿**ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه**﴾ وفي الفتن: باب ذكر الدجال، وفي التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ ، وأخرجه أحمد (٢/١٤٩) وأبو داود (٤٧٥٧) والترمذي (٢٢٣٦).

(٢) البخاري (٦/٣٥٠) في الأنبياء: باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ ومسلم (١٦٩) (٤/٢٢٤٧) في الفتن: باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

السمك؛ لأنه يعلو أو يظهر على رأس الماء، يريد أن حدقته قائمة كذلك.

٤٢٥٧/٤١- أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد ابن موسى الصيرفي، أنا أبو العباس الأصم، نا محمد بن هشام بن ملاس النميري، نا مروان الفزاري، نا حميد، عن أنس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الدجال أعور، عينه الشمال، عليها ظفرة غليظة، بين عينيه مكتوب: كافر ك ف ر**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجاه من طرق عن قتادة عن أنس.

وعن حذيفة أيضًا: أنه أعور العين اليسرى[2] .

قال الأصمعي: الظفرة: لحمة تنبت عند المآقي.

وروى ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[3] .

٤٢٥٨/٤٢- أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن أبا سعيد قال: نا النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: «**يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه رجل، وهو خير الناس - أو من خيار الناس - فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثه، فيقول**

---

(١) البخاري (١٣/٨٨) ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) هي عند مسلم (٢٩٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٤) (١٠٥) في الفتن. باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا، ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله، فلا يسلط عليه» .

هذا حديث متفق على صحته[1] ، وأخرجه مسلم عن عبد بن حميد وغيره، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب.

ورواه معمر عن الزهري. قال معمر: بلغني أنه يجعل على حلقه صفيحة من نحاس، وبلغني أنه الخضر الذي يقتله الدجال، ثم يحييه.

٤٢٥٩/٤٣- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا علي بن حجر، نا شعيب بن صفوان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان، فقال له عقبة: حدثني ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الدجال، قال : «**إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماء، فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا، فماء بارد عذب ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليقع في الذي يراه النار، فإنه ماء عذب طيب**» فقال عقبة: وأنا قد سمعته تصديقًا لحذيفة. هذا حديث صحيح[2] .

٤٢٦٠/٤٤- أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر القفال المروزي ، أخبرنا أبو علي منصور بن عبد الله بن خالد الهروي أنا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن محموية بالبصرة، نا يحيى بن أبي طالب، نا نصر

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/٨٩، ٩٠) في الفتن : باب لا يدخل الدجال المدينة، وفي فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة ، ومسلم (٢٩٣٨) في الفتن وأشراط الساعة: باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحيائه.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤) (٢٩٣٥) في الفتن: باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

ابن حماد، نا شعبة وهشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم يحدث عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الدجال أكثر مما سألته، فقال: إنه لن يضرك إنك لن تدركه، قلت: يا رسول الله يزعمون أن معه جبال خبز وأنهار ماء، وأنه يحيي الموتى، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنه أهون على الله من ذلك**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه محمد ، عن مسدد، عن يحيى، وأخرجه مسلم عن سريج بن يونس، عن هشيم، كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد.

٤٢٦١/٤٥- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن مهران الرازي، نا الوليد بن مسلم، نا عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن جبير، بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير ، عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه، عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله**

---

(١) البخاري (١٣/٨٠، ٨١) في الفتن باب ذكر الدجال ، ومسلم (٢٩٣٩) في الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل.

فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبر به الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كان ذرى وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، قال: فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أحوالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه ، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه، قطر، وإذا رفعه، تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربوا ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء ، فيشربوا ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي

الله وأصحابه إلى الأرض، ولا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، بينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة» .

وأخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا علي بن حجر السعدي، نا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا، وزاد بعد قوله: (لقد كان بهذه مرة ماء) ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون نشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا. هذا حديث صحيح(١) .

قوله: إنه خارج خلة، أي سبيلاً بين الشام والعراق. وقوله: فيقطعه جزلتين، أي: قطعتين.

قوله: (بين مهرودتين)، أي: في شقتين أو خلتين، ويروى هذا الحرف: (مهرودتين) بالدال والذال جميعًا اي ممصرتين، والممصرة من الثياب: التي فيها صفرة، ويروى في وصف عيسى: رجل مربوع إلى البياض والحمرة

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) (١١٠) و(١١١).

يمشي بين ممصرتين.

وقوله: وهم من كل حدب ينسلون، أي: يسرعون، يقال: نسل ينسل نسلانًا.

وقوله: فيرسل عليهم النغف. النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. واحدها: نغفة.

وقوله: فيصبحون فرسى. أي: قتلى الواحد فريس، مثل قتلى وقتيل، وصريع وصرعى من فرس الذئب الشاة.

وقوله: (فيتركها كالزلفة) الزلفة: واحدة الزلف وهي المصانع، وهي المزالف أيضًا.

٤٢٦٢/٤٦- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا محمد بن عبد الله بن فهزاذ من أهل مرو، نا عبد الله بن عثمان، عن أبي حمزة، عن قيس بن وهب، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فيلقاه المسالح مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه، قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: فيأمر الدجال به، فيشج، فيقول: خذوه فشبحوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا قال: فيقول: أوما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به، فيوشر بالميشار، من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم فيستوي قائمًا ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم**

يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة» فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هذا أعظم الناس شهادة عن رب العالمين**» . هذا حديث صحيح[١] .

٤٤/٤٢٦٠- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصاري قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيتي، فذكر الدجال، فقال: «**إن بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها ، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت وإن من أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول : أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك قال: فيقول : بلى فيمثل له نحو إبله كأحسن ما يكون ضروعًا وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه ، ومات أبوه، فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك، وأحييت لك أخاك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى فيمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه، قالت: ثم خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم، قالت: فأخذ بلحمتي الباب، فقال: مهيم أسماء**» قلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال: «**إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن**» قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله، والله إنا لنعجن عجيننا، فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ فقال: «**يجزيهم ما**

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٨) (١١٣).

يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس»[1] .

٤٢٦٤/٤٨- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن ابن خيثم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة، في النار**» [2] .

٤٢٦٥/٤٩- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفًا عليهم السيجان**» [3] .

السيجان: جمع الساج: وهو طيلسان أخضر، وقال الأزهري: هو الطيلسان المقور ينسج كذلك.

٤٢٦٦/٥٠- أخبرنا أبو الحسن الشيرزي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر

---

(١) إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وهو في المسند (٦/٤٣٥، ٤٥٤، ٤٥٦) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٣٥٤) وقال: رواه كله أحمد والطبراني من طرق، وفي إحداها: يكون قبل خروجه سنون خمس جدب، وفيه شهر بن حوشب، وفيه ضعف، وقد وثق.

(٢) إسناده ضعيف لضعف شهر، وهو في المسند (٦/٤٥٤، ٤٥٩) وأورده الهيثمي في المجمع (٧/٣٤٧) مطولاً ونسبه إلى الطبراني وأعله بشهر، قال: ولا يحتمل مخالفته للأحاديث الصحيحة أنه يلبث في الأرض أربعين يومًا، وفي هذا أربعين سنة.

(٣) إسناده ضعيف جدًا، أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين، متروك وبعضهم اتهمه.

أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**رأيتني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها ، فهي تقطر ماء متكئًا على رجلين، أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم، قال: ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، فسألت من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] .

أخرجه محمد عن عبد الله بن مسلمة عن مالك، وأخرجه مسلم، عن محمد بن إسحاق المسيي، عن أنس بن عياض، عن موسى بن عقبة، عن نافع وقال في الدجال: «**ورأيت وراءه رجلاً جعدًا قططًا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعًا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت**».

قلت: بعض الناس يقولون للدجال مسيح بكسر الميم وتشديد السين على وزن فعيل، وليس بشيء، بل هما في اللفظ واحد، وسمي عيسى عليه السلام مسيحًا، لأنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ، وقال أبو عبيد: المسيح أصله بالعبرانية مشيحًا، فعرب كما عرب موسى.

وأما الدجال، فسمي مسيحًا، لأنه ممسوح إحدى العينين، والمسيح

---

(١) الموطأ (٢/٩٢٠) في صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-: باب ما جاء في صفة عيسى عليه السلام والدجال، والبخاري (١٢/٣٤٥) في التعبير: باب رؤيا الليل، وباب الطواف بالكعبة في المنام، وفي الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ وفي اللباس: باب الجعد، وفي الفتن: باب ذكر الدجال ومسلم (١٦٩) (٢٧٤) في الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

الأعور وبه سمي الدجال.

٤٢٦٧/٥١- أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي الجرجاني، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، نا أبو الفضل جعفر بن أحمد بن علي بن بيان بن زيد بن شبابة الغافقي يعرف بابن أبي العلاء بمصر، نا عبد الله بن صالح أبو صالح، حدثني الليث، عن ابن شهاب أنه سمع عبيد الله بن عبد الله هو ابن ثعلبة الأنصاري يُحدث عن عبد الرحمن بن زيد الأنصاري قال: سمعت عمي مجمع ابن جارية يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يقتل ابن مريم الدجال بباب لد**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[1] .

حديث تميم الداري عن الدجال

٤٢٦٨/٥٢- أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرزي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أنا أبو بكر محمد بن سهل بن عبد الله القهستاني، المعروف بأبي تراب بطوس سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، نا جعفر ابن محمد بن الحجاج بن فرقد الفرقدي ، نا عبد الله بن جعفر ، نا عيسى بن يونس، نا عمران بن سليمان، عن الشعبي قال: حدثتني فاطمة بنت قيس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نادى: الصلاة جامعة، فخرج الناس إلى المسجد فخرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فصعد المنبر، فقال: أنذرتكم الدجال ثلاث مرات، ألا وإنه لم يكن فيما مضى، وهو كائن فيكم أيتها الأمة، ألا إن تميمًا الداري أخبرني أن ركبًا ركبوا بحر الشام في نفر من لخم وجذام، فألقتهم الريح إلى جزيرة من جزائره، فإذا هو بالدهماء تجر شعرها، قالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: فأخبرينا، قالت: ما أنا

---

(١) وأخرجه أحمد (٣/٤٢٠، ٤/٢٢٦) والترمذي (٢٢٤٥) في الفتن. باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال، وصححه ابن حبان (١٩٠١).

بمخبركم، ولا أنا بمستخبركم، ولكن ائتوا رجلاً في هذا الدير، فإنه إلى رؤيتكم بالأشواق ، قال: فدخلوا فإذا رجل ممسوح العين، موثق بالحديد إلى سارية، فقال : ما أنتم؟ قلنا: نحن العرب، قال: ما فعلت العرب؟ قلنا: ظهر فيهم نبي يتيم يدعو إلى الله، قال: فما فعل الناس؟ قلنا: تبعه قوم، وتركه قوم، قال: أما إن هم يتبيعونه ويصدقونه خير لهم لو كانوا يعلمون، قال: فما فعلت العرب أيش لباسهم؟ قلنا : صوف وقطن تغزله نساؤهم، قال: فضرب بيديه على فخذه ، ثم قال: هيهات، ثم قال: ما فعلت عين زغر؟ قلنا: كثير ماؤها، تتدفق، تروي من أتاها، قال: فضرب بيده على فخذه، ثم قال: هيهات ما فعل نخل بيسان؟ قلنا : يؤتى جناه في كل سنة، فضرب بيده على فخذه، ثم قال: هيهات، ثم قال : لو أطلقني الله من وثاقي هذا لم يبق منهل إلا دخلته إلا مكة وطيبة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هذه طيبة حرمتها كما حرم إبراهيم مكة، أما إنه ليس من سكة ونقب إلا وعليه ملك شاهر بالسيف يمنعها من الدجال إلى يوم القيامة.

قلت: قوله: (هيهات كأنه يريد تغير أحوال هذه الأشياء) فقد روى ابن بريدة عن الشعبي في هذا الحديث أنه قال : أخبروني عن نخل بيسان هل يثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنها توشك ألا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب[1] .

٤٢٦٩/٥٣- أخبرنا أبو الحسن الشيرزي، أنا زاهر بن أحمد، أنا محمد بن سهل القهستاني ، نا أبو داود الحراني، نا سهل بن حماد أبو عتاب، نا قرة بن خالد، عن سيار أبي الحكم، عن عامر الشعبي قال: دخلنا على فاطمة بنت قيس فأتحفتنا رطبًا، وسقتنا سويق سلت، فسألتها عن المطلقة ثلاثًا أين تعتد، فقالت: أذن لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

طلقني بعلي أن أعتد في أهلي، وأن أتحول، قالت: فنودي يومئذ: الصلاة جامعة، فانطلقت فيمن انطلق من النساء، وكنت في الصف الأول من النساء مما يلي الصف المؤخر من الرجال، فسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن بني عم لتميم الداري ركبوا البحر، وإن سفينتهم قذفتهم إلى جزيرة من جزائر البحر، فرأوا هنالك دابة يواريها شعرها، فلما نظر إليها القوم، قالت: أنا الجساسة إن في ذلك الدير، من هو إلى خبركم بالأشواق أن يراكم ، فانطلق القوم، فرأوا رجلاً مكبلاً في الحديد تضاور كأنه أعجبه دخولهم، فسألهم: أخرج صاحبكم؟ قال: قلنا: نعم، قال: فاتبعوه، ألا تخبروني عن نخل بيسان أطعم؟ قلنا: نعم، قال: فأخبروني عن بحيرة الطبرية ما فعلت؟ قلنا : كثيرة الماء، قال: وعين زغر؟ قلنا: وعين زغر، قال: أما إني لو خرجت لوطئت الأرض كلها غير مكة وطيبة**» وكأني أنظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال: بمخصرته بيده: «**وهذه طيبة**».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[1] عن يحيى بن حبيب الحارثي عن خالد بن الحارث الهجيمي عن قرة، وأخرجه من طرق أخر عن الشعبي.

وسميت المدينة طيبة، لأنها طاهرة من الخبث والنفاق، كما قال عليه السلام: «**المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها**» [2]

قلت: قوله: تضاور، أي: يظهر. الضر الذي به من الضور وهو الضر، والجساسة يقال: إنها تجسس الأخبار للدجال، وقوله: نخل بيسان أطعم: أي: هل أثمر؟ يقال: بأرض فلان من الشجر المطعم كذا، أي المثمر.

---

(١) في (أ) محمد، وهو خطأ فليس في صحيحه، وهو في مسلم (٢٩٤٢) (١٢٠) في الفتن: باب قصة الجساسة.

(٢) أخرجه البخاري (٤/٨٣) في فضائل المدينة: باب المدينة تنفي الخبث ومسلم (١٢٨٣) في الحج: باب المدينة تنفي شرارها.

ذكر ابن صياد

٤٢٧٠/٥٤- أخبرنا أبو عمر عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا أبو اليمان، أنا شعيب، أخبرني الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان في أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ظهره بيده، ثم قال: «**أتشهد أني رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟**» فنظر إليه، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، ثم قال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله، فرضه النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: «**آمنت بالله ورسوله**» ثم قال لابن صياد: ماذا ترى؟ قال: يأتيني صادق وكاذب، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**خلط الأمر عليه**» قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**إني خبأت لك خبيئًا**» فقال: هو الدخ؟ قال: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**» قال عمر: يا رسول الله أتأذن لي في ضرب عنقه؟ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن يكن هو، لا تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله**» قال سالم: فسمعت ابن عمر يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بن كعب الأنصاري يؤمان النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، طفق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئًا قبل أن يراه، وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها رمرمة أو زمزمة، فرأت أم صياد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: أي صاف وهو اسمه هذا محمد، فتناهى ابن صياد، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لو تركته بين**» قال سالم: قال عبد الله:

قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**» .

هذا حديث متفق على صحته[١] وأخرجه مسلم[٢] عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب.

وروي عن أبي سعيد الخدري في هذه القصة قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما ترى؟**» قال: أرى عرشًا على الماء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يرى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟ قال: أرى صادقين وكاذبًا، أو كاذبين وصادقًا**» فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لبس عليه دعوة**»[٣] .

قوله: فرضه -بالضاد المعجمة- التي معناها الكسر، قال الخطابي: هو غلط[٤]، والصواب: فرصه بالصاد غير المعجمة أي: تناوله، فضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض، ومنه رص البناء، قال الله سبحانه وتعالى ﴿**كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف: ٤] وقال يونس عن الزهري: فرفضه.

وقوله: (خبأت لك خبيئًا) كان قد خبأ له يوم تأتي السماء بدخان مبين، والدخ: الدخان، قوله: (فلن تعدو قدرك) قال الخطابي: يحتمل وجهين أحدهما: يريد أنه لا يبلغ قدره، أن يطالع الغيب من قبل الوحي الذي يوحي

---

(١) البخاري (١٠/٤٦٣) في الأدب: باب قول الرجل للرجل: اخسأ. ومسلم (٢٩٣٠) في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

(٢) لفظ مسلم سقط من (أ).

(٣) هي رواية لمسلم (٢٩٢٥).

(٤) وقد وجهه ابن بطال بأن معناه: دفعه حتى وقع فتكسر، يقال: رض الشيء فهو رضي ومرضوض: إذا انكسر.

به إلى الأنبياء، ولا من قبل الإلهام الذي يلقى في روح الأولياء، وإنما كان الذي جرى على لسانه شيئًا ألقاه الشيطان حين سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يراجع به أصحابه قبل دخوله النخل، والآخر، أي: لن تسبق قدر الله فيك وفي أمرك، وقد يستدل به بعض أهل العلم على صحة إسلام غير البالغ ولولا ذلك لم يستكشفه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان وهو إذ ذاك غير بالغ.

وقوله: (يختل) أي: يطلب أن يأتيه من حيث لا يعلم، فيسمع ما يقوله في خلوته، ومنه ختل الصيد وهو أن يؤتى من حيث لا يشعر، فيصاد.

قوله: له فيها رمرمة أو زمزمة، وقال يونس عن الزهري: زمزمة بالزاي، وقال عقيل عن الزهري: رمرمة بالراء، وقال معمر عن الزهري: رمزة، ويروى: زمرة أي: رمزة قلت: هذه ألفاظ معانيها متقاربة، الرمرمة تكون بمعنى الحركة، ففي حديث عائشة كان له عليه السلام وحش، فإذا خرج لعب، وإذا جاء، ربض، فلم يترمرم ما دام في البيت[1] ، أي: لم يتحرك. والزمزمة بالزاي: الصوت، يقال: زمزم يزمزم زمزمة: إذا صوت، وقيل في شأن زمزم سميت به لصوت كان من جبريل عندها يشبه الزمزمة، وقيل: لأن هاجر زمت الماء بالتحجير عليه، وأصلها زمم، ومن قال رمزة، فمن الرمز وهو الإشارة، وقد يكون بالعينين والحاجبين والشفتين، وأصله الحركة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إلا رمزًا﴾ [آل عمران:٤١] قال مجاهد: إيماء بشفتيه، ومن قال: زمرة بتقديم الزاي المعجمة، فلعله كان يتغنى مع نفسه بشيء قال الأصمعي: زمر: إذا غنى، وفي الحديث: نهي عن كسب الزمارة[2] قيل: معناه المغنية. قوله: (لو تركته بين) أي: بين ما في نفسه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١١٢/٦، ١١٣، ١٥٠) وإسناده قوي.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه (١٢٦/٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: (نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ثمن الكلب ومهر الزمارة).

٤٢٧١/٥٥- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال : لقيت ابن صياد يومًا ومعه رجل من اليهود، فإذا عينه قد طفت، وكانت عينه خارجة كعين الجمل ، فلما رأيتها قلت: يا ابن الصياد، أنشدك الله متى طفت عينك؟ فقال: لا أدري والرحمن، قلت: كذبت لا تدري وهي في رأسك ، فنخر ثلاثًا، فزعم اليهودي أني ضربت بيدي على صدره، قال: ولا أعلمني فعلت ذلك، فقلت: اخسأ فلن تعدو قدرك، فقال: أجل لعمري وأعدو قدري، فكأنما كان سقاء انفش، قال: فذكرت ذلك لحفصة، فقالت: اجتنب هذا الرجل فإنا نتحدث أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها[١] .

٤٢٧٢/٥٦- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا عبد ابن حميد، نا روح بن عبادة، نا هشام، عن أيوب، عن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صياد في بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله ما أردت من بن صياد، أما علمت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**» . هذا حديث صحيح[٢] .

قال أبو سليمان الخطابي: وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا شديدًا، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول، وقد يسأل عن هذا، فيقال: كيف يقار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلاً يدعي النبوة كاذبًا،

---

(١) إسناده صحيح، ونسبه الحافظ في الفتح (٢٧٤/١٣) إلى عبد الرزاق، وصحح إسناده.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٢) في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

ويتركه بالمدينة يساكنه في داره، ويجاوره فيها، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك : «**اخسأ فلن تعدو قدرك**».

قال أبو سليمان : والذي عندي أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليهود وحلفاءهم، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتابًا صالحهم فيه على أن لا يهاجوا، وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن الصياد منهم، أو دخيلاً في جملتهم، وكان يبلغ رسول الله خبره وما يدعيه من الكهانة، يتعاطاه من الغيب، فامتحنوه بذلك ليروز به أمره، ويخبر به شأنه، فلما كلمه، علم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رئي من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع منه قوله (الدخ) زجره، فقال: (اخسأ فلن تعدو قدرك) يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السماوي، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يلهمون العلم، ويصيبون بنور قلوبهم الحق، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها، ويخطئ في بعض، وذلك معنى قوله: (يأتيني صادق وكاذب) فقال له عند ذلك : خلط عليك، فالجملة من أمره أنه كان فتنة قد امتحن الله به عباده المؤمنين، ليهلك من هلك عن بينة، وقد امتحن قوم موسى عليه السلام في زمانه بالعجل، فافتتن به قوم وأهلكوا، ونجا من هداه الله وعصمه، منهم.

وقد اختلفت الروايات في أمره وفيما كان من شأنه بعد كبره، فروي أنه قد تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة، وإنهم لما أرادوا للصلاة عليه، كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس، وقيل لهم: اشهدوا.

٤٢٧٣/٥٧- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، حدثني عبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن المثنى قالا: نا عبد الأعلى، نا

داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: صحبت ابن الصياد إلى مكة، فقال لي: قد لقيت من الناس يزعمون أني الدجال ألست سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إنه لا يولد له؟**» قال: قلت: بلى، قال: فقد ولد لي، أو ليس سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: لا يدخل المدينة ولا مكة؟ قلت: بلى، قال: فقد ولدت بالمدينة وها أنا أريد مكة، قال: ثم قال لي في آخر قوله: أما والله إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو فلبسني. هذا حديث صحيح(١) .

وذهب ابن عمر إلى أن ابن صياد هو الدجال(٢) .

وقال محمد بن المنكدر: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله : أن ابن الصائد الدجال ، فقلت: تحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلم ينكره النبي -صلى الله عليه وسلم(٣).

ويروى أنه قيل لجابر: إنه أسلم؟ فقال: وإن أسلم، فقيل: إنه دخل مكة، وكان بالمدينة، فقال: وإن دخل(٤).

وروي عن جابر أنه قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة(٥) وهذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم.

---

(١) هو في صحيح مسلم (٢٩٢٧).

(٢) أخرج أبو داود في سننه (٤٣٣٠) في الملاحم: باب في خبر ابن صائد عن نافع، قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشكّ أن المسيح الدجال ابن صياد، وإسناده صحيح وصححه الحافظ في الفتح (٢/٢٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/٢٧٣) ومسلم (٢٩٢٩) وأبو داود (٤٣٣١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٢٨) في الملاحم: باب خبر الجساسة وسنده حسن.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٣٣٢) وإسناده صحيح، وصحح الحافظ في الفتح (١٣/٢٧٦) إسناده قال: وهذا يضعف ما تقدم أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه، وكشفوا عن وجهه.

وروي عن أبي ذر أنه كان يقول: هو الدجال، وقال: قالت أمه: حملته اثني عشر شهرًا ، فلما وقع، صاح صياح ابن شهرين، وكان يشب في اليوم الواحد شباب الصبي لشهر(١).

قلت: وروي عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يمكث أبوا الدجال ثلاثين عامًا لا يولد لهما، ثم يولد لهما غلام أعور أضرس وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه**» فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة، فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عامًا لا يولد لنا، ثم ولد لنا غلام أعور أضرس، وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه(٢) .

٤٢٧٤/٥٨- أخبرنا أبو الفتح نصر بن علي الحاكم، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، نا أبو العباس الأصم، نا العباس بن محمد الدوري، نا محمد بن سابق ، نا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلامًا ممسوحة عينه، طالعة نابه، فأشفق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يكون الدجال، فوجده تحت قطيفة يهمهم ، فآذنته أمه، فقالت: يا عبد الله هذا أبو القاسم، فخرج من القطيفة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما لها قاتلها الله؟ لو**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٤٨/٥) وسنده حسن وفيه قول أبي ذر: لأن أحلف عشر مرار أن ابن صائد هو الدجال ، أحب إليّ من أن أحلف مرة واحدة أنه ليس هو، وإسناده حسن، وصححه الحافظ في الفتح (٢٧٨/١٣) وقال: ومن حديث ابن مسعود نحوه لكن قال: سبعًا بدل عشر مرات. أخرجه الطبراني.

(٢) أخرجه أحمد (٤٠/٥، ٤٩، ٥٠)، والترمذي (٢٢٤٩) في الفتن : باب ما جاء في ذكر ابن صائد، وإسناده ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وأورده ابن كثير في النهاية (١٢٧/١) وقال: هو منكر جدًا.

تركته لبين» ثم قال: «**يا ابن الصائد ما ترى؟ قال: أرى حقًا، وأرى باطلاً، وأرى عرشًا على الماء، قال: فلبس، فقال: أتشهد أني رسول الله؟ قال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: آمنت بالله ورسوله، ثم خرج وتركه، ثم أتى مرة أخرى، فوجده في نخل له يهمهم، فآذنته أمه، فقالت: يا عبد الله هذا أبو القاسم قد جاء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما لها قاتلها الله لو تركته لبين»** قال: وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطمع أن يسمع من كلامه شيئًا فيعلم هو هو أم لا، فقال : يا ابن الصائد ما ترى؟ قال: أرى حقًّا، وأرى باطلاً، وأرى عرشًا على الماء، قال: «**أتشهد أني رسول الله؟**» فقال هو: أتشهد أني رسول الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**آمنت بالله ورسله**» فلبس عليه، ثم خرج وتركه، ثم جاء في الثالثة أو الرابعة، ومعه أبو بكر وعمر في نفر من المهاجرين والأنصار وأنا معه، قال: فبادر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أيديهم، ورجا أن يسمعهم من كلامه شيئًا، فسبقته أمه إليه، فقالت: يا عبد الله هذا أبو القاسم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما لها قاتلها الله لو تركته لبين**» فقال: «**يا ابن صائد ما ترى؟**» قال: أرى حقًّا وأرى باطلاً، وأرى عرشًا على الماء، فقال : «**أتشهد أني رسول الله؟**» فذكر مثله. فقال: «**يا ابن صائد إنا قد خبأنا لك خبيئة فما هو؟**» قال: الدخ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**اخسأ، اخسأ**» فقال عمر بن الخطاب، ائذن يا رسول الله فأقتله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن يكن هو، فلست صاحبه ، إنما صاحبه عيسى ابن مريم وإن لا يكن هو، فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد**» فلم يزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مشفقًا أنه الدجال[1] .

---

(١) وأخرجه أحمد (٣٦٨/٣) وفيه تدليس أبي الزبير، وباقي رجاله ثقات، وذكره ابن

قلت: فيه دليل على أنه كان من أهل العهد، ولذلك منع النبي عليه السلام عن قتله.

نزول عيسى بن مريم صلوات الله عليه

٤٢٧٥/٥٩- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا علي بن الجعد، أنا عبد الله بن أبي سلمة الماجشوني، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب. عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عادلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله أحد**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه محمد عن إسحاق، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح، وأخرجه مسلم عن قتيبة، عن الليث، كل عن ابن شهاب.

قوله: (يكسر الصليب) يريد إبطال النصراينة، والحكم بشرع الإسلام، ومعنى قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، وفيه بيان أن أعيانها نجسة؛ لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه.

وقوله: (ويضع الجزية) معناه: أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام، فقد روي عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في

=

كثير في النهاية من رواية الإمام أحمد، وقال: وهذا سياق غريب جدًّا.

(١) البخاري (٣٥٥/٦، ٣٥٦) في الأنبياء: باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وفي البيوع: باب قتل الخنزير، وفي المظالم: باب كسر الصليب وقتل الخنزير، ومسلم (١٥٥) في الإيمان : باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

نزول عيسى (**وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون**)[1] .

وقيل: معنى وضع الجزية: أن المال يكثر حتى لا يوجد محتاج ممن يوضع فيهم الجزية، يدل عليه قوله -عليه السلام-: (فيفيض المال حتى لا يقبله أحد).

٤٢٧٦/٦٠- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، حدثنيه قتيبة بن سعيد ، نا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد**»[2] . هذا حديث صحيح.

٤٢٧٧/٦١- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، حدثنا ابن بكير، نا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**» .

هذا حديث متفق على صحته[3] وأخرجه مسلم عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس. وقال معمر عن الزهري: «**فأمكم أو إمامكم**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٤٠٦، ٤٣٧) وأبو داود (٤٣٢٤) في الملاحم: باب خروج الدجال.

(٢) مسلم (١٥٥) (٢٤٣).

(٣) البخاري (٦/٣٥٧، ٣٥٨) في الأنبياء : باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾، ومسلم (١٥٥) (٢٤٤).

منكم» وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهاب: «**فأمّكم منكم**» قال ابن أبي ذئب في معناه: فأمكم بكتاب ربكم، وسنة نبيكم -صلى الله عليه وسلم-[1].

٤٢٧٨/٦٢- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن حنظلة الأسلمي أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم من فج الروحاء**[2] **بالحج أو بالعمرة أو ليثنينهما**».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[3] عن عمرو الناقد وغيره عن سفيان بن عيينة عن الزهري.

وروي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٦).

(٢) هو موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة وكان طريق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج.

(٣) (١٢٥٢) في الحج: باب إهلال النبي -صلى الله عليه وسلم- وهديه وهو في المسند (٧٢٧١) و (٧٦٦٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٣/٢٧، ٤٨، ٦٤) والبخاري (٣/٣٦٣) في الحج: باب قول الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾.

المهدي

٦٣/٤٢٧٩- حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أنا أبو الحسين محمد بن بشر بن محمد المزني، أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن السري التميمي الحافظ بالكوفة، أنا الحسن بن علي بن جعفر الصيرفي، نا أبو نعيم الفضل بن دكين، نا قطر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا**»[1] .

وأخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، أنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، نا سوادة بن علي ابن جابر الأحمسي، حدثنا أبو نعيم بهذا الإسناد مثله.

٦٤/٤٢٨٠- أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أبي هارون العبدي، عن معاوية بن قرة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي ، فيملأ به الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئًا**

---

(١) وررواه أحمد في المسند (١/٩٩) وأبو داود (٤٢٨٣) في أول كتاب المهدي، وإسناده حسن ، وقد سكت عنه المنذري، وقال في عون المعبود: سنده قوي.
وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه ابن حبان (١٨٧٦) وآخر من حديث عبد الله بن مسعود ، أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) والترمذي (٢٢٣٢) في الفتن: باب ما جاء في المهدي، وسنده حسن، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

إلا صبته مدرارًا، ولا تدع الأرض من نباتها شيئًا إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء الأموات، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين»(١).

ويروى هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري، وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو.

وروي عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»(٢).

ويروى: «**يعمل في الناس بسنة نبيهم، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**»(٣).

وروي عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، يملك سنين**»(٤).

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في قصة المهدي قال: «**فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**»(٥).

---

(١) أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه.
ورواه الحاكم (٤/٥٥٧) مختصرًا من طريق آخر بلفظ: (لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلمًا وجورًا وعدوانًا، ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وعدوانًا) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٤) وابن ماجه (٤٠٨٦) في الفتن: باب خروج المهدي، والحاكم (٤/٥٥٧) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٦/٣١٦) وأبو داود (٤٢٨٦) من طريق معاذ ابن هشام عن أبيه، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحب له، عن أم سلمة، ثم رواه أبو داود (٤٢٨٨) من رواية أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث، عن أم سلمة فتبين بذلك المبهم في الإسناد الأول وإسناده حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٣/١٧) وأبو داود (٤٢٨٥) والحاكم (٤/٥٥٧)، وإسناده حسن.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٢٣٣) في الفتن، وابن ماجه (٤٠٨٣) وفي سنده زيد العمي، وهو ضعيف، وباقي رجاله ثقات.

٤٢٨١/٦٤م- حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن المزني، نا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل المقرئ الأدمي، ببغداد، نا محمد بن إسماعيل الحساني، نا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي المال بغير عدد**» .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[١] عن زهير بن حرب، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن داود.

الذئب والراعي

٤٢٨٢/٦٥- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الأشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى راعي غنم، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه ، قال: فصعد الذئب على تل، فأقعى واستقر، وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ، ثم انتزعته مني؟ فقال الرجل : تالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم، فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، قال: فكان الرجل يهوديًّا، فجاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأخبره وأسلم ، فصدقه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إنها أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج ، فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده**»[٢] .

---

(١) (٢٩١٤) (٦٩) في الفتن وأشراط الساعة: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.

(٢) وأخرجه أحمد (٣٠٦/٢) وشهر بن حوشب ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وأما رواية أبي سعيد، فهي في المسند (٨٣/٣، ٨٤) وإسناده صحيح، وصححه =

ويروى هذا عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، وفيه قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**صدق الراعي ألا إن من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وتكلم الرجل نعله وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بحديث أهله بعده**» .

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

يرويه عبد الله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[1] .

٦٦/٤٢٨٣- أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، نا جعفر بن محمد الصائغ ، نا عفان بن مسلم، نا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**» .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب عن عفان بن مسلم.

٦٧/٤٢٨٤- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري ، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله**» .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[2] عن عبد بن حميد، عن عبد

=

الحاكم (٤/٤٦٧، ٤٦٨) ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي (٢١٨٢) مختصرًا وحسنه.

(١) رواه أحمد (١/٣٩٤، ٤٠٥، ٤٥٤) ومسلم (٢٩٤٩) في الفتن: باب قرب الساعة.

(٢) (١٤٨) في الإيمان: باب ذهاب الإيمان آخر الزمان.

الرزاق.

٤٢٨٥/٦٨- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة.

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق، وأخرجه محمد عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري.

ومعنى الخبر: حتى ترجع دوس عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخلصة، وتضطرب ألياتها كذلك فعلهم في الجاهلية، والخلصة: بيت فيه صنم يقال له: الخلصة، وقيل: الخلصة بيت الكعبة اليمانية أنفذ إليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جرير بن عبد الله، فخربها.

٤٢٨٦/٦٩- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا زهير بن حرب، نا عبد الرحمن يعني ابن مهدي، نا شعبة، عن علي بن الأقمر، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**» . هذا حديث صحيح[2] .

٤٢٨٧/٧٠- أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبد الصمد البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أيوب، عن نافع، عن عياش بن أبي ربيعة أن النبي -صلى الله عليه

---

(١) البخاري (١٣/٦٦) في الفتن: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، ومسلم (٢٩٠٦) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤) وقد تقدم قريبًا.

وسلم- قال: «**تخرج ريح بين يدي الساعة يقبض فيها روح كل مؤمن**»(١).

٤٢٨٨/٧١- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا أحمد بن عبدة الضبي، نا عبد العزيز بن محمد، نا صفوان بن سليم، عن عبد الله ابن سلمان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحرير، لا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته**» . هذا حديث صحيح(٢) .

٤٢٨٩/٧٢- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، حدثني أبو كامل الجحدري ، وأبو معن زيد بن يزيد الرقاشي ، واللفظ لأبي معن قالا: حدثنا خالد بن الحارث، نا عبد الحميد بن جعفر، عن الأسود بن العلاء ، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**» فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تامًّا، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحًا طيبة، فتوفيَ كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**». هذا حديث صحيح(٣).

٤٢٩٠/٧٣- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن

---

(١) رواه أحمد (٣/٤٢٠) وأورده الهيثمي في المجمع (٨/١٢) وزاد نسبته للبزار وقال: ورجاله رجال الصحيح إلا أن نافعًا لم يسمع من عياش.

(٢) مسلم (١١٧) في الإيمان: باب في الريح التي تكون قرب القيامة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا محمد بن يوسف، نا سفيان، عن الزبير بن عدي قال: «**أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم -صلى الله عليه وسلم-**». هذا حديث صحيح[1] .

وقال عبد الله بن مسعود: لأهل بيتي أهون علي موتًا من عدتهم من الجعلان، ولا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الآخر، ولبئس عبد الله أنا إن كذبت[2] .

وقال عبد الله بن مسعود: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس كرجرجة الماء الخبيث.

قال أبو عبيد: الرجرجة بكسر الراءين: هي بقية الماء في الحوض الكدرة المختلطة بالطين لا يمكن شربها، ولا ينتفع بها.

طلوع الشمس من مغربها

٤٢٩١/٧٤- أخبرنا ابن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، نا إبراهيم بن محمد بن سفيان، نا مسلم بن الحجاج، نا أبو بكر بن أبي شيبة، نا محمد بن بشر، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن عبد الله ابن عمرو ، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبًا**».

هذا حديث صحيح[3] .

---

(١) هو في البخاري (١٣/ ١٦، ١٧) في الفتن : باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه.

(٢) انظر: مجمع الزوائد (٧/٢٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤١) في الفتن: باب خروج الدجال ومكثه في الأرض.

٤٢٩٢/٧٥- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا محمد بن يوسف، نا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي ذر: حين غربت الشمس تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾.

هذا حديث متفق على صحته[1] وأخرجه مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد التيمي.

٤٢٩٣/٧٦- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا الحميدي، نا وكيع، نا الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾ قال: مستقرها تحت العرش.

هذا حديث متفق على صحته[2] أخرجه مسلم عن أبي سعيد الأشجن، وإسحاق بن إبراهيم، عن وكيع.

قال أبو سليمان الخطابي في قوله عز وجل: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾ إن أهل التفسير وأصحاب المعاني قالوا فيه قولين، قال بعضهم: معناه:

---

(١) البخاري (٦/١٢٤) في بدء الخلق: باب صفة الشمس والقمر، وفي تفسير سورة يس، وفي التوحيد: باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، وباب قول الله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه، ومسلم (١٥٩) في الإيمان: باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) البخاري (٨/٤١٦)، ومسلم (١٥٩) (٢٥١).

أي: لأجل قدر لها يعني انقطاع مدة بقاء العالم، وقال بعضهم: مستقرها: غاية ما ينتهي إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم في الصيف، ثم تأخذ حتى تنتهي إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة.

وأما قوله عليه السلام: (مستقرها تحت العرش) فلا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب، فلا نكذب به ، ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به، ويحتمل أن يكون المعنى: أن علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه مبادئ أمور العالم ونهايتها والوقت الذي تنتهي به مدتها ، فينقطع دوران الشمس، وتستقر عند ذلك، فيبطل فعلها وهو اللوح المحفوظ.

وقال أبو سليمان: وفي هذا يعني في الحديث الأول إخبار عن سجود الشمس تحت العرش، فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، وليس في سجودها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها، والتصرف لما سخرت له، وأما قوله عز وجل: ﴿**حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة**﴾ [الكهف: ٨٥] فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب، وليس معنى قوله: تغرب في عين حمئة أنها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنما هو خبر عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيره حتى لم يجد وراءها مسلكًا، فوجد الشمس لمن كان في البحر، وهو لا يرى الساحل كأنها تغيب في البحر والله أعلم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ [الرحمن:٥] وقوله عز وجل: ﴿**والشمس والقمر حسبانًا**﴾[الأنعام: ٩٦] أي: يجريان بحساب معلوم، وعلى منازل ومقادير لا يجاوزانها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ [يس: ٣٩] وقيل: حسبان جمع حساب، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وجدها تغرب في عين حمئة**﴾

أي: في رأي العين، فمن قرأها: حامية بلا همز: أراد الحارة، ومن قرأ: حمئة بلا ألف مهموزًا، أراد عينًا ذات حمأة، يقال: حمأت البئر إذا نزعت منها الحمأة، وأحمأتها: إذا ألقيت فيها الحمأة.

قول الله عز وجل

﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ [النحل: ٧٧] وأن من مات فقد قامت قيامته.

وقال جل ذكره: ﴿**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا**﴾ [الأحزاب:٦٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة**﴾ [الأعراف:١٨٦] أي: خفت، وإذا خفي عليك الشي، فقد ثقل.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يسألونك كأنك حفي عنها**﴾ [الأعراف: ١٨٦] أي: عالم بها.

قال مجاهد: أراد كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها، أي: أكثرت المسألة عنها، يقال: أحفى في السؤال، والحف، تقول العرب: فلان حفي بخبر فلان، إذا كان معنيًا بالسؤال عنه.

وقال جل ذكره: ﴿**أزفت الآزفة**﴾ [النجم: ٥٧]. أي: اقتربت الساعة، ودنت القيامة، يقال : أزف الشيء: إذا دنا، ويقال للقيامة: آزفة، لأنها لا محالة آتية، وما كان آتيًا، وإن بعد وقته، فهو قريب.

وقال جل ذكره: ﴿**تأخذهم وهم يخصمون**﴾ [يس: ٤٩]. أي: يختصمون في أمر الدنيا، وفي متصرفاتهم فيها.

٤٢٩٤/٧٨- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان ، نا أبو حازم، نا سهل بن سعد قال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال بإصبعه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام:

«**بعثت والساعة كهاتين**» .

هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه مسلم عن قتيبة، عن يعقوب ابن عبد الرحمن، عن أبي حازم.

وقيل في تفسيره: كفضل إحداهما على الأخرى، يريد: ما بيني وبين الساعة من مستقبل الزمان بالإضافة إلى ما مضى مقدار فضل الوسطى على السبابة.

٤٢٩٥/٧٩- أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبد الله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، نا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وكان إذا ذكر الساعة، احمرت وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه نذير جيش: صبَّحَكم ومسَّاكُم.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم[2] من غير وجه عن جعفر في الخطبة.

٤٢٩٦/٨٠- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا صدقة، أخبرنا عبدة، عن هشام ، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي -صلى الله عليه وسلم- فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم، فيقول: «**إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**»[3] .

---

(١) البخاري (٨/٥٣٠) في تفسير سورة النازعات، وفي الطلاق: باب اللعان، وفي الرقاق: باب قول النبي: بعثت أنا والساعة كهاتين، ومسلم (٢٩٥٠) في الفتن: باب قرب الساعة.

(٢) (٨٦٧) في الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٣) قال الكرماني: هذا الجواب من الأسلوب الحكيم، أي: دعوا السؤال عن وقت =

قال هشام: يعني موتهم. هذا حديث متفق على صحته[1] أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، عن هشام.

٤٢٩٧/٨١- أخبرنا أبو عبد الله الخرقي، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، نا أحمد بن علي الكشميهني، نا علي بن حجر، نا إسماعيل بن جعفر ، نا شريك بن عبد الله بن أبي نمر، أنه سمع أنس ابن مالك يقول: دخل رجل المسجد، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر يوم الجمعة، فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فأشار الناس إليه أن اسكت، فسأله ثلاث مرات، كل ذلك يشير إليه الناس أن اسكت، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند الثالثة : «**ويحك ما أعددت لها؟**» قال: حب الله ورسوله، قال: «**إنك مع من أحببت**» قال: فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ثم مر غلام، قال أنس: هو من سني قد احتلم أو راهق ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أين السائل عن الساعة؟**» قال: ها هو ذا قال: «**إن أكمل هذا الغلام عمره أو أدرك عمره فلن يموت حتى يرى أشراطها**». صحيح.



=

القيامة الكبرى ، فإنها لا يعلمها إلا الله، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم ، فهو أولى لكم، لأن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته؛ لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر.

(١) البخاري (٣١٢/١١) في الرقاق: باب سكرات الموت، ومسلم (٢٩٥٢).

ختـــــامه مســـك

١- المحقق مواليد قرية نجع حمد - طهطا - سوهاج - جمهورية مصر العربية.

٢- قام بتأسيس ورئاسة جمعية أهل القرآن والسنة ويعمل واعظًا ومدرسًا ومحاضرًا بمساجدها.

٣- ولا يفوتني أن أشكر وأبالغ في الثناء على الله تعالى، صاحب الفضل والمنة، ثم لكل من قدم لي العون والمساعدة في إخراج هذا السفر النافع وفي مقدمتهم أولادي [أحمد، وسهير، وعادل، وعبد العال، وعمر، ووالدتهم] وأحفادي: [علي، وحسام الدين، وآية، وآلاء، وعبد الله، وهيام، ونهى] .

كما أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الشيخ

علي أحمد عبد العال الطهطاوي

جزيرة الدهب
٢٩ من رمضان ١٤٢٢هـ
٢٤ من ديسمبر ٢٠٠١م

٥٧٢٣٥٣٧
٧٧٤٤٧٢٠
٠١٢٣٤٩٠١٣١

فهـــــرس الموضوعـــــات